أنور الجندي

تاريخ الصحافة الإسلامية

١

المنار - محمد رشيد رضا

١٣١٥ هـ - ١٨٩٨ م

١٣٥٣ هـ - ١٩٣٥ م

توزيع
دار الأنصار.
٨١ شارع البستان ناصية شارع الجمهورية
عابدين ت ٩٣٦٠٨١

موســـــوعة

تاريخ الصحافة الإسـلامية

(خلال القرن الرابع عشر الهجرى)

(١٣٠١ — ١٨٨٤) الى (١٤٠٠ — ١٩٨٠)

١ — مجلة المنار — رشيد رضا

٢ — مجلة الفتح — محب الدين الخطيب

٣ — صحف الاخوان — حســن البنــا

٤ — مجلة الأزهر (فريد وجدى — محب الدين الخطيب — الزيات)

٥ — الصحف الاسلامية (بعد الحرب الثانية الى نهاية القرن الرابع عشر)
(١٩٤٠ — ١٩٨٠)

تصدر تباعا باذن الله

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل إلى تاريخ الصحافة الاسلامية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومن دعا بدعوته الى يوم الدين . تباركت ربنا وتعاليت وحمدا على فضلك وعطائك ان هديتنا الى هذا العمل النافع : تاريخ الصحافة الاسلامية منذ نشاتها الى اليوم ونسالك الهداية والتوفيق الى تمام الأمر وحسن العرض وكمال الاداء .

المرحلة الأولى : حتى نهاية الحرب العالمية الأولى :

وبعد فالصحافة الاسلامية هى قطاع من الصحافة العربية التى عرفها العالم الاسلامى فى العصر الحديث ، توصف بالاسلامية لتمييزها بدراسة شئون المسلمين وقضاياهم ، وقد صدرت الصحف فى تركيا ومصر ولبنان فى هذه الفترة الباكرة (يومية واسبوعية وشهرية) وابرز الصحف التى عرفت بالاهتمامات الاسلامية هى (ثمرات الفنون) التى عاشت فترة طويلة فى لبنان (١٨٨٥ — ١٩٠٨) عبد القادر قبانى (وهى تحتاج الى دراسة مستفيضة) .

أما فى مصر فان ابرز الصحف اليومية التى عنيت بقضايا العالم الاسلامى فهى المؤيد (على يوسف) التى صدرت ١٨٨٩/١٢/١ ثم اللواء (مصطفى كامل) وصدرت ١٩٠٠/١/٢ وفى هذه الفترة صدرت مجلتان شهريتان اسلاميتان هما :

المنار (محمد رشيد رضا) ١٨٩٨

الحياة (محمد فريد وجدى) ١٨٩٩ .

ولم تلبث (الحياة) ان توقفت بينما استمرت (المنار) حتى توفى صاحبها ١٩٣٥ .

أما ابرز المجلات الشهرية الاسلامية فهى (العروة الوثقى) التى اصدرها الأفغانى ومحمد عبده فى باريس ١٨٨٤ (ولم يصدر منها الا ١٦ عدداً ثم توقفت) .

ويرى السـيد رشـيد رضا ان (المؤيد) هى الصحيفة الاسـلامية اليومية الأولى ويرتبط بها فى كثير من المواقف والأحوال والواقع ان جريدة اللواء (مصطفى كامل) كانت تعنى بقضايا العالم الاسلامى وتعالج القضية الوطنية من مدخل اسلامى اساسى .

وقد أصدر مصطفى كامل (الحزب الوطنى) فيما بعد مجلة العـالم الاسلامى (١٩٠٥ ــ ١٩٠٧) .

ثم أصدر الشيخ عبد العزيز جاويش مجلة (الهداية) .

ولما أن هاجر الى تركيا اصدر مجلة العالم الاسـلامى (١٩١٦ ــ ١٩١٧) .

وفى هذه المرحلة التى تنتهى بالحرب العالميـة الأولى نجد عددا من المجلات العربية والاسلامية خاصة تلك المجلات التى صدرت عن الجمعيات الاسـلامية :

مجلة جمعية الملاجىء ١٩٠٦ خليل حمدى حمادة .

مجلة مكارم الأخلاق الاسلامية ١٩٠٠ (١٣١٧ هـ)

وكانت قد صدرت (مجلة مكارم الأخلاق) ١٨٨٧ (أحمد الشريف)

كما صدرت مجلة الأزهر (حسـن رفقى وابراهيم مصطفى) ١٨٨٩ (وهى المجلة التى اسـتأجرها وليم ولكوكس فيما بعد لنشر دعوته الى العاميـة) .

مجلة الملاجىء العباسية ١٩٠٦ .

وهناك صحف صدرت فى هذه الفترة لها طابع اسلامى ولكنها ليست اسـلامية خالصة :

مرآة الشرق ١٨٨٢
مصباح الشرق ١٨٩٨
الموسـوعات ١٨٩٨
مجلة المجلات العربية ١٩٠٨

ويربط السيد رشيد رضا مجلته بالعروة الوثقى ويرى انه امتداد لها الا فى مسائل السياسة فقد كانت العروة الوثقى قذيفة نارية على الاستعمار

البريطانى بينما يتجنب الشيخ رشيد رضا معارضة النفوذ البريطانى الذى كان جاثما على البلاد ٠ وبين صـــدور العروة الوثقى (١٣٠١ — ١٨٨٤) وصدور المنار ١٣١٥ (١٨٩٨) اربعة عشر عاما لم تصدر فيهـــا مجلات اسلامية سوى مجلة (الاسلام) ١٨٩٤ (١٩١٢) احمد على الشــــاذلى الأزهرى وهى مجلة ذات طابع خطابى ونمطى (والأستاذ الشــــاذلى هو الذى سافر من بعد الى اليابان وادخل الاسلام الى ربوعه) ٠

والواقع ان مجلة المنار هى التى ادخلت اســـلوب المعالجة الحديث وقضايا المسلمين الى الصحافة الاسلامية ٠

مجلة الاسلام (اقدم مجلة اسلامية تحمل اسم الاسلام)

بدأت ١٨٩٤ وتوقفت ١٩١٤ ولم يسبقها الا مجلة الأزهر (حسن رفقى وابراهيم مصطفى)

يقول احمد على الشــــاذلى — الأزهر — فى التعريف بالصـــــحافة الاســـلامية :

ان الجرائد لها من فضل ما يضيق عن حصر نطاقه بيان كاتب وقلم شاعر اذ هى مصباح النهى ، ورائد الأمة ، ومرآة ذوى الأمور ، بهـــا يعرضـــون ما انطوى عليه العالم شرقا وغربا ويهتدون الى حجة الصواب بلا معاناة ســـفر أو معاناة حركة فكم حملت مخترعات ووضعت أساسا وربت بنين وبنات وهذبت رجالا وشيوخا وهى السبب الأكبر الذى نهض بالغربيين الى هذا الحـــد الذى نراه حين اعتاضـــوا بحرب الأقلام عن حرب المـــدافع ، واســـــتغنوا بالطروس عن الديناميت وبالحبر عن التوربين ، لم يزل بين اظهرنا معشر الشرقيين المسلمين من يلتفت لهـــذا الأمر الجليل (الصحف الاسلامية) بلادهم ملأى بالجرائد الدينية التى تهتز لدعاة الملة وغـــيرهم سبيل الدعوة منشأ الطفل وقد عرف أباه وأمه والمعبود الذى يدين بالتقرب اليـــه ٠

وان الشرق مفعم برجال الدين التقاة وفرسان الكتابة المجيدين الذين عرفوا الأمر معرفة خبير وســــبروا الغـــرب والشرق ان لم اقل بالرؤية فبمطالعـــة الجـــرائد وما يلحق شـــبابنا أبنـــاء المـــدارس الذين يتربون

فى مدارس الاجانب وينشؤون على غير معرفة بدينهم وقلوبهم خالية من حب الاسلام فاذا صادفتهم شبهة او سمعوا نعرة من آخر طاروا اليها فرحا . وهـــذا ما اثار فى قلبى حمية العمـــل والاجتهاد فى بث تلك المبـــادىء فى قلوب الشباب والعامة من الناس الذين لا يعرفون العلم الا بالآذان ولا يرون الا يفرون بفرهم ويذلون بذلهم وسميتها الاســـلام تسمية لهـــا باشرف مبحث تحرير جريدة عربية العبارة اسلامية المشرب مصرية الهداية تكفل لاخواننا المسلمين بيان امور دينهم وتدلهم على طرق النصـــح لهم ولاخوانهم الذين يفرون بفرهم ويذلون بذلهم وسميتها الاســـلام تسمة لهـــا باشرف مبحث ينشر فيها)) .

وقد حفلت المجلة بابواب مختلفة منها :

ادبيات — امثال وحكم ، آداب الاسلام ، العقائد التوحيدية ، قواعد الاســـلام ، كتاب صحيح البخارى ، صلاة الجماعة ، اجتناب المعاصى ، الخمر ومضارها ، الحشيش ومضاره .. الخ الخ .

هذه هى طلائع الصحافة الاسلامية التى اعطاها اصالتها فريد وجدى ورشـــيد رضـــا .

مجلة الحياة (١٣١٧ — ١٨٩٩)

يقول الأستاذ فريد وجدى : ان مقصـــد (الحيـــاة) المجلة — هو الحيلولة بين مكاريث الالحاد واذهان ابناء المشرق ولذلك فهى ســـتجعل مطمح نظرها جملة نقط مهمة :

اولاها : اقامة اقوى الأدلة العلمية على ان الديانة الاســـلامية هى روح العمران وقوام سعادة الانسان بطرق لا تجعل للشـــكوك مجالا فى الأذهان وستسلك لهذا العرض المسالك العصرية فى تاييد اقاويلها بالحجج الفلسفية الحسية .

ثانيا : تثبيت الأحوال الدينية فى العقول الطموحة . كاثبات وجود الله تعالى والروح والآخرة بالأدلة الدامغة . وســـتعتمد فى ذلك على تحقيقات العلماء العصريين جريا مع سنة الزمان اعتقادا منا بان نشـــاتنا الحديثة أحوج الى الخدمة منها الى سواها وايقانا من لدنا بان نقش اصول العقائد

فى اذهاننا بالطرق العصرية انفع لها وللبلاد من تعليمهم الطبيعة والكيمياء وليس بعد المشاهدة حجة لمرتاب .

وليس قصدنا الا خدمة الأقطار العمومية من هذه الوجهة الرئيسية :

التمدن والتدين — تغذية الجنان ببدائع الأكوان — اثبات وجود الله تعالى — ما وراء المادة .

واننا وان كنا لا نود فائدة مادية ، من هـــذه المجلة ، الا اننا لا نود ايضا أن نخسر فيها كثيرا واننا لم نتشجع على تحمل هذه الخسائر المادية الا لمـــا نعلمه من شغف الخاصة والعامة بمطالعة ما نكتبه (واشار الكاتب الى آثاره السابقة على انشـــاء المجلة وخاصة كتاب الحديقة الفكرية فى اثبات وجود الحضرة الالهية بالأدلة الطبيعية) .

يقول : وقد اسسنا هذه المجلة ومطمح نظرنا غرضان مهمان :

وهما تثبت أصول الدين الاســـلامى الحنيف فى عقول أبنائه بنتائج العلم العصرى واقامة الأدلة العلمية والفلسفية على أن هذا الدين الكريم هو منتهى ما يصل اليه الانســـان من حقيقة الدين وغاية ما تدفعه اليه استعداداته الفطرية المنزوية فى طى مواهبه الطبيعية .

وقد اعتضدنا فى سائر أبحاثنا ببراهين الفلسفة الغربية ، واستخدمنا نتائج افكار قادتها وثمرات كدهم وكدحهم فى تأييد أصولنا الاسلامية ، مراعاة لمطلوب العصر الحاضر ومجاراة للأميال العامة رأينا أن اندفاق مدنيـــة الغرب على الشرق ستجر معها ما يلابسها من سموم قاتلة ومكاريت هائلة فوجدنا أن أجل خدمة تؤدى للاسلام هى وقوف بعض بنيه على مآرب ذلك التيار المندفع بمصفاة من العـــلم لتحجز ما تحمله من قذر وتترك الســـبيل لسلسبيله الصافى ليرده من بعد الورود بلا خوف ولا تحرج . وقد تبين العالم أجمع أن ترك ذلك التيـــار على ما هو عليه من كدر ودجل قد جر بعضا منا الى ما لا يحمد من الخروج عن دائرة الحكمة حتى قال قائلنا اذا كانت هذه نتائج المدنية فاللهم حوالينا ولا علينا)) .

وقد مضى فريد وجدى فى منهجه هذا الذى أطلق عليه :

((الشبهات العصرية على الأديان ونفيها عن الاسلام))

وهو مدخل حقيقى لما اطلق عليه من بعد علم مقارنات الاديان . وهذا المنهج الذى سار عليه فريد وجدى حياته كلها يختلف اختلافا واضحا عميقا عن منهج رشيد رضا وان كان هذا المنهج قد بدأ فى طريقة الشيخ محمد عبده ، فان فريد وجدى يعتبر نفسه تلميذا لهذه المدرسة السلفية ولكنه ينفرد بالجنوح الى دراسات الفلسفة والعلم الحديث واجراء مقارنات بينها وبين الاسلام ، وقد مضى فريد وجدى فى مجلة الحياة سنة لم تطل فقد توقفت المجلة ولكنه ولى عام ١٩٢٥ رئاسة تحرير مجلة الازهر وسار فيها هذا الأسلوب الى نهاية حياته ١٩٥٤ تقريبا . وقد وقع فى شأن هذا المنهج خلاف واسع وعميق بينه من ناحية وبين رشيد رضا ومحب الدين الخطيب من ناحية أخرى كما يظهر فى مساجلات مجلة الفتح (الحلقة الثانية : مجلة الفتح) .

أما منهج المنار فهو يختلف اختلافا واضحا عن هذا الأسلوب الذى اتخذه فريد وجدى ، اذ انه يعتمد على أسلوب اهل السنة والجماعة وهو أصح المذاهب وهو التطور الطبيعى للأسلوب الذى بدأه جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده (وكانا يسميان المعتزلة الجدد) وصولا الى منهج أهل السنة ومفهوم القرآن الأصيل على النحو الذى سار عليه رشيد رضا واتسع بعد وعمق فى كتابات الأستاذ حسن البنا (الحلقة الثالثة : صحف الاخوان).

وفى هذه المرحلة نجد أن هنالك عددا من المجلات الاسلامية فى البلاد العربية والاسلامية :

المنصف — تونس — محمد الشريف التيجانى — ١٩٠٧

القبلة — مكة المكرمة — محب الدين الخطيب — ١٩١٦ .

ولا ننسى فى هذا المجال أن نذكر أن مجلة الاستاذ لصاحبها (عبد الله نديم) صدرت فى عام ١٨٩٢ ولكنها لم تلبث أن توقفت وهى ليست مجلة اسلامية بقدر ما هى مجلة وطنية اجتماعية .

أما مجلة الهداية التى انشأها الشيخ عبد العزيز جاويش (١٩١٠ — ١٣٢٨) فقد عنيت بتفسير القرآن (أسرار القرآن ، النسخ فى القرآن ، نزول القرآن) .

وقد أولت اهتماما كبيرا لأحوال المســـــلمين فى العالم فتحدثت عن مسلمى بلغاريا وروسيا والبوسنة والهرسك وانتشار الاســـلام فى افريقيا وبين روسيا وفارس والاسلام فى الهند وعن وفد مسلمى الصين الى السلطان ، كما أولت اهتماما للغة العربية وانشاء نادى دار العلوم للغة العربية واهتمت باحياء التراث الاسلامى ، والكلام عن الشريعة الاسلامية ، وموقف العرب من مذهب دارون وهذه عبارتها :

« تزود عن الدين الحنيف وتزيل الشكوك التى يروجها المشــــككون وتدحض مزاعم الطاعنين من القساوسة والراهبين وتدعو الى التمســـك بتعاليم دينهم وبالأخلاق الكريمة :

يقول الأستاذ عبد العزيز جاويش : كان حقا على كل مســـلم نور قلبه الايمان أن يهيب بالمسلمين داعيا اياهم الى السبيل القويم ناصحا لهم أن يعضوا على دينهم بالنواجز مستمسكين منه بالعروة التى لا تنفصـــم ، مستعصمين منه بالحبوة التى تؤمن كل معتصم مفندا ما يأتى به الطاعنون فيه من الشبه التى تقوى ضعاف اليقين فقد طمى سيلها وسكت عن تفنيدها الذين من أخص خصائصهم أن يفندوها ويدحضوها حتى كثر ســــــواد الطاعنين من القساوسة والرهبـــان ولم يعذر الســـفيه الا أن يؤتى دواه وقلما ، رأينا وسمعنا ذلك فعن لنـــا أن ننشىء مجلة تفرغ بعضـــها لاذاعة (أسرار القرآن) الذى هو دستور السعادتين .. ولرد تلك الشبه وإدحاض ما يكيلونه جزافا من الأكاذيب وبيان أن الاسلام دين الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، ونفرغ من بعاضها قسما لانعاش لغة العرب من عثارها مما نأتى به من التحقيقات اللغوية والاشارات الأدبيـــة فقـــد أصبحت الألسنة ترتضح عجمه لبست الأصيل والدخيل ونودع ما بقى من فراغ المجلة أبحاثا أخرى » .

وقد مضى الشيخ عبد العزيز جاويش وهو تلميذ الشيخ محمد عبده أيضا الى اصدار مجلته ولكنه توقف بعـــد قليل — وان كانت له مثل فريد وجـــدى مؤلفات مشهورة — أما الذى صـــمد فى الحقيقة من تلاميذ الامام الثلاثة فهو رشـــيد رضا .

المرحلة الثانية : من الحرب العالمية الأولى الى الحرب العالمية الثانية (١٩١٩ — ١٩٣٩)

وهذه هى أدق مراحل العمل الصحفى الاسلامى فقد صدرت فيهـــا مجلات اسلامية كثيرة أبرزها :

١ ــ مجلة الفتح : محب الدين الخطيب ١٩٢٦

٢ ــ مجلة الازهر : ١٩٣٠ صدرت تحت اسم نور الاسلام ثم عدلت

٣ ــ صحف الاخوان المسلمين : [١٩٢٢ أســـبوعية (الاخوان) النذير ١٩٢٨ الخلود ١٩٢٨]

٤ ــ الشبان المسلمون ١٩٢٩ (جماعة الشبان)

٥ ــ مجلة الشهاب (عبد الحميد بن باديس) قسنطينة ١٩٣١ .

٦ ــ التمدن الاسلامى : دمشق ١٩٣٥/١٩٥٤ ــ أحمد مظهر العظمه (وما تزال مستمرة الى اليوم) وهى من أجل المجلات التى يجب دراســـتها

٧ ــ الاعتصام (أحمد عيسى عاشور) ١٩٣٩

٨ ــ الهداية الاسلامية (محمد الخضر حسين) ١٩٢٨ .

٩ ــ الهدى النبوى ــ ١٩٣٧ ــ محمد حامد الفقى

وفى أنحاء العالم الاسلامى صدر عدد من المجلات الاسلامية منها :

الهدى ــ ماليزيا ــ عبد الواحد الجيلانى العلوى ١٩٣١

مرآة المحمدية ــ جاكارتا ــ محمد على قدس ١٩٢٧

المرشد ــ بغداد ــ محمد الحسنى / صالح الشهرستانى ١٩٢٥

الاصلاح (مكة المكرمة) محمد حامد الفقى ١٩٣٠

الاعتصام (حلب) عبد الله المعتز ، عون الله الاصلاحى ١٩٢٩ .

أم القرى (يوسف ياسين) ١٩٢٥

شمس الاسلام (تونس) محمد الصالح بن مراد ــ ١٩٣٧

القضايا التى عالجتها الصحافة الاسلامية :

وقد تناولت هذه المجلات مختلف القضايا الاسلامية المثارة فى هـــذه المرحلة :

قضية الدعوة الاسلامية : صحف الاخوان

قضية الخلافة (المنار)

قضية التغريب : طه حسين ومحمود عزمى وعلى عبد الرازق (المنار والفتح)

قضية الفلسفة : الأزهر (فريد وجدى)

قضية العقائد : مصطفى صبرى — فريد وجـــدى — محب الدين الخطيب (الفتح)

قضية فلسطين : صحف الاخوان والفتح .

قضايا التحرر السياسى الاسلامى ، قضايا المغرب الباكســتان ، فلســطين (الفتح وصحف الاخوان)

قضايا الاقتصاد الوطنى : (صحف الاخوان)

قضايا الشريعة الاسلامية : (صحف الاخوان والفتح)

قضايا بناء المجتمع الاسلامى بالتربية (صحف الاخوان) .

كما تناولت الصحف الاسلامية فى هذه الفترة قضـــايا النفوذ الأجنبى وقضايا الدعوة الاسلامية ، واللغة العربية والتاريخ وتركت تراثا ضخما واسعا فى حاجة الى عرض وتقييم واسعين نرجو أن نتمكن من القيام بجانب منه فى دراستنا للصحف الاسلامية .

[المنار — الفتح — صحف الاخوان — الأزهر]

تتميز هذه المرحلة بالجرأة فى معالجة قضايا التبشير والاســتشراق والتعريب وبروز عدد كبير من أعلام الفكر الاسلامى

٣ — المرحلة الثالثة : من الحرب العالمية الثالثة الى اليوم :

فى هذه المرحلة صدرت صحف اسلامية عديدة ابرزها :

الدعوة — مصر — صالح عشماوى — ١٩٥١ (ثم توقفت ١٩٥٦) وعادت الى الصدور ١٩٧٤

المجتمع — الكويت — جمعية الاصلاح ١٩٧١

جوهر الاســلام (تونس) .

دعوة الحق (المغرب) .

الأصالة (الجزائر) .

اللواء الاسلامى : احمـــد حمزة .

البصائر — الجزائر — محمد البشير الابراهيمى ١٩٤٧

الشهاب — مصر — حسن البنا ١٩٤٧

جريدة الاخوان المسلمين (اليومية) ١٩٤٦

المسلمون : سعيد رمضان ١٩٥١

الوعى الاسلامى : الكويت

الرابطة الاسلامية : محمد شاهين حمزة ١٩٤٤

منار الاسلام : ابو ظبى

منبر الاسلام : (وزارة الأوقاف) ١٩٤٨

البريد الاسلامى : محمد توفيق احمد ١٩٤٣

الأمة : قطر

حضارة الاسلام : سوريا (مصطفى السباعى) .

صوت الاسلام : محمد عطية خميس ١٩٥٤

رابطة العالم الاسلامى : محمد سعيد العامودى (رابطة العـــالم الاســلامى) مكة

وواصلت الشبان المسلمين ، الاعتصام ، الأزهر ، الفتح صدورها .

البلاغ : الكويت (عبد الرحمن الولايتى) ...

الدعوة : المملكة السعودية ..

المسلم : محمد زكى ابراهيم ١٩٥١

هذه عجالة لاستعراض رءوس موضوعات وأسماء الصحف ، نقدمها بين يدى الدراسة الأولى عن (العروة الوثقى والمنار) على ان نعد فى نهاية المطاف بحثا مستفيضا مفصلا عن نتائج دراسة الصحافة الاسلامية وتحليل لواقعها وآثارها على أن تبدأ من اليوم فنضع هذه الخطوط العامة :

اولا : هناك صحافة دعوة وصحافة فكر :

اما صـــحافة الدعوة فهى التى تتحدث عن التربية والتكوين الخلقى

والاجتماعى للشباب المسلم ولا تقدم له الا الأبحاث الناضجة البعيدة عن الخلافات والتيارات الفلسفية ، رغبة فى اعداده اعدادا سليما .

اما صحافة الفكر فهى التى تعنى بالدراسات الفلسفية والمنطقية وغيرها على النحو الذى نراه واضحا فى المرحلة الأولى من مجلة الأزهر خلال تولى فريد وجدى رئاسة تحريرها (١٩٣٥ — ١٩٥٦) حتى وفاته *.

اما مجلة الفتح وصحف الاخوان ومجلة الدعوة فهى صحافة دعوة *. وهناك صحف جمعت بين الدعوة والفكر .

ثانيا : هناك صحف لمعت فى المراحل التالية لها واخذت وضعا اشد قوة وحيوية مما كانت فى أول امرها ، كما ان هناك صحف توقفت تحت ضغط الظروف السياسية او وفاة منشئها .

ثالثا : هناك صحافة شعبية وصحافة حكومية :

الصحافة الأولى التى يقوم بها أفراد أو جمعيات اسلامية وهى اكثر حرية واكثر تعمقا فى معالجة المشاكل والقضايا وابراز وجهة نظر الاسلام اكثر من الصحافة الاسلامية الحكومية التى ترتبط بمواقف الحكومات من هذه القضايا أو بمواقف بعض الأقطار بالأقطار الأخرى .

رابعا : ولم تتوقف الكتابات الاسلامية على كتاب الاسلام العرب ولكن ظهرت أسماء كثيرة من الكتاب الاسلاميين من الهند وباكستان واندونيسيا وماليزيا وايران وتركيا .

خامسا : غطت الصحافة الاسلامية جميع القضايا الاسلامية المثارة فى العصر والبيئة معا ووصلت بعض الصحف الاسلامية الحرة الى القدرة على الكشف عن وجوه النقص والقصور فى تلك القضايا .

سادسا : أبرز القضايا التى عولجت هى قضية فلسطين ثم قضية فلسطين والقدس وقضايا الربا والتعليم الغربى ومختلف قضايا المجتمع الاسلامى والاقتصاد والسياسة والتربية وقد قدمت فيها دراسات خصبة وأوراق عمل نافعة .

---

* صدرت فى السنوات الأخيرة مجلات اسلامية أخرى خاصة فى القاهرة : اللواء الاسلامى والنور والتصوف الاسلامى .

سابعا : غطت الصحافة الاسلامية جميع المؤتمرات الاسلامية التي عقدت لدراســـة مختلف القضايا وخاصة قضايا التضامن الاســـلامى والملتقيات الاسلامية فى الجزائر والرياض وجاكارتا ومكة المكرمة . ومؤتمر السنة والسيرة فى اسلام أباد واستانبول والدوحة .

ثامنا : كشف مخططات الاستشراق والتعريب فى عديد من مؤتمراتهم ودراساتهم ، وزيف تلك الشــبهات وأبانت عن وجه الحق كما كشفت زيف الديمقراطية والاشتراكية والوجودية والعلمانية ، وواجهت النحل المنحرفة كالقاديانية والبهائية .

تاسعا : صحافة اسلامية مختلطة : كالاسلاميات فى مجلات الرسالة والهلال والثقافة .

والصفحات الاسلامية السياسية التى كانت تنشر فى الصحف اليومية : البلاغ وكوكب الشرق والجهـاد .

وفى المرحلة الثالثة تلك الصفحات الاسلامية الأسبوعية فى الأهــرام والجمهورية واخبار اليوم ، ومدى الدور الذى تقــوم به (مع ملاحظة أن الجمهورية أصـــدرت ملحقا دينيا بتوجيه مصطفى بهجت بدوى واشراف صلاح عزام خلال فترة الستينات) ثم توقف ، كذلك فانه يجب دراســـة ظاهرة صدور صحيفة يومية اســلامية وكان هذا أمل من آمال المصلحين خلال نصف قرن فلما صدرت صحيفة الاخوان اليومية (١٩٤٦ — ١٩٤٨) ثم توقفت لم يتجدد التفكير فى اصدار صحيفة يومية اسلامية مرة أخرى .

كتاب الصحافة الاسلامية

كشفت هذه الصحافة الاسلامية عن عدد كبير من الكتاب الذين اشتغلوا بالصحافة والدعوة الاسلامية فى مقدمتهم :

احمد حمزة : لواء الاسلام
احمد عارفه الزين : العرفان
احمد مظهر العظمة :
التمدن الاسلامى
احمد عيسى عاشور : الاعتصام
احمد الشاذلى الأزهرى :
الاسلام
امين الرافعى : الأخبار
امين عبد الرحمن : الاسلام
احمد انس الحجاجى :
منزل الوحى
حسن البنا :
(صحف الاخوان) و (الشهاب)
حسن عبد المقصود : الأنصار
سعيد رمضان : المسلمون
صالح عشماوى : الدعوة
على الغاياتى : منبر الشرق
عمر التلمسانى : الدعوة
عبد الحميد الزهراوى : الحضارة
عبد الحميد بن باديس : الشهاب
عبد العزيز جاويش :
العالم الاسلامى والهداية
فريد وجدى : الحياة
لبيبة أحمد : النهضة النسائية

محب الدين الخطيب :
الزهراء ، الفتح ، القبلة
محمد الهيهاوى :
محمد أبو زيد عثمان : النذير
محمد شاهين حمزة :
الرابطة الاسلامية
محمد البشير الابراهيمى : البصائر
محمد حامد الفقى : الهدى النبوى
محمد الخضر حسين :
الهدى الاسلامى
محمد عطية خميس : صوت الاسلام
محمد زكى ابراهيم : المسلم
محمد رشيد رضا : المنار
محمد محمد علوان :
الاسلام والتصوف
محمود أبو الفيض المنوفى :
العالم الاسلامى ، لواء الاسلام
محمد سعيد العامودى :
الرابطة الاسلامية
محمد توفيق احمد :
البريد الاسلامى
مصطفى السباعى :
حضارة الاسلام

(ولقد أفرزت الصحافة الاسلامية خلال هذه المراحل الثلاث عددا ضخما من كتاب المدرسة الاسلامية هم جديرون بدراسة خاصة مستقلة عنهم) (*)

وبعد فهذا استعراض سريع هو بمثابة اطار للتحرك من داخله فى اصدار هذه الموسوعة عن تاريخ الصحافة الاسلامية ، هذا وبالله التوفيق .

انور الجندى

الباب الأول

العـــــروة الوثـــــقى

الفصل الأول : اثر العروة الوثقى فى منهج الصحافة الاسلامية

الفصل الثانى : من العروة الوثقى الى المنـــار

الفصل الأول

اثر (العروة الوثقى) فى منهج الصحافة الاسلامية
(بين العمق التاريخى والأثر المستقبلى)

صـــدر العروة الوثقى فى باريس (٥ جمادى الأولى ١٣٠١) الموافق ١٣ مارس ١٨٨٤ وتوقفت فى ١٦ أكتوبر ١٨٨٤ (واصدرت ثمانيـــة عشر عددا) فكانت هـــذه الاضمامة بمثابة دستور جامع شامل للعمـــل الصحفى الاسلامى لم يلبث أن نما واتسع بعد خمسة عشر عاما بصدور مجلة المنار عام ١٨٨٩ حيث امتدت ستة وثلاثين عاما ، وقد كانت المنـــار بمثابة منار حقيقى للصحافة الاسلامية التى حملت لواء الفـــكرة السلفية بكل نقائهـــا وايمانها وقد امتدت الى المغرب غربا والى اندونيسيا وارخبيل الملايو شرقا عبر جميع الأقطار الاسـلامية من الجزيرة العربية الى الشـــام الى العراق الى الهند الاسلامية والباكستان وافغانستان .

ولقـــد كانت هناك صحافة سياسية قبـــل العروة الوثقى تتحـــدث عن قضايا العالم الاسلامى من أبرزها مجـــلة الجوائب التى كان يصدرها أحمد فارس الشدياق منذ ١٨٥٠ ميلادية (١٣٠٤ هـ) حتى وفاته ١٢٧٧ هـ (١٨٨٧ م) فعاشت ثلاثة وعشرين عاما ولكنها لم تقـــدم منهجا اسلاميا للصحافة على النحو الذى عرفناه فى العروة الوثقى .

لقد صدرت العروة الوثقى بعد الاحتلال البريطانى لمصر عام ١٨٨٢ (وبعد الاحتلال الفرنسى للجزائر ١٨٣٠ وتونس ١٨٨١) ، وكانت خلفيـــة العروة الوثقى ممثلة فى أمرين :

أولا : كان أمام محمـــد عبـــده وجمال الدين تجربة الامام ابن تيميـــه فى الحروب الصليبية ومواجهة الغزو الخارجى .

ثانيـــا : حركة التوحيـــد فى الجزيرة العربيـــة بقيـــادة الامام محمـــد بن عبد الوهاب .

وكانت هـــذه المرحلة قد تجاوزت الوقوف عنـــد قضية تحرير الفـــكر الاسلامى من قيد التقليد التى قامت بها حركة التوحيد ، الى العمل لمواجهة الغزو الاستعمارى للعـــالم الاسلامى ، هـــذه القضية التى بدأت باحتـــلال

الجزائر بعد جهاد الامام عبد القادر خلال سبعة عشر عاما ، وهى المعركة التى واجهت الامام محمد بن على السنوسى فطاف البلاد العربية والاسلامية للبحث عن مواجهة الخطر ، وكان جمال الدين الأفغانى قد قدم من أرض أفغانستان وايران والهند حيث كان النفوذ الأجنبى (الانجليزى) يتحرك هناك بقوة ، وقد واجه هو شخصيا فى بلاط امبراطور فارس هذه التجربة وحاول التصدى لاصدار الدستور الايرانى ، ومن ثم واجهه النفوذ الاستعمارى بالاضطهاد فقدم الى مصر « قلب العالم الاسلامى » ليواجه هذه الغزوة الاستعمارية ، وكانت كلمته المعروفة دائما :

هى « تنكيس أعلام بريطانيا فى العالم الاسلامى » .

وكانت بريطانيا قد سيطرت على الهند عام ١٨٥٧ وامتد نفوذها الى ايران وأفغانستان عام ١٨٦٨ .

* * *

ومن هذا فقد جاء صدور العروة الوثقى بعد الاحتلال البريطانى لمصر مضيفا مبدأ جديدا للعمل الصحفى الاسلامى وهو قضية الوحدة الاسلامية التى كان يحمل لواءها السلطان عبد الحميد حاكما ، والسيد جمال الدين الأفغانى داعيا ، وقضية تحرير الأوطان الاسلامية من النفوذ الأجنبى .

وهكذا أنشأت « العروة الوثقى » ذلك المنهج الجامع الصحيح الذى سارت عليه الصحافة الاسلامية منذ ذلك اليوم والى اليوم من خلال أهداف واضحة محددة أهمها :

أولا : ايقاظ الروح الكامنه فى النفس الشرقية ومحاربة اليأس ومواجهة النفوذ الأجنبى الزاحف .

ثانيا : التماس منهج القرآن فى بناء الأفراد والمجتمعات بوصفه المنقذ الوحيد للمسلمين .

ثالثا : تنبيه الأمة الى ذاتيتها الأصيلة التى أنشأت الحضارة الاسلامية الزاهرة وقدمت صفحات التاريخ الوضئى والتذكير بعظمة التراث الاسلامى .

رابعا : محاربة الاستعمار بكل ما تملك الأمة من وسائل بمفهوم الجهاد الاسلامى .

خامسا : الدعوة الى امتلاك أسباب القوة والتقدم والعلم والتمدن

دون التخلى عن الجذور فى دائرة مفهوم الاسلام القائم على العـدل والرحمة والاخاء البشرى .

سادسا : مقاومة التبعية والحيلولة دون الذوبان فى الأممية أو الفـكر العـالمى .

* * *

وبذلك دخلت الصحافة الاسلامية الى اطار الاسلام السياسى والحضارى والاجتماعى وكانت قبل ذلك تقف عند كتابات حول العقائد والعبادات .

ومن قبل صدور العروة الوثقى ومنذ وصول جمال الدين الى القـاهرة عام ١٨٧٩ ، فقد كان له دوره الواضح الخطير فى الصحافة المصرية والأداء الصحفى بالتحول عن اسلوب السجع والمحسنات اللفظية والمقدمات المستطردة الى اسلوب جديد أقرب الى الأداء العلمى المبسط ، وهـذا ما ظهر فى كتابات تلاميذه والصحف التى صدرت فى عهده وفى كتابات محمد عبده وابراهيم اللقانى وسعد زغلول .

* * *

ولقد كان اثر العروة الوثقى واضحا على مستويات متعددة :

فى بيـان الزعماء والمصلحين وكتابات الكتاب وفى الحركات الاسلاميـة وفى الصحف التى صدرت منذ ذلك الحين .

وقد كان أكبر مظاهر هذا الأثر فى مصر عن طريق المنار التى تعتبر الامتداد الطبيعى للعروة الوثقى من حيث أن الشيخ محمد عبده الذى كان المحرر الأول للعروة هو بمثابة المشرف على المنار (مع ملاحظة تغيرات العصر والمسائل المتجددة) حتى وفاته ١٩٠٥ .

وفى هذه المرحلة صدرت صحيفتى المؤيد (الشيخ على يوسف) اللواء ، والعلم (الحزب الوطنى وأبرز محرريها الشيخ عبد العزيز جاويش) ، وذلك حتى اندلاع الحرب العالميـة الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨) ثم صـدرت صحف سياسية تقدم صفحة اسلامية تحت عنوان العـالم الاسـلامى أو العربى ، وذلك فى صحف كوكب الشرق (أحمـد حافظ عوض) ، البـلاغ (عبد القادر حمزة) ، والجهاد (توفيق دياب) ، وجريدة الأخبار (أمين الرافعى) .

ثم صدرت بعـد الحرب مجـلات : الأزهر (١٩٣٢) تحت اسم « نور

الاسلام » أولا ، ومجـلة الفتح ١٩٢٧ (محب الدين الخطيب) ، ومجـلات الجمعيات الاسلامية : الشبـان المسلمين ، والاخوان ، والهداية الاسلامية وغيرها عشرات المجلات الاسلامية الأخرى التى لم تخرج على هـذا النسق الذى رسمته العروة الوثقى وطبقه المنار .

وفى أوربا (فى جنيف) صـدرت مجلة الأمة العربية (شكيب أرسلان واحسان الجابرى) ، وصدرت منبر الشرق (على الغاياتى) لمعالجـة قضايا الأقطـار الاسلامية .

اما فى المشرق الاسلامى فقد صدرت المجلات الاسلامية الآتية :

تونس : شمس الاسلام ١٩٣٧ ، مجلة المعـارف ١٩٠٧ (محمد صادق المحمودى) .

الحجاز : مجـلة مكة المكرمة (هاشم يوسف الزواوى) ، الاصـلاح ، أم القرى ١٩٢٥ ، القبلة .

حلب : الاعتصـام

دمشق : التمدن الاسلامى .

قسيطينة : الشهاب ١٩٣١ (عبد الحميد بن باديس) .

ماليزيا : الهدى ١٩٣١ (عبد الواحد الجبلانى العلوى) .

الجزائر : البصائر (محمد البشير الابراهيمى) .

وصحف اخرى كثيرة يخطئها الحصر .

أما عشرات الأعلام الذين تعلموا على « العروة الوثقى » والمنـار ، فهم كثيرون ، فى مقدمتهم عبد العزيز الثعالبى والطاهر بن عاشور فى تونس ، وعبد الحميد بن باديس فى الجزائر ، وعلال الفاسى فى المغرب وفى دمشق ، الشـيخ حسـين الجسر ، وظاهر الجزائرى ، والكواكبى ، وجمـال الدين القاسمى ، وعبد الرازق البيطار ، وفى العراق محمود شكرى الألوسى .

***

فهذه المدرسة السلفية التى انشأتها العروة والمنار امتدت الى كل هذه المناطق ، وكان محمد عبده قد أقام فى بيروت فكون بذرة صالحة هناك لاذاعة مفاهيم التوحيد الخالص ، كما أنه زار تونس والجزائر وترك فيها بذرة العمل السلفى الذى انبثقت منها الحركة الوطنيـة فى الجزائر والمغـرب وتونس

فى سبيل مقاومة النفوذ الأجنبى ونشأ على ذلك جيل قاوم هذا النفوذ مقاومة صامدة حتى تحقق له النصر .

وأينما تلفت فى أقطار الاسلام الى المجاهدين فى سبيل تحرير الأوطان تجدهم من تلاميذ العروة الوثقى والمنار ، وقد امتد هذا النفوذ الى أرخبيل الملايو حيث يقول المستشرق ك . ك . برج . (فى كتاب وجهة الاسلام) تأليف هاملتون جب وترجمة الأستاذ محمد عبد الهادى أبو ريدة ما يلى :

« ولم يشرق منار القاهرة على المصريين وحدهم ولكنه أشرق على العرب فى بلادهم وخارجها وعلى مسلمى أرخبيل الملايو الذين درسوا فى الجامعة الأزهرية وعلى الأندونيسى المنعزل الذى ظل محافظا على علاقاته بقلب العالم الاسلامى بعد عودته لبلاده النائية على حدود دار الاسلام : هؤلاء جميعا رأوا الاسلام على نور جديد لم يرو فيه مثالا للتشدد والجمود ورأوه الدين المختار بين الأديان ، وحامل المثل الأعلى لكل زمان مضى ، المثل الجديدة لكل زمان آت ، وهو شباب متجدد الشباب حامل لواء كل تقدم ، شديد فى التسامح ، وقد أصبح الذين اقتبسوا من نور المنار منارات صغرى فى أندونيسيا بعد أن عادوا اليها » .

وقد أشار مؤلف كتاب « الفكر والثقافة المعاصرة فى شمال أفريقيا » الى أثر الشيخ محمد عبده والمنار فى الحركة السلفية فى تونس والجزائر والمغرب على أثر زيارته لتونس عام ١٨٨٣ ثم زيارته للجزائر عام ١٩٠٤ ثم كانت المنار التى تصل الى كل مكان فى العالم الاسلامى وقد تأثر بها الدعاة المسلمون هناك وكان خطها واضحا فى مجلة الشهاب التى أصدرها الامام عبد الحميد بن باديس عام ١٩٣٠ على نفس النهج ، ولقد حدثنى الأستاذ أحمد توفيق المدنى الذى هو أحد ثمار ما سمى فى الجزائر وتونس جماعة العروة الوثقى أن الجماعة أصدرت عام ١٩١٥ أول صحيفة اسلامية فى الجزائر تحت اسم الفاروق بقيادة السيد عمر بن قدور الجزائرى وانها تصدت للاستعمار الفرنسى بمقال كتبه المدنى كان من نتيجته أن حكم عليه بالسجن هو ومؤسس مجلة الفاروق من ١٩١٥ الى ١٩١٨ فى زنزانة ضيقة .

وفى الجزيرة العربية كانت العروة ثم المنار موضع تأثير كبير فى مجالس العلم ، ويتحدث الأستاذ مبارك الخاطر فى كتابه عن القاضى الرئيس قاسم ابن مهزع حيث يصور الحركة الفكرية فى البحرين فيقول : ان شباب البحرين الذين درسوا فى الأزهر بمصر وكلية عليكرة فى الهند وعادوا قد اعتنقوا آراء

السيد جمال الدين الأفغـــانى والشيخ محمـــد عبده وعبـــد الرحمن الكواكبى واحزابهم فى مصر والشام والعراق الذين وجدت آراؤهم صـــدى لهـــا هنا بين الشباب اذ ذاك عبر ما يقرأونه هنا من صحف هؤلاء المصلحين المجددين امثال العروة الوثقى للأفغانى ومحمد عبده ، والمؤيد لعلى يوسف ، والمنـــار لرشيد رضا ، واللواء لمصطفى كامل ، وقد كانت هذه الصحف تحمـــل آراء هؤلاء الى كل ابناء المسلمين فى كل الأرض وكانت عناوين مقالات تلك الصحف من مثل (أخبار الجاويين) أى مسلمى اندونيسيا وجمعيات المسلمين فى الهند ، والمسألة الشرقية ، فقد كتب التمدن الاســـلامى لجرجى زيدان ، الجامعـــة الاسلاميـــة ، المسلمون الروس فى مجلس الدوما السوفيـــاتى ، الاستعمار فى جزيرة العرب ، الغارة على العالم الاسلامى .

وكان من ظهور هذه الصحف العربية الاسلامية وآخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين كردة فعل جاءت بالفـــكر الاسلامى الاصلاحى الجديد وكسلاح فكرى اسلامى لوقف الأخطبوط الماسونى التبشيرى الذى غزا الأمة الاسلامية على حين غرة ممهدين السبيل للهجمة الصليبية الاستعمارية الجديدة التى استهدفت عقيدة هذه الأمة وتراثها ليسهل أمر استعبادها فكريا وبالتالى ليستمر استعبادها جسديا ، وقد كان .

وكان الشيخ قاسم بن مهزع زعيم الفكر الاسلامى فى البحرين يقرأ مجلة المنار ويقول انها تعبر عن الأقوال الفاصلة بالحق .

***

ولقد امتدت المنـــار حتى عام ١٩٣٦ حيث توفى السيد رشـــيد رضـــا ولكن مجلة الفتح التى انشأها السيد محب الدين الخطيب الذى يعتبر خليفة السيد رشيد رضا فى هذا المجال امتدت حتى عام ١٩٤٨ ، كذلك فان السيد فريد وجدى تلميذ الأستاذ الامام قد اشرف على مجلة الأزهر (١٩٣٤ — ١٩٥٢) ثم تولاها السيد محب الدين الخطيب ثم الأستاذ أحمد حسن الزيات .

وقد امتدت جماعة العروة والمنـــار من تلاميذ الأستاذ الامام فى مجموعة أخرى ، منها الشيخ سرور الزنكلونى والشيخ محمد مصطفى المراغى والشيخ عبد المجيد سليم ، ثم فى مجموعة تالية أو طبقة تالية ، منهـــا الشيخ محمود شلتوت والشيخ عبد الجليل عيسى .

***

وفى الهنـــد الاسلامية امتدت هـــذه المدرسة فى الشاعر محمد اقبـــال والسيدين المودودى وابو الحسن الندوى ، وفى أفغانستان وايران لا نعـــدم الكثيرين من تلاميذ المدرسة السلفية التى كونتها العروة والمنار .

وقد أحصى المغفور له الدكتور أحمد الشرباصى فى كتابه (مدرسة الأستاذ الامام وأثرها فى اللغة والأدب) عددا كثيرا ممن تأثروا فى أسلوبه ومنهجـــه وهم تلاميذ العروة والمنار على الأصح ، سعد زغلول ، حفنى ناصف ، محمد المهدى ، مصطفى لطفى المنفلوطى ، على يوسف ، رشـــيد رضـــا ، شكيب ارسلان ، عبد القادر المغربى ، عبد الرحمن البرقوقى ، أحمد لطفى السيد ، مصطفى عبد الرازق ، أحمد تيمور ، محمد مصطفى المراغى ، أحمـــد فتحى زغلول ، ابراهيم اللقانى ، عبد الكريم سلمان ، ابراهيم الهلباوى ، عبد العزيز جاويش ، حافظ ابراهيم ، اسماعيل صبرى ، رفيق العظم ، أحمد ابراهيم ، حسن منصور ، عبد الوهاب النجار ، مصطفى العنانى وغيرهم .

اما فى الحاضر فان مدرسة العروة والمنـــار فما تزال ذلك اثر واضـــح فى الصحافة الاسلامية القائمة الآن التى لم تخرج عن نفس الأصول العـــامة التى وضعتها العروة قبل مائة سنة بل ان القضايا التى ظهرت فى سنوات ما بين الحربين وما بعـــدها كسقوط الخلافة الاسلامية وانشاء اسرائيـــل ، وظهور حركات التبشير والتغريب والغزو الثقـــافى فانهـــا كلها تدخل تحت تلك الأصول وقد كانت مؤامرة النفوذ الأجنبى واضحة تماما لصاحبى العروة وكاتبيها رحمهما الله رحمة واســـعة وأجزل مثوبتهم جزاء ما قدما ومكن لكل العاملين على طريق الصحافة الاسلامية الأصيل .

***

مراجع البحث :

تاريخ الأستاذ الامام (الجزء الثالث) : محمد رشيد رضا .

اليقظة الاسلامية فى مواجهة الاستعمار : أنور الجنـــدى .

الفكر والثقافة المعاصرة فى شمال افريقيا : أنور الجنـــدى .

المنـــار والأزهر : محمد رشيد رضا .

الشيخ طاهر الجزائرى : الدكتور عدنان الخطيب .

مدرسة الأستاذ الامام وأثرها : الدكتور أحمد الشرباصى .

القاضى الرئيس قاسم بن مهزع : مبارك الخاطر .

وجهـــة الاسلام : هاملتون جب وآخرون .

الفصل الثـانى

من العروة الوثقى الى المنار

تحدث السيد رشـــيد رضا فى (المنار) عن (العروة الوثقى) وكيف كان لها أثرها فى تكوينه الثقافى والاجتماعى وفى منهج المنـــــار ، فى أكثر من موضع وعلى مر السنوات الطوال . فأشــار الى الدور الذى قامت به فى توجيه الرأى العام الاسلامى ، كما نقل فصولا متعددة من العروة الوثقى فى مناسبات متوالية وأعلن أنه وجريدته امتداد لهذه الحركة التى أطلق عليها « حركة الاصلاح الاسلامى » كما قارن بين العروة الوثقى والمنار فقال : كل ما صـــدر من « العروة الوثقى » (١٨ عددا) هزت القلوب وأيقظت العقول وكان الغرض من انشائها : اثارة العالم الاسلامى وجمع كلمته لدفع عبودية الاستعمار الأوربى وتجديد دولة اسلامية عزيزة تتولى فى ظل حريتها ما يجب من الاصلاح الدينى والدنيوى وكان من رأى السيد جمال الدين أن الثورة أقرب الوســائل لتجديد الملة بالعلم الصــحيح والعمل المفيد فى ظل الاستقلال والقوة . أما عرض (المنار) فهو اعداد الأمة لهذا التجديد وأول وســائله بيان أمراض الأمة وأســبابها ووصف علاجها وتأليف الجماعات للتعاون فى المعالجة المطلوبة وكان الأســتاذ الامام أول من ناط أمله به فى الاصلاح المطلوب كله وكان يصرح به فى مجالســـه لمن يراهم أهلا لفهمه واســتعداد لطلبه وهو الذى أغناه عن كتابة وصيته للأمة ، اذ الوصــية لا تكون الا كلاما مجملا ، لما أنشىء « المنار » لبيانه مفصلا والناس لا يفهمون من الكلام الا بقدر ما اســـتعدوا لفقهـــه والاعتبار به ولا يكون ذلك الا بالتدريج .

وقد مضى « المنار » لطيته وما زال بتوفيق الله وحوله وقوته يرتقى فى كل معراج من معارج عمله ، ودون كسبه نظام معيشته فمنشؤه قد نشـــأ وشب وشاب على الزهد فى الدنيا وجدانا وعملا لا رأيا وعقلا ، فهو يرى أن الزهد لا يجوز أن يتجاوز شــعور القلب الى التقصير فى الكسب ، لكن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل ميسر لما خلق الله » متفق عليه ، وروى بزيادة (اعملوا) فى أوله ، وبهــذا الزهد يسر الله له أن يتصرف بكل قواه الى الاصلاح والتجديد الاســـلامى علما وبحثا ودعوة وحجة ودفاعا

واقناعا حتى صار موضع ثقة خواص المسلمين غير الجغرافيين فى العالم الاسلامى كله فى اصلاحهم كما قال الأستاذ المراغى شيخ الاسلام وخليفة الأستاذ الامام على اصلاح الأزهر لمولوى مشير قدوائى من كبراء مسلمى الهند وقد سأله أن يروى عنه لمسلمى الهند كله فيما يجب عليهم من الاصلاح فقال ما خلاصته : « ان المسلمين لا يرجى لهم صلاح الا بالقرآن على الوجه الذى يفسره به المنار » تلك فائدة زهد منشىء المنار فى دنياه له وللناس وهى علمية خالصة ، أما مضرة هذا الزهد له فهى مالية خالصة به ، ذلك أنها أوصدت أمامه باب طلب الرزق وفتحت عليه باب الدين ، حتى كادت تقضى على المنار الذى كان مفتاح كل خير فانى لم أستطع ان اعنى بنظام ادارته وضبط حساباتها ولا مراقبته بنفسى ، وانما تركت مطالبة قراء المنار بما له عليهم من حق النفقة لأجل أن أوفيهم حقهم وحق الأمة كاملا بقدر استطاعتى.

(٢)

وفى موضع آخر عرض للعروة الوثقى وأثرها فى المنار فقال :

أنشأ (الأفغانى ومحمد عبده) جريدة العروة الوثقى لدعوة المسلمين الى الوحدة الصحفية ، وان يجعلوا امامهم الأعظم « القرآن الكريم » أرشدت هذه الجريدة العلماء الى اماتة البدع واحياء السنن كما أرشدت الملوك والأمراء ولا سيما المختلفين فى المذاهب (كأهل السنة والشيعة) الى الاتحاد والاتفاق ، وأن لا يجعلوا الخلاف الفرعى فى الدين من أسباب التفرق والانقسام الذى يقضى على الجميع فاهتز لهما العالم الاسلامى هزة لو طال عليها العهد لزلزلت لها الأرض زلزالا لو طال الأمد على جريدة « العروة الوثقى » لحدث فى العالم الاسلامى انقلاب مهم ، ولهب المسلمون من رقادهم ونشطوا لاسترجاع مجد آبائهم وأجدادهم ، ولقد بلغ من غرام نبهاء المسلمين بهذه الجريدة أن حفظها بعضهم عن ظهر قلب . كانت العروة الوثقى قبسامن نور القرآن ونعمة من روحه ، وجدولا من ينبوعه ، خافت الدولة الانجليزية يومئذ مغبة الأمر ، لم تذكر فيها الشئون الاسلامية العامية فى الجرائد الا ما يجىء فى عرض القول ، حتى أنشأ نابغة الكتاب عبد الله نديم مجلة الأستاذ ١٣١٠ وكتب فيها المقالات الطنانة الربانية فى تنبيه المسلمين الى الأخطار المحدقة بهم وبسائر الشرقين فتر بعدها الكلام عن (الجامعة الاسلامية) حتى وفقنى الله لانشاء المنار لاحياء تعاليم العروة

الوثقى فوضعنا قاعدته على اساسها ، واضانا قمة نبراسها الا ما كان فيها من السياسة التى تتعلق بالمسألة المصرية والتحريض على الانجليز فهذا امر ذهب بذهاب وقته .

قلنا أن (المنار) وافق (العروة الوثقى) فى تعاليمها الاجتماعية وقواعدها التى وضعتها للوحدة الاسلامية وخالطها فى وجهيها السياسة المصرية . ونقول أيضا : انه زاد عليها البحث فى حرفيات البدع وتفصيل القول فى التعاليم الفاسدة والعقائد الزائفة والتربية المقيدة ونحو ذلك .

ولهذا يقول قراء المنار أنه لم توجد قبله جريدة فى موضوعه وقال صاحب الأهرام ان فى طريق هذه الخدمة خطرا عظيما ، وهو مقاومة أوربا للمسلمين اذا هم حاولوا الترقى عن وجهة الدين (ناقشه صاحب المؤيد وصاحب المنار) وفى هذه السنة (١) كثرت الكتابة فى شأن المسلمين فنشر المؤيد كثيرا من المقالات لكتاب من المسلمين فى الشرق والغرب منهم الفقير منشىء هذه المجلة : جريدة زمان التركية فى قبرص ، جريدة محمدان الهندية ، جريدة معلومات العربية فى الأستانة ، ثمرات الفنون ، جريدة الحاضر التونسية ، وفى هذين الأسبوعين كتب الأهرام بعنوان الجامعة الاسلامية ثم كتب المقطم ، وناقشهما المؤيد وكتب اسماعيل عصبرنسكى فى جريدة ترجمان فى القريم ، الأهرام والمقطم متفقان على ان الدعوة الى الجامعة الاسلامية باسم الدين مضرة وغير موصلة الى الغاية وانه لا سبيل الى ترقى الأمة الاسلامية الا باتباع خطوات اوربا كما فعلت اليابان (المسلمون ثلاثمائة مليون) اما المؤيد فقد اقترح عقد مؤتمر اسلامى ودعا الى الأخذ بالفنون والصنائع الأوربية ومن الآراء تعميم التربية والتعليم وانشاء الجمعيات والشركات والمنتديات العلمية والأدبية وتكثير الجرائد التى ينطق بها المسلمون والعناية بأمر القوة الحربية وتعليم النساء .

واقترح المنار تاليف جمعية اسلامية تحت حماية الخليفة يكون مقرها مكة المكرمة ولها شعب فى سائر البلاد وجريدة مخصوصة وتقوم الأصول على التوحيد فى العقائد والتعاليم الأدبية والأحكام القضائية والتربية والتعليم وتلافى البدع والتعاليم الفاسدة واصلاح الخطابة والدعوة الى الدين .

والنتائج هى اتحاد الحكومات الاسلامية ، ان سبب النهضة التى

---

(١) المنار مجلد ١٠ — ١٩٠٧ م .

تجمع الأسباب كلها هو تعميم التربية العملية والتعليم الصحيح من الوجهة الدينية الجامعة لمصالح المعاش والمعاد . وأكبر عقبة في سبيل ذلك هو ندرة الرجال القادرين على التعليم الذى نريده والتربية التى نبتغيها .

(٣)

كذلك فقد نقل السيد رشيد رضا كلمات كثيرة من العروة الوثقى الى المنار فيمناسبات مختلفة مجددا هذه الدعوات الحارة ومن ذلك ما نقله فى المجلد الثانى من فهم صاحبى العروة للاسلام وذلك قوله :

الديانة الاسلامية وضع أساسها على طلب الغلب والشوكة ، ورفض كل قانون يخالف شريعتها ونبذ كل سلطة لا يكون القائم بها صاحب الولاية على تنفيذ أحكامها ، فالناظر فى أصول هذه الديانة ومن يقرأ سورة من كتابها المنزل يحكم حكما لا ريب فيه بأن المعتقدين بها لابد أن يكونوا أول ملة حربية فى العالم وان يسبقوا جميع الملل الى اختراع آلات المقاتلة واتقان العلوم العسكرية والتبحر فيما يلزمها من الفنون كالطبيعة والكيمياء وجر الأثقال والهندسة وغيرها ومنتأمل فى آية (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) أيقن أن من صبغ بهذا الدين فقد صبغ بحب الغلب وطلب كل وسيلة الى ما يسهل لها سبيلها والسعى اليها بقدر الطاقة البشرية فضلا عن الاعتصام بالمنعة والامتناع من تغلب غيره عليه ومن لاحظ ان الشرع الاسلامى حرم المراهنة الا فى السباق والرماية انكشف له مقدار رغبة الشارع فى معرفة الفنون العسكرية والتمرن عليها . ولكن مع كل ذلك تأخذه الدهشة من أحوال المسلمين المتمسكين بهذا الدين لهذه الأوقات اذ يراهم يتهاونون بالقوة ويتساهلون فى طلب لوازمها وليست لهم عناية فى فنون القتال ولا فى اختراع الآلات حتى فاقتهم الأمم سواهم فما كان أول واجب عليهم واضطروا لتقليدها فيما يحتاجون اليه من تلك الفنون والآلات .

(مقدمة الجزء الثانى من العروة الوثقى)

الباب الثاني

مجلة المنار : محمد رشيد رضا

مدخل : عرض عام لخطة المنار واهدافها .

الفصل الأول : من نشاة المنار الى وفاة الأستاذ الامام .

الفصل الأول : من نشاة المنار الى وفاة الأستاذ الامام .

الفصل الثالث : الى سقوط الخلافة الاسلامية .

الفصل الرابع : المنار الى وفاة الشيخ رشـــيد .

مدخـــل

عرض عام لخطة المنار واهدافها

صدرت من ٢٢ شوال ١٣١٥ هـ الموافق ... ١٨٩٨ م واســتمرت الى ٣٠ محرم ١٩٥٤ الموافق مايو ١٩٣٥ (٣٤ مجلدا) خلال ثلاثة وثلاثين عاما ، اصدرها السيد محمد رشيد رضا في القاهرة وظل يصدرها الى حين وفاته (في نفس العام) وقد نوه على صدر صفحتها الأولى انها « مجلة شهرية تبحث في فلسفة الدين وشئون الاجتماع والعمران ») .

وقد كشفت منذ عددها الأول عن هدفها الذى يتمثل فى العنـــاصر الآتيـــة :

ــ الاصلاح الدينى والاجتماعى لأمتنا الاسلامية .

ــ اتفاق الاسلام مع العلم والعقل وموافقه لمصالح البشر فى كل قطر وكل عصر .

ــ ابطال ما يورد من الشبهات عليه وتنفيذ ما يعـزى من الخرافات اليـــه .

ــ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وفى البدء طبع الف وخمسمائة نسخة من كل عدد ارسلت الى البـــلاد المصرية والسودانية وكانت لا تلقى رواجا فى أول الأمر ، حتى كانت السنة الخامسة للمنـــار ١٩٠٢/١٣٢٠ مبدأ رواجه وسعة انتشاره ، وقد بدا على هيئة جريدة اسبوعية ذات ثمان صفحات كبيرة كانت تحمل برقيات الأسبوع وبعض الأخبار ثم وضع فى شكله المجلد (الحجم ٧٠ فى مائة المعروف الآن) فى السنة الثانية واعيـــد طبع السنة الأولى وفق هذا الحجم الذى استمرت عليه المجلة الى نهايتها .

يقول : وما زاد المشتركون عن ٣/١ الألف الا قليلا ، وما كان انتقاص عملى منتقصا شيئا من أمالى ولا زهد آلامه فى المنار باعثا على جعله طعاما للنار بل كنت أحرص عليه حاسـبا أن الناس سـيعودون اليه ، وقد عاد الناس فعلا وبدءوا يطلبون مجموعات السنين الماضية ».

قال السيد رشيد رضا فى افتتاحية العدد الأول :

فأنشأت هـذه الجريدة اجابة لرغبة من تنبهت نفوسهم لاصلاح الخلل ومشايعة للساعين فى مداواة العلل ، الذين أرشدتهم تعاليم الدين وهداهم النظر فى الآيات الكونيـة . فتكون الجريدة وصـل بينهم وبين الأمة تبعث بارشادهم روح الهمة فى أفرادها ، وتحيى ميت العبرة فى نفوس أحادهم . ان غرضها الأول الحث على تربية البنات والبنين والترغيب فى تحصـيل العلوم والفنون واصلاح كتب العلم وطريقة التعلم والتنشيط فى مجاراة الأمم المتمدنة فى الأعمال النافعة ، وشرح الدخائل التى مازجت عقائد الأمة والتى افسدت الكثير من عوائدها والتعاليم الخادعة التى ألبست الغى بالرشاد والتأويلات الباطلة التى شـبهت الحق بالباطل حتى صـار الجبر توحيدا وانكار الأسباب ايمانا وترك الأعمال المقيدة توكلا ، ومعرفة الحقائق كفرا والحادا .

ويقول : اقتبسنا اسـلوب الاجمال قبل التفصيل ، وقرع الاذهان بالخطابيات الصادعة عن القرآن الكريم . فافتتاحيات المنار زواخر منبهـة وبينات فى الاصلاح مجملة ترشد المسلمين الى النظر فى سوء حالهم وتنذرهم الخطر المهدد لهم فى اشتغالهم وتذكرهم بما فقدوا من سيادة الدنيا وهداية الدين وما اضاعوا من مجد آبائهم الأولين » .

« صاحب المنار »

ولابد لمعرفة آفاق مجلة المنار من التعرف على صاحبها السيد محمد رشيد رضا : ذلك الشاب الذى ولد فى بلدة القلمون (طرابلس الشام) الذى تعرف على الدعوة الاسلامية من خلال المدرسة السلفية المبثوثة فى الشـام من أمثـال الشـيخ حسـين الجسر ، هـذه المدرسـة التى تعرفت الى جمال الدين الأفغانى ومحمـد عبده والى كتاباتهما فى مجلة العروة الوثقى التى كانا يصدرانها فى باريس فى مطالع القرن الثالث عشر الهجرى وقد قرأ رشيد رضا فصول (العروة الوثقى) وتأثر بها وحاول الاتصال بالسـيد جمال الدين الأفغانى خلال اقامته فى استانبول ، فلما سـبق القدر بوفاته اتجه الى الاتصال بالشيخ محمد عبده فى نفس العام ١٣١٥ هـ/١٨٩٧ م فى القاهرة ولم يلبث أن عرض وجهة نظره فى اصدار مجلة اسلامية على الشيخ الامام فأصدرها متوجهة فى العـام الثانى فى شـوال ١٣١٥ هـ الموافق ١٨٩٨ م .

وبذلك ارتبطت الدعوة الاسلامية بين (الشام ومصر) على هدف واحد ، ومن خلال هذه المدرسة ظهر عديد من الدعاة أمثال عبد الرحمن الكواكبى ، والقاسمى ، والرافعى ، و (الزهراوى) صاحب مجلة الحضارة وظاهر الجزائرى .

وقد امتدت حياة الشيخ رشيد رضا مع مجلة المنار الى نهاية المطاف خصبة عامرة بالعمل الاسلامى ، عن طريق الصحافة الاسلامية ونشأت فى خلال هذه المرحلة المجلات الاسلامية التى سارت على نفس الطريق ،

ريادة المنار للصحافة الاسلامية

وكانت المنار رائدة حقا فى رسم الطريق الصحيح للصحافة الاسلامية من حيث عنايتها بالجوانب المختلفة :

أولا : دراسة العقيدة الاسلامية : فى مجال تفسير القرآن والسنة والفقه والفتاوى .

ثانيا : دراسة احوال المسلمين فى العالم الاسلامى كله وخاصة البلاد الاسلامية فى معركتها المواجه للاستعمار .

ثالثا : ظهور حزب الاصلاح الاسلامى الذى قاده الشيخ محمد عبده ومضى فيه رشيد رضا وتلاميذ الامام ، وتبلور مفهوم واضح للاسلام من خلال الفهم المنبعث من المنابع الأصيلة .

رابعا : متابعة أحوال ونشاط الجمعيات الاسلامية فى مصر وتونس والعالم الاسلامى .

خامسا : دراسة المجتمع الاسلامى وأحوال المرأة واصلاح المحاكم الشرعية ومختلف ما يتصل بالقمار والخمر والزنا والترف والفساد الاجتماعى جملة .

سادسا : التربية الاسلامية واصلاح التعليم والجامع الأزهر وشئونه

سابعا : مواجهة التحديات والأخطار المنبعثة من الدعوات الهدامة كالبهائية والقاديانية والرد على كتابات الغربيين من خصوم الاسلام .

ثامنا : المؤلفات الاسلامية والتراث المجدد . وقد عنيت المنار بتقديم عرض للمؤلفات الاسلامية الحديثة وما يتجدد من كتب التراث التى كان للمنار وللشيخ محمد عبده دور كبير فى احيائه .

تاسعا : (الاهتمام باللغة العربية) التعرض للأدب والشعر والبلاغة وفنون الادب المختلفة ونشر قصائد الشعر الجيد .

عاشرا : التعرض لوجهة نظر الصحافة الاسـلامية من المجـلات والصحف اليومية وخاصة ما يتصل بصحف الحزب الوطنى وغيرها .

رسـالة المنـار

ولم تتوقف المنار عن التعريف برسالتها فأشار محررها الى ما امتازت به جريدة المنار بالتنويه المتواصل [بأن الاسلام جاء بتعاليم كافيـة لعروج الأمم الى سماء السيادة العليا وبلوغها مراتب السعادة القصوى لأنهـا أبطلت جميع الاعتقادات التى تحول بين الانسان وبين كماله ، ان أمة هذه قواعد دينها لا يصلح حالها الا بالتمسك بها وما كنا ممن يسند الى الاسلام ما ليس فيه فان الدين نفسه يحظر علينا هذا ، كيف وقد اعترف للاسـلام بمزاياه الشريفـة جميع الناظرين فى التاريخ والباحثين فى الملل والشرائع بالانصاف من غير المسـلمين حتى ان ذلك ليفيض من أنابيب اقلامهم فيما يكتبون] م١/

ويقول : أنشـأنا المنار من اجل الاصـلاح الدينى والاجتماعى لأمتنا الاسلامية وبيان اتفاق الاسلام مع العلم والعقل ومواقفه لصالح البشر فى كل قطر وابطال ما يورد من الشبهات عليه وتفنيـد ما يعزى من الخرافات اليـه .

ويقول : « اننى لم أنشىء المنار ابتغاء ثروة أتأملها ولا رتبة من أمير او سلطان أعمل بها ولا جاه عند العامة أو الخاصة أباهى بها الأقران بل لأية فرض من الفروض ، يرجى النفع من اقامته وتأثم الأمة كلها بتركه فلم أكن أبالى بشىء الا قول الحق والدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فكنت اذا أصبت هذا بحسن عملى واجتهادى نسـيان رضى الناس أم سخطوا ، قبلوا المنار أم رفضوا » .

الفصل الاول

من نشاة المنـــار الى وفاة الأستاذ الامام

المجلد الأول (١٣١٥ هـ ـ ١٨٩٨ م)

تمثل المنار فى هـــذه المرحلة نموذجا من الصحافة الاسلامية المرتبطة بملهج الأستاذ الامام وتحركاته وصداقاته ووجهة نظره فى مختلف القضايا وخاصة بالنسبة للحركة الوطنيـــة والقصر والنفـــوذ الانجليزى وخطتـــه فى العمـــل فى سبيل انشـــاء حزب الاصـــلاح الاسلامى ، وقد اشار السيد رشيد رضا الى اهداف المنار فى العدد الأول على هذا النحو :

١ ـ الحث على تربية البنـــات والبنين .

٢ ـ الرغبة فى تحصيل العلوم والفنون .

٣ ـ التنشيط فى مجاراة الأمم المتمدنة فى العلوم النافعة .

٤ ـ طروق أبواب الكسب والاقتصاد .

٥ ـ شرح الدخائل التى مازجت عقائد الأمة والأخـــلاق الرديئـــة التى أفسدت كثيرا من عوائدها والتعاليم الخادعة التى ليست ألفى بالرشد والتأويلات الباطلة التى شبهت الحق بالباطل .

وكان رشيد رضا يكرر دائما عبارته : ان الصحيفة الناجحة لا تكون كذلك الا « اذا جاءت بمشرب جـــديد » ، وقد اعترف صاحب هـــذا الرأى بأنه جاء ببيان الأمراض الاجتماعية التى طرأت على الأمة الاســــــلامية والشرق كله والبحث فى أسبابها وعلاجها ، والأخطار التى تتهـــدد الشرق كله والمسلمين فيه والاعتصام بالدين القويم ، والاعتصام بحبل الخلافة ، وعلم العلماء ، وتأليف الشركات المالية ، وتعميم المدارس للبنين والبنـــات وطبع المؤلفات النافعـــة وانشاء المنتديات العلمية ، كما أشار الى مضرة مذهب التصوف ، من الافراط فى الزهادة وترك العمـــل للدنيا ، وان شدة زهادتهم فى الدنيـــا كانت سببا لزهادة المسلمين فى الدنيـــا والآخـــرة . وكان سببا فى تزايد النزعات الوثنية فى المسلمين بسببهم (م ١ ـ ١٨٩٨).

المجلد الثانى (١٣١٦ — ١٨٩٩)

وفى العام الثانى تابع الشيخ رشيد رضا دعوته على نفس الأهداف التى رسمها فى العام الأول .

وكان أبرز أحداث العام مظالم هولندا فى جاوه والحديث عن الاسلام فى البرازيل واليابان ومستقبل الاسلام فى الصين ومراكش والهند ، ومقدونيا والمسلمون فى روسيا .

وكان من أهم ما أولته اهتمامها ثورة الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية فى اصلاح المحاكم الشرعية ، وتأييد كتاب تحرير المرأة لقاسم أمين ، والحديث عن الجامعة الاسلامية وتاريخها .

وقد أشار صاحب المنار الى أهداف المنار مجددا وعرضها فى أربعة عناصر :

١ — تبين البدع التى مازجت العقائد والمفاسد التى عرضت للسجايا والعوائد .

٢ — وتهدى لعلاج هذه الأمراض الروحية والأدواء الاجتماعية بكشف الحجاب عن وجوه التربية النافعة وتسهيل سبل التعاليم الناجعة .

٣ — وتختار من الآثار العلمية والأدبية والنوادر الفكاهية ما ترتاح له النفوس وتنجلى على نزاهة الهموم والبؤوس .

٤ — أما جوانب الأخبار وحوادث الأقطار والأمصار فنذكر منها اهم ما يعين ، سائقين منهج المؤرخ العادل من غير طعن ولا تحامل .

فالخدمة الصحيحة للدولة والأمة انما تكون بتبين الرشد من الغى وتمييز الخطأ من الصواب والتزييل من النافع والضار .

المجلد الثالث (١٣١٧ — ١٩٠٠)

واصلت المنار مهمتها بحماس وايمان شديدين ، فى مختلف المجالات وأولت اهتمامها للتربية فأفردت لها باب واسعا تحدثت فيه عن تربية الاستقلال ومضار القهر والالزام ، وتحدثت عن التربية وعلم الأخلاق وعن التعليم فى الأزهر وعن الجمعيات الاسلامية التى بدأت تنمو فى مصر وخاصة الجمعية الخيرية الاسلامية ، وقد بدأت المنار مواجهة الدعوات

الهدامة وخاصة البهائية ، كما جاء رد الشيخ محمد عبــده على اتهامات هانوتو .

وفى هــذا العــام جرى العفو عن محمود سامى البارودى ، وتوفى عثمان باشا الغازى وظهرت الدعوة السنوسية وتحدثت عنها المنار .

وقد وضعت المنار على صدرها رمزا متمثلا فى الحديث الشريف :

« ان للاسلام صدوى ومنارا كمنار الطريق » .

وفى مجال الاصلاح الاسلامى تحدثت المنار عن دعوة الشيخ محمــد عبــده ومطالبه بوضـــع تقرير يشخص من امراض الأمة الاسلامية كلهـــا ويصف دواءه ، وقد وعد الأســـتاذ بتأليف كتاب خاص فى هـــذا الغرض يسميه « الاســـلام والمسلمون » ولم تزل عوائد الزمان وصوارف البيئـــة والمكان تحول دون الشروع فيه ، كما اقترح السيد رشيد رضا عليه تأليف تفسير على الوجه الذى يقرأه فى الأزهر يبين فيه أمراض الأمم الروحيـــة والاجتماعية ويرشده الى علاجها .

ومن أبرز معالم هذا العام بدأ نشر تفسير الشيخ محمد عبده الذى كان يقرأه فى الرواق العباسى بالأزهر مع مقدمة تمهيدية له .

وقد كان من أبرز أبحاثها فى هذا المجلد ما كتبه تحت عنوان : إعادة مجد الاسلام : تساءلت فيه كيف يعود للاسلام مجده .

المجلد الرابع (١٣١٨ هـ — ١٩٠١ م)

فى العام الرابع للمنار واصلت المجلة رسالتها على النحو الذى رسمته منذ اعدادها الأولى وكان الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية فى هـــذا العام بارز الأثر فى حركة الاصلاح الاسلامى ومضى رشيد رضا على اهتمامه بالدولة العثمانية ونقدها نقدا خفيفا متصلا دون أن يكشـــف خصومته لها أو ولائه للاتحاديين الذين كان لهم فى القـــاهرة تجمع برأسه السيد رفيق العظم ، ومضى فى مهادنته للورد كرومر وفى نشر دروس التفسير التى يلقيها الامام فى الرواق العباسى ، وفى متابعة تامة للبدع والخرافات والتقاليـــد ومهاجمتها وفى العناية بالجماعات الاسلامية ، وقد اهتم المنار بالرد على مشروع التعليم باللغة العاميـــة الى عرضـــه القاضى ويلمور والذى شغل الصحافة طويلا .

وفى هذا العـــام بدأت الحديث عن الصهيونية (يناير ١٩٠٢) حيث تكشفت بعض الوثائق عن انجمعية الصهيونية فى أوربا ومساعيها فى اعادة السلطة والملك الى شعب اسرائيل وعرف أن هـــذه الجمعية بدأت منـــذ عام ١٨٩٧ حيث عقد مؤتمر بال ، كما نشرت فى هذا العام فصول الكواكبى التى هاجم فيها السلطان عبد الحميد ، والتى لم تلبث أن توقفت عندما أجرى الخديوى الصلح مع السلطان فى سبتمبر عام ١٩٠١ ، وفى هـــذا العـــام أيضا توالت مؤلفات محمد طلعت حرب ومحمد فريد وجـــدى فى الرد على قاسم أمين ووقف المنار فى صف قاسم أمين وأنشأ الزهراوى كتابه عن الفقه والتصوف ، وفى هذا العام أيضا نشرت رسالة القس اسحق طيلر الضافية عن الاسلام فى انجلترا ، وكان قد كتبها فى انجلترا (ابريل ١٨٨٨) .

وقال السيد رشيد رضا فى ختام العام : قبلة المنار الاصلاح الدينى واقامة القرآن ومذهب السنة وسيرة السلف الصالحين والأئمة المجتهدين وهو خصم الد لجميع البدع والخرافات والتقاليد والعادات التى التصـــقت بالدين وفى يقينـــه أن الشرق لا يصلح الا بصـــلاح المسلمين وان المسلمين لا يصلحون الا بالرجوع الى سيرة السلف الصالح فى دينهم من غـــير زيادة أو نقصان ومجاراة الأمم الحية فى دنياهم وأخذهم بجميع فنونها وعلومهـــا وصنائعها ، فالاصلاح الدينى هو الذى ينفخ منهم روح الاتحاد الاجتماعى .

وركز على « فريضـــة الدعوة الى الحق والأمر بالمعـــروف والنهى عن المنكر » وأن يوفق أمراءنا وحكامنا للبذل والامداد واصلاح حال البـــلاد وعلماءنا للهدى والرشاد وأغنياءنا للبذل والامداد وان يوفق الوالدين لتربية الأولاد وتنفخ فى الجميع روح الاجتماع والاتحاد .

المجلد الخامس (١٣٢٠ هـ — ١٩٠٢ م)

واصلت المنـــار رسالتهـــا فى عزم وقوة فوالت كتاباتها عن قضية المسلمين الكبرى : قضية ضعف المسلمين وأسبابه ، والاصلاح الاسلامى وعرضت لأمراء المسلمين واهمالهم الدين وأولت اهتمامها بالتربية الاسلامية وكشفت عيوب التعليم العصرى وفساده وحاولت أن تتحـــدث عن بديل له تقدمه الجمعية الخيرية الاســـلامية ، ولم تتوقف عن الحديث عن اصـــلاح التعليم فى الأزهر ، وعارضت أفكار الصوفية وما يتعلق بالجن والخوارق والشـــفاعة والقطب والـــكرامات ، وهاجمت الفلسفة الالهيـــة والمفاهيم

العقلية المنحرفة التى جاء بها الاعتزال والكلام ، ودافعت عن مفهوم السنة الجامعة الصحيحة ، كما عرضت لمقارنات الأديان فى باب متصل عن شبهات المسيحيين وحجج الاسلام ، كما تناولت الرد على الكتاب الغربيين الذين يهاجمون الاسلام وكشفت فى فصول متعددة فضل المسلمين على الحضارة .

وكان أبرز موضوعاتها الرد على الاحتفال بتذكار مرور مائة سنة على محمد على باشا فنشرت فصلا مطولا (بدون توقيع وان عرف ان كاتبه هو الشيخ محمد عبده) قال : محمد على لم يؤسس دينا ولم يكن امام مذهب فى دين ، وانما أسس ملكا عضودا بسفك الدماء والقوة والحروب . ان تأسيس محمد على حكومة فى بلاد مصر كانت مقدمة لدخول الأجانب فيها واحتلالها اياها . فان محاربة الدولة العثمانية كانت مصدرا لاظهار ضعفها للبرية ، ومحاربة الوهابيين وخضد شوكتها وابطال امتداد دعوتهم . كانت دولة محمد على دولة ظالمة منذ أسست الى أن تولى الأوربيون السيطرة عليها فكان الظلم مصدرا لزوالها وقد زالت دولة المماليك الظالمة الغاشمة . هذا النظام كان مقدمة وتمهيدا لدخول مدنية أوربا الى أوربا ونشر مدنيتهم والقاء سيطرتهم عليها بالاحتلال الانجليزى والخروج على الدولة العثمانية ومحاربتها وقهرها واظهار ضعفها . والخواص يعلمون أن الوهابيين كانوا قائمين باصلاح اسلامى لو تم لعاد للاسلام مجده الأول والذين وسوسوا لمحمد على بمحاربتهم هم الأوربيون الذين ينظرون الى غايات الأمور وعواقبها ، أما ما شاع فى بلاد الشام والحجاز أن الوهابيين خارجون عن السنة وملحقون بأهل البدعة فسبب بعض المصنفات التى لفقها العلماء الرسميون المضانون للحكام ، وقد كتب أربعة من الأعلام مقالات فى أول العام الهجرى ١٣٢٠ عن مستقبل الاسلام : فريد وجدى ، رشيد رضا ، محمد عبده ، أحمد توفيق البكرى . ودخلت المنار فى هذا العام فى مساجلات مع صاحب الجامعة ، مع الكاتب الفرنسى رينان ، مع هانوتو .

وفى هذا المجلد تناول صاحب المنار الترجمة للكواكبى ومحمد على الكبير .

المجلد السادس (١٣٢١ هـ — ١٩٠٣ م)

وفى العام السادس كانت ابرز الأحداث زيارة الشيخ محمد عبده لأوربا والجزائر وتونس ونصيحته لأهلها كما توغلت الأبحاث فى كشف حلقات التغريب والغزو الثقافى فى ميادين ثلاثة :

أولا : دراسات عن بولس وتغييره دين المسيحية نقلا عن كتاب الأناجيل للفيلسوف تولستوى ، وعن النصرانية وزلزالها فى اوربا .

ثانيا : بحوث فى نقد التوراة .

ثالثا : بحوث عن البهائية والبابية بفارس .

رابعا : الماسونية واليهود .

كما اتسعت الأبحاث حول صلة العرب بالدولة العثمانية : والعرب والخلافة وسكك حديد الحجاز والخلافة والسلطان والعرب والدولة .

كمابدأ رشيد رضا فى التنبه الى ما فى روايات جرجى زيدان من اخطار ونقد روايتى فتاة غسان وفتح الأندلس .

وقد اشار السيد رشيد رضا فى افتتاحية العام الى ما أسماه : انتقال من طور الحذر والسبات الى طور الحيرة والشتات . والحيرة والشتات خير من خدر الحواس وفقد الاحساس لأنها من علامات الحياة . فقد ذهب قوم الى أن وقاية المسلمين من الخطر انما تكون بالاعتماد على الأمراء والسلاطين والاستماتة فى الخضوع لهم وتقديس سلطتهم وملوكنا وان جاروا هم القابضون على بقايا ما عندنا من القوة التى تطامح بها تلك القوى . وذهب آخرون الى أن الملوك والأمراء قد استبدوا بسياسة الأمة بدون مشاورتها قرونا طويلة ، فما كان منهم الا ان اوقعوها فى هذا الضعف والهوان والفقر والخزلان والجهل بأمر الدنيا والدين . وواجب على الأمة مقاومة استبدادهم ، ومقاومة استعبادهم والزامهم المشاورة فى الأمر وتقييد السلطة فى الحكم (والمعتقد أن هذا الكلام موجه الى الدولة العثمانية) .

يقول وقد انشىء المنار لمساعدة العقلاء على السعى فى تكوين الأمة عن طريق التربية الملية والتعليم النافع وقد ركزنا الحث على التربية والتعليم ويجب على العلماء والكتاب أن يوجهوا عنايتهم الى تكوين الأمة ويجتهدوا

فى ذلك قولا وعملا . لهذا كان الاصلاح الدينى شرطا فى الاصــلاح المدنى أو شرطا منه فى وضــع الاســلام ، ومن مقدمات الاصلاح احياء اللغــة اذ لا أمة بدون لغة حية ومنها ازالة حجب الغرور عن حقــائق الأمور ، ويقول : ان المنار قد جاء بمشرب جديد يستعذبه الأقلون ويمجه الكثيرون ، أولئك هم أسرى التقليد .

المجلد السابع (١٣٢٢ هـ — ١٩٠٤ م)

والى المنار اهتمامه بأخبار العــالم الاسلامى واتسع بريده فى عرض قضايا المسلمين فى أجزاء كثيرة من العالم فضــلا عن أخبــار بلاد العرب ونجد والسودان والدولة العثمانية ، فان هناك رسائل متصلة عن مراكش وسيراليون وفارس وزنجبار والهند وفارس والعراق والحــرب الروسية اليابانية والقوقاز واليمن .

ووالت اهتمامها بالدعوات الهدامة فقدمت ابحاثا مطولة عن البابيــة فى فارس وكشفت شبهات التبشير فعرضت لكتاب (تنوير الأفهام فى مصادر الاســلام) وتحدثت عن الاصــلاح فى فارس . وعن الامتيازات الأجنبية والأسطول الثــانى وعن الدروز وعقيدتهم وعن شريف مكة وعن فرنســا والأزهر حيث نقلت مقالا كتبه أحد الفرنسيين وردت عليه وأولت اهتمامها بالدولة العثمانيــة كما ركزت على الاصــلاح الاسلامى وخاصة فى مصر وفى شأن التعليم والتربية الاسلامية وشئون الأزهر والقضــاء الشرعى . ولم تتوقف عن معارضة مفاهيم الطرق الصــوفية ، ومفاهيم أهل الــكلام فى نفس الوقت فى محاولة لتقديم مفهوم أهل السنة والجماعة صحيحا .

وتحدثت المنار عن علماء العصر ، والدين والسياسة .

وتحدثت عن أحداث نجد وانتصار ابن السعود على ابن الرشيد ، واعلان عبد العزيز آل سعود الولاء لدولة السلطان عبد الحميد الثانى ، ودعوته لاقراره على امارة نجد الموروثة له والا تقبل الدولة العلية فى بلاد العرب ما يزعزع ثقتهم فيها واذا وثق بها أهل نجد سهل عليها حل عقــدة اليمن كذا عقدة الكويت ، وقد وضح اهتمام المنــار بانتصار ابن ســعود وتأييده له ودعوة الخليفة لقبول ولايته ، كما أولت اهتمامها بالفتــاوى ، فقدمت الردود التى كتبهــا الشيخ محمــد عبــده عن الأسئلة الباريسية والزنجبارية والهندية ، وكانت الفتوى الترنسفالية فى حل ذبيحة النصارى

فى تلك البلاد ، وحل لبس القلنسوة الافرنجية لحاجة أو ضرورة ، وكيف تحل صلاة الشافعى خلف الحنفى ، وعرض لتراجم المتوفين فى هذه الفترة والقضايا المثارة حول الشخصيات البارزة أمثال قضية على يوسف ، واستعراض عباس لجيش الاحتلال والى جواره كرومر ، واقتراض سلطان مراكش من فرنسا واقامة جوقة من المطربين والمطربات ، كما أشار الى الوفاق الودى الذى عقد بين بريطانيا وفرنسا وقال ان الوفاق قضى فيه على مصر بسوء سياسة الأمراء الحاكمين الذين استبدوا فى الأمة واذلوها حتى فقدت الاستقلال الشخصى والقومى ثم سلطوا عليها أوربا وأعطوها من الامتيازات . وعرض المنار لعديد من الكتب الاسلامية الجديدة وكتب التراث والصحف وكشف أخطاء جرجى زيدان فى كتابه (تاريخ التمدن الاسلامى) وكشف عن اهتمام شاهين مكاريوس بكتابه تاريخ اليهود وتاريخ الماسونية العميلة ، ومما يذكر أن جرجى زيدان لم يلبث أن كتب عن الماسونية ايضا . وتحدثت المنار عن نمو الجمعية الخيرية حيث بلغت ايراداتها ١٣٣١ جنيها بالاضافة الى ١٢٢٣ جنيها من ريع الأطيان (٢٨٠ فدانا) وانفق على التعليم ٢٤٥٩ جنيها ، واعانة الفقراء ٣٧٣ جنيها .

وفى فاتحة المنار أشار السيد رشيد رضا أنه أنشىء لخدمة الأمة والدفاع عن الملة . وقال : انتشر المنار فى جميع الأقطار ولا يزال انتشاره فى نمو مستمر من غير سعى ولا دعوة تذكر وبدا لنا من الناس ما علمنا به علم تجربة واختيار انه لا ينبغى ان يوثق بكلام أحد فى أمور الجد والأعمال العامة التى لاحظ فيها أهواء الأفراد الا من شهدت له الأعمال والأخلاق بالاختبار الصحيح وقليل ما هم . وقال : ان من يريد أن يحترم دين الله وعيال الله أن لا يعتمد فى نجاح عمله الا على تحرى الحق والخير والعلم بحاجة الأمة الى خدمته .

ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لثلاثة : على يوسف ، ومحمد شاكر ، وحسين الجسر .

المجلد الثامن (١٣٢٣ هـ — ١٩٠٥ م)

واصل المنار رسالته فى تحرير العقيدة الاسلامية من التحريف وذلك بكشف الفرق المنحرفة امثال البابية والبهائية ومعارضة البدع التى تقوم بها الطرق الصوفية وخاصة فيما يتعلق بالتأويل والخرافات

وتحدث عن مشايخ الطرق ، وعلماء الرسوم ومذهب السلف ، كما تحدث عن ذم الخوض فى علم الكلام ، كما أولى اهتمامه بالتعليم الاسلامى ، وتعليم اللغات .

وكتب عددا من الفصول عن كشف زيف دعاوى التبشير المسيحى فى مواجهة مفاهيم الاسلام وتصدى الدكتور محمد توفيق صدقى لمقارنات الأديان فى فصول تحت عنوان (الدين فى نظر العقل الصحيح) وتداول ٤٠ شاهدا من الكتاب المقدس على تناقضه واختلافه (ص ٧٤٣) كما عرض للشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية بمناسبة كتاب على بك أبو الفتوح الذى قال ما أجدر الحكومات الاسلامية باستنباط قوانينها وأحكامها من الشريعة مع اختيار القول الأكبر مناسبة للزمان والمكان وأشار الى كتاب الخراج للامام أبى يوسف المتوفى عام ١٨٢ ، ومن أكبر أحداث هذا العام وفاة الشيخ محمد عبده (مايو ١٩٠٥) وكان هذا الحدث هاما بالنسبة للمنار التى قدمت أبحاث متعددة عن الشيخ المفتى الذى كان قد استقال قبل وقت قريب من المجلس الأعلى للأزهر بعد (يأسه من الاصلاح وادخال العلوم الحديثة) ، وذكرت الصحف أن النفوذين الفرنسى والانجليزى يعاديان الامام فى الاصلاح ، وكان الشيخ محمد عبده قد حاول اصلاح التعليم فى الأزهر وقد قرأ فيه أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز كما قرأ شرح التلخيص للشيخ البرقوقى . وقد أشار المنار الى :

١ — التفسير والأستاذ الامام .

٢ — الامام والثورة العرابية .

٣ — جمعية احياء العلوم العربية التى أنشأها الشيخ محمد عبده .

٤ — الانجليز والشيخ محمد عبده .

واهتم المنار فى هذا العام بانتشار الدعوة الاسلامية فى العالم وخاصة فى الصين واليابان .

واهتم بمذهب السلف ورد على أخطاء الفرق وتحدث عن علم الكلام ، وتحدث عن أعداء الامام فى الأزهر كالشيخ عليش ، وغيرهم ممن أسماهم المنار علماء الرسوم ، كما عرضت لعدد من المؤلفات الجديدة .

ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد للشيخ محمد عبده ، وعلى أبو الفتوح .

وفى افتتاحية المجلد الثامن يتحدث الشيخ رشيد رضا حيث قال :

انه ما وقع تغيير الا بدعوة ، وان دعاة الخير والاصلاح فى كل أمة كانوا ممقوتين من أصحاب السلطة مضطهدين من رؤساء الأمة ، أولئك الذين حبس خيارهم مثل الامام أبى حنيفة حتى مات فى السجن وجلدوا الامام مالكا والزموه بيته حتى ترك الجمعة والجماعة واضطروا الامام الشافعى الى الفرار من بغداد خوفا على دينه أو نفسه ووطئوا الامام أحمد بالنعال وما زالوا من تلك العصور يفتنون أهل العلم والتقوى حتى تم لهم بطول الزمان افساد الدين والدنيا .

وقال : ان انتقال الأمم من حال الى حال لا يكون من الرؤساء المترفين ولا يأتى باختيار الأمراء والسلاطين ، وانما يكون بتغيير أفراد الأمة ما بأنفسهم من الأفكار والعقائد والأخلاق والسجايا .

فاذا غير المسلمون ما بأنفسهم بالتدريج يغير الله ما كان بهم من عزة العلم والقوة وسيادة العدل والفضيلة ولن يغير ما هم الآن فيه الا بعد الرجوع الى ما كانوا عليه وشرطه قلع جراثيم التقليد واجتثاث شجرة التعصب للمذاهب وأساسه جمع كلمة الأمة وتحقيق معنى الوحدة ، ولا يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها كما قال الامام مالك بن أنس صلح أول هذه الأمة بهدى كتاب الله وسنة نبيه ، وهداهم ذلك الى كل اصلاح صورى ومعنوى .

قطع الآمال من السياسة والسياسيين وترك الاتصال بالرؤساء والحاكمين والانخداع لأنصارهم وأشياعهم لئلا يصرفوكم عن الجد باصلاح النفس الى الهزل بارضاء الحس فانهم طلاب مال وجاه وطلاب رتبة ووسام وأصحاب أوهام .

أدعوكم الى حقيقة الاسلام والتأليف بين المسلمين .

وأشار الى ما كان قبل صدور المنار من حيث كانت الصحف تطعن فى القرآن وتشنع على شريعة الاسلام ، ولم توجد فيها صحيفة اسلامية ترد شبهات الطاعنين وتؤيد العقائد بالحجج وتبين حكم الأحكام وانطباقها على مصالح البشر فى كل زمان ومكان حتى اذا انشىء المنار نقم منه المتجرون بالدين ونقده المبتدعون وهاج عليه أصحاب المذاهب المبغضون لأنه يقول ان الوهابية السلفية والأشاعرة والماتريدين والشيعة والاباضية كلهم

مسلمون وانه يجب عليهم تحـكيم الكتاب والسنة فيما هم فيـه مختلفون
ان الدين من حاجات البشر الطبيعيـة وقوة من أعظم قواتهم المعنـوية .
ان الاعتقاد فى الأمة قوة لا تغالب .

وأشار الى ما ذكرته المؤيد عن المنار : أمضى سنوات هـذه المجـلة مثابرا على الخدمة الملية الصحيحة محاربا البدع المضللة ، يبارز المبتدعين غير هياب ويعتمـد فى أبحاثه غالبـا على الحق الغالب من مفاهيم السنة والكتاب ، ولذلك كان كلامه مرا على أذواق الذين يخلطون الدين بغـيره ويظنون أو يزعمون انهم ائمة أهله .

الفصل الثانى

المنـــار : الى الحرب العالمية الأولى

بعــد وفاة الأستاذ الامام مضى المنـــار فى طريقه حاملا لواء رسالة الاصلاح كما بداها الشيخ محمد عبده وعلى هدى من الخطة الجامعة بينه وبين جمال الدين الأفغانى ، وقد صمد السيد رشيد فى هذا المجال صمودا قويا وواصل اتمام التفسير والفتوى ومواجهـــة أحداث العـــالم الاسلامى وقضاياه والكشف عن سموم التبشير والتغريب والغزو الثقـــافى على نحو قوى ، وحاول الاستفادة من الدولة العثمانية لتحقيق هدفه فى بناء مدرسة الارشاد وتخريج الدعاة بعد سقوط السلطان عبد الحميد وقيام الاتحاديين ولكنه ما لبث أن اكتشف عداء الاتحاديين للاسلام فهاجمهم هجوما عنيفـــا وقصر عمله على مصر وان ظلت أجنحته ممتدة بالدعوة والارشاد من جاوة الى المغرب فى قوة واتصال .

المجلد التاســع (١٣٢٤ هـ — ١٩٠٦ م)

توســـع اهتمام المنار بتصحيح العقيـــدة وبيان مذهب اهــل السنة والجماعة بمراجعـــات واســـعة مع كل الفرق والآراء ومهاجمـــة الطـــرق وتقاليدها ، والكشف عن الفوارق بين المقـــلدين والمصلحين فى تصحيـــح العقيـــدة ومناقشة الشـــيخ محمـــد بخيت عن نظـــرياته فى الفونغـــراف والسكورتاه .

ومتابعة تاريخ الأستاذ الامام ونشر ما ذكره كرومر فى تقريره عام ١٩٠٥ عن حزب الشيخ محمد عبده والأمل المعقود عليه .

ويواصـــل رسالته فى التربيـــة الاسلامية والعناية باللغـــة العربية ومهاجمة الفكر الوافد والاستشراق والتبشير ، وبدع المتصوفة وفرق البابية والبهائية ويطلق عليها اسم (الباطنية) كما يتعرض للكتب القديمـــة ناقدا اياها . ويتحدث عن الاسلام فى العالم وانتشاره فى اليابان والصين وموقف الغرب من العـــالم الاســـلامى ومن الدولة العثمانية ، وقد عرض لكتاب مرجليوت عن النبى صلى الله عليـــه وسلم وينقد ما جاء فى هـــذا الكتاب ويعنى باتباع حزب الاصـــلاح فيهتم بتولى سعد زغلول وزيرا للمعـــارف

كما نقد ادريس راغب من سروات المصريين الذى اعترض على تعليم الدين فى المدارس ، والمعروف ان ادريس راغب هو رئيس المحفـــل الماســـونى فى القاهرة .

ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد : للشيخ محمد بخيت ، سعد زغلول ، أحمد خان الهنــدى .

***

وقد تحدثت افتتاحية السنة التاســـعة من المنار عن احوال المسلمين فقـــال :

ان المسلمين امســـوا كالريش فى مهب الحوادث وكالغثـــاء فى مجرى ســـيول الكوارث لا رأى لخواصـــهم فيما يراد منهم ولا شـــعور لعوامهم فيما يراد بهم ، وللأجانب فى تصرف حكامنا فى سياســـتنا ويد فى تصريف اموالنا فى مصلحتهم دون مصلحتنا ويد تطبع الأرواح بأخلاق وعادات تنافى آداب ملتنا وتوقع فى العقول عقائد وافكارا تقوض بناء وحدتنا ، فأى شىء بقى فى ايدينا من شؤون امتنا ، اللهم انه يقل فينا من بقى له أذن تســـمع وعين تبصر وقلب يشعر وعقل يفكر ، ويقل فى هؤلاء القليلين من له ارادة تتوجه الى عمل للأمة وثبات فيما تحاول من كشف الغمة . انه لم تستيقظ أمة من نومهـــا ولم تبعث دولة من موتها الا بصيحة نفر من أولى الألبـــاب وتستعفى العقول والآداب الذين يغـــير الله ما فى نفوس أقوامهم بما يلقيه من الحكمة فى ذلاقة السنتهم ونفثات أقلامهم فيستبدلون الاعتصام بالانفصام والاتفاق بالشقاق والوحـــدة بالفرقة ، وبذلك يشعر الأفراد بمعنى الأمـــة ويعملون بالتعاون فيكونوا أمة : ((**سنة الله التى قد خلت من قبـــل وخسر هنالك الكافرون**)) وما (المنار) الا صحيفة أنشئت لتأييد دعاة العلم للأمة والعمل لها سواء منهم من دعا الى الاصلاح معها ومن يدعو اليه معها ولتكثير سواد الدعاة الذين يتعلمون للأمة ويعملون للأمة ، ويحيون للأمة ويموتون فى سبيل الأمة ، مهتدين بهدى كتاب الله المتين وسنة خاتم النبيين والمرسلين الذين هما ينبوع الهداية واتباعهما عنوان السعادة .

ويقول : القرآن حجة على شعوب المسلمين فى هذا العصر بما أصابهم وأصاب دولهم من الخسر الذى جنبـــه الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ، ويأخذ الأمم والدول اياهم اخذا وبيلا ((**ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا**)) .

نعم : ان المؤمن يبتلى ويفتن ، ولكنـــه لا يهن ولا يحزن ، بلْ يصبرَ حتى تكون العاقبـــة للمتقين « **ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين** » .

نعق ناعقون بأنه لا نجـــاة لكم الا بفنـــاء ارادتكم فى ارادة حكامهم ، ولا يتغير ما فى أنفسكم من أوهام وخرافات ، وصاح خطيب فتيه الوطنيـــة انه لا حياة لكم بالرابطة الملية لأنها ممقوتة فى نظـــر أهل المدنية الغربيـــة الذين سـادوا بترك العصبية الدينية. انهم لا يفون بدعوةالوطنية الا العصبية الجاهلية والهوى : أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا وأخذنا الأجانب من ناحية سلطتهم أخذا وبيـــلا فما أغنت عنا ذلة العبودية لهم مثيـــلا . لا سبيل اليه الا باتباع هدايته والسير على سنته فى خليفته، عليكم أن تجيبوا داعى الله وتكونوا من حزب من أعطى العفـــو من ماله لاعـــلاء كلمـــة الله ومواســـاة عياله واتقى أســـباب الفتن والمحن والفواحش ما ظهر منهـــا وما بطن .

واستطرد صاحب المنار يقول : هداية القرآن : الذى دعا الى جميع الأصول التى فيها سعادة الانسان فجعل البرهان العقلى أساس العقـــائد أمام بناء الآداب والأحكام على قاعدة جلب المصالح ودرء المفاسد ، وارشد الى ما لشئون البشر الاجتماعية من السنن الثابتة أو النواميس الطبيعية ، واثبت أن الدين القيم الذى جاء به الاسلام هو اقامة سنن فطرته التى فطر عليها الأنام ، فالاسلام عبارة عن اصلاح العقول بالعقائد اليقينية واصلاح النفوس بالأخلاق المرضية .

أما حزب الشيطان وأنصـــار الظلم والعدوان فسيقولون ان هـــذه الدعوة الى هداية القرآن هى اجتهاد أقفل بابه فى هذا الزمان والداعى اليها عدو مبين لأهل الايمان . ومن هؤلاء من يلقى تبعة هلاك المسلمين وضياع الاسلام على عواتق أهل السلطة المستغلين على الأحكام ومنهم من يحيل على القضاء والقـــدر ومن ورائهم قوم آخـــرون مرقوا من الدين وأنكروا التقليد ولم يعرفوا الحق اليقين . يقولون لا رجاء للمسلمين بحيـــاة مليـــة ولا أمل باقامة حكومة اسلامية ، فاذا لم يحيوا حياة وطنية فلا حياة لهم . واذا لم يعتنقوا خطوات أوربا فلا مدنية لهم . ولم نر دعوة أنكرها الرؤساء

الرسميون والأمراء المستبدون الا دعوة هــذه الأمة الى الاهتداء بالكتاب والسنة ، فلقد قاوموا المنار وآزوا الأهل والانصار .

المجــلد العاشر (١٣٢٥ هـ — ١٩٠٧ م)

يتميز هذا العام العاشر من عمر مجلة منار الاســلام بأحداث هامة منها استقالة اللورد كرومر وتوســع في عرض صفحات مجهولة من تاريخ حزب الاصلاح وخاصة ما يتعلق بتاريخ الجامعة الاسلامية ودور جمال الدين ومحمد عبده فيها وكتاب التاريخ السرى للاحتلال الذى الفه بلنت .

وواضح الاهتمام بأصدقاء الشيخ محمد عبده : حافظ ، وسعد زغلول ، ومعارضة مصطفى كامل واللواء ، والخــلاف بين المنار واللواء والاهتمام باللغــة العربية ونادى دار العــلوم حيث ظهرت دعوة العامية وقاومها الدرعميون والقيت أبحاث هامة لأحمد السكندرى ، والشيخ محمد الخضرى وقصيدة حافظ ابراهيم : رجعت لنفسى فاتهمت حصاتى ، كما تناول قضية التعريب والترجمة ، كما أولى اهتمامه بمقارنات الأديان ، وقد ترجم هــذا العام انجيل برنابا الذى طبعه المنار وقدم له السيد رشيد رضــا وتحدث عن قضايا أهل الكتاب ، وتناول الحديث قضايا اجتماعية على جانب كبير من الأهمية ، منهــا الربا وودائع البنوك ، وقد توســع فيها ، والاصلاح الاجتماعى والبغاء ، وقدم المنار كتابا عن البغــاء فى مصر الفــه الدكتور بورفاليس باللغة الفرنســـية وترجمه داود بركات وحديث عن مراقبــة العاهرات وعدد المصابين) . وأولى اهتمامه بالسلطان عبد الحميد والشاه ناصر الدين شاه الفرس ، هذا فى الجانب السياسى ، أما فى جانب العقيدة الاسلامية فقد مضى فى طريقه الى تأصيلها والى الدعوة لمذهب أهل السنة والجماعة فكتب فصولا مطولة عن الامام الغزالى ، والخلاف بين معاوية وعلى ، وتناول مذهب أهل السنة والجماعة لابن تيمية .

وتناول الاصلاح الدينى واصلاح الأزهر وتاريخ أول مصحف طبع ، وتناول التربية الدينيـــة فى مصر وزيارة اسماعيل صبرنسكى لمصر ودعوته الى الجامعة الاسلامية وقدم شــــهادات لكتاب الغرب عن عظمة الاســلام منها شهادة مســـيو وامبرى ، وقد احتفل فى هذا العام بمرور عقد (عشر سنوات) على ظهور المنار وما لاقاه رشيد رضا من الصعوبات فى نصرة الحق .

وقد افتتح المجلد العاشر بافتتاحية اشار فيها الى عمل المنار وخططه :

١ — تربية البنات والبنين .

٢ — اصلاح كتب العلم وطريقة التعلم .

٣ — شرح الدخائل التى مازجت عقائد الأمة وشبهت الحق بالباطل حتى صار انكار الاسباب ايمانا وترك الأعمال المفيدة توكلا ومعرفة الحقائق كفرا والتعلق بالخرافات صلاحا واختبال العقل ولاية والخنوع والذل تواضعا والتقليد الأعمى علما واتقانا .

٤ — درء الشبهات الواردة عن الشريعة الاسلامية ودحض مزاعم من زعم أنها حجاب بين العاملين بها وبين المدنية .

٥ — اقناع ارباب النحل المتباينة بأن الله تعالى شرع الدين للتحاب والتواد والبر والاحسان .

وقد استهل حديثه بهذه العبارات :

ايها الشرقى المستغرق فى منامة قد تجاوزت حد الراحة فتنبه من سباتك وانظر الى العالم الجديد فقد بدلت الأرض غير الأرض واستولى اخوك الغربى المستيقظ على قوى الطبيعة فقرن بين الماء والنار واوقدهما البخار واستخرج الكهرباء والنور واخترق الجبال واختبر اعماق البحار . ويقول الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فريضتان فى الدين حافظتان لجميع الفرائض ومرغبتان فى جميع الفضائل وتركهما معصيتان كبيرتان مسهلتان للفسوق والعصيان .

وواضح من خطوات المنار :

١ — خلاف حزب الشيخ محمد عبده والمنار مع الحزب الوطنى ومصطفى كامل .

٢ — مدحه لكرومر وللطفى السيد وسعد زغلول باعتبارهما من مدرسة سعد زغلول .

٣ — متابعة رشيد رضا لنقد الأناجيل ونشر لباب الأناجيل للفيلسوف تولستوى ونشر فصول من انجيل برنابا .

٤ — أولى اهتماما كبيرا لموقف دار العلوم من اللغة العربية والحرب المشنونة عليها عام ١٩٠٧ وقد تبين بعد انشاء نادى دار العلوم أن المهمة

الأولى هى خدمة اللغة العربية ، ومراجعة مسألة أسماء الأجناس الأعجمية التى يراد ادخالها فى اللغة العربية ، هل تعرب تعريبا أم تؤخذ بالترجمة وقد نشر خطابين للشيخ محمد الخضرى (الذى طالب بانشاء مجمع اللغة العربية) وخطاب للأستاذ أحمد السكندرى .

٥ ـ الانتقاد على فريد وجدى فى كتابه (كنز العلوم واللغة) .

٦ ـ وجه عناية الى قضايا المجتمع فى ضوء الاسلام وخاصة بالنسبة لعمل المرأة فى التمثيل .

ترجم صاحب المنار فى هذا العدد للشخصيات الآتية :

حسين عبد الرازق ، كرومر ، سعد زغلول ، بلنت .

المجلد الحادى عشر (١٣٢٦ هـ ـ ١٩٠٨ م)

فى هذا العام من المنار بدأ الشيخ رشيد رضا يتألق بقوة ، فقد استطاع أن يتخلص من المواصفات الخاصة التى كانت تحد من صراحته وجرأته واعلان كلمة الحق بعد أن توفى الشيخ محمد عبده وأخرج كرومر وعزل السلطان عبد الحميد ، فقد بدأت أوراق كثيرة كانت مذخورة ، تتكشف عن حقائق كثيرة مرت فى السنوات الماضية ولكنها عرضت فى تحفظ شديد ، وأهم ما فى ذلك موقفه من مفهوم اهل السنة والجماعة الذى حرره بعيدا عن الفلسفة والكلام والاعتزال والمنطق ورجع به الى أصوله الحقيقية التى عرفها الأئمة الغزالى وابن تيميه وابن القيم ومن تابعوا طريقهم .

وقد أولى اهتمامه بخمس قضايا أساسية :

الأولى : الرد على شبهات المستشرقين ومن تابعهم من كتاب العرب وفى مقدمتهم كانياتى وجرجى زيدان الذى واصلت المنار الرد على أخطائه وتجاوزاته فى مختلف كتبه عن التمدن الاسلامى والأدب العربى .

الثانية : الرد على شبلى شميل ومفاهيم المادية .

الثالثة : عرض اعمال حركة الاتحاديين فى الدولة العثمانية وآماله فى الالتقاء بين العرب والترك واهتمامه بصدور الدستور العثمانى .

الرابعة : الرد على كرومر فى كتابه الذى نشره بعد سفره من مصر تحت اسم مصر الحديثة وقد حاول الشيخ رشيد رضا مراجعة مختلف القضايا

الخاصة بموقف النفوذ البريطانى وكرومر من الاســلام وخاصة فيما سبق النظر فيــه على نحو من التحفظ لوجوده فى مصر اذ ذاك ممثــلا للسلطة البريطانية التى كانوا يطلقون عليها السلطة الفعلية .

الخامسة : متابعة أبحاثه فى كشف الباطنيــة (البهائية والبابيــة) كما يتابع دراسته حول أخطاء الطرق الصوفية (النقشبندية والرفاعية) .

السادسة : اهتمامه باللغة العربية والدراسات المتصلة التى قدمهــا فتحى زغلوم وحفنى ناصف فى مواجهة الحملة المركزة التى قام بهــا خصوم الاسلام ، كما تناول فى أبحاث أخرى العربية وانتشارها .

السابعة : عرض ما كتبه بعض علماء الغرب عن الاسلام ، وقد عرض بحث مسيو رينيه ميليه الذى القاه فى مؤتمر افريقية الشمالية عن الاسلام والمدنيــة .

الثامنة : عرض قضايا الاسلام المتصلة بالمجتمع والحيــاة العــامة وخاصة ما يتعلق بالربا والقرآن والعــلم ، ومبادىء الاقتصــاد السياسى والدعوة الى علم تدبير الثروة ، كما عرض الدكتور محمــد توفيق صــدقى للآيات العلمية فى القرآن (الرياح والجبال والثمرات والليل والنهار) .

التاسعة : واصل دراسة آثار الشيخ محمد عبده وتلاميذه ومواقفه وصلته بجمال الدين الأفغانى .

العاشرة : متابعة نقد الشبهات المثارة حول الكتب القديمة المقدسة ، كما كتب مقدمة لانجيل برنابا الذى اكتشفه واعاد طبعه بالعربية ، وفى هذا العام تحدث عن المسلمون والقبط بمناسبة مؤتمر الأقباط ومؤتمر المصريين ورد الشــبهات التى يرددها الافرنج على بعض آيات القرآن والعــلم ، وقد قدم الدكتور محمد توفيق صدقى فصــولا متوالية عن قضــايا مثارة فى القرآن والكتب المقدسة ، منهــا : ذو القرنين ، والسامرى والعجــل ، وميراث بنى اسرائيل ، وموت سليمان ، ويفسر آيات عــدم صلب المسيح ، وهامان وزير فرعون ، وأموال قارون ، والبعث الجسمانى .

ويعد العام الحادى عشر أخطر سنوات المنار فقد برز فيــه مفهــوم حزب الاصلاح فى مهاجمته السياسة للحزب الوطنى ، وللاتحادين فى تركيا ، ومهاجمــة الخرافات والدجاجلة والمقلدون والانطلاق تحت لواء الســـنة والتنزيل على حد تعبير رشيد رضا :

« لا خوف على الحق الا مع الاستبداد ، بمنع حرية العلم والارشاد »

وقال لا تخاف على دعوة الاصلاح فى هذه البلاد — يقصد مصر .

وقال : ان للاسلام ثلاث مراتب أو مظاهر (١) التقليد : وعليه اكثر المسلمين المعتقدين (٢) البصيرة : وعليها نفر من العلماء المتخصصين (٣) والجنسية : التى تشمل المارقين من المتفرنجين ، ويقول : ان المتفرنجين يفتنون العامة عن تقاليدهم باسم المدنية وشبه العلوم والفنون العصرية ويحلون جنسهم الاسلام بدعوتهم الى الجنسية الوطنية ، وقال ان مصارعة الجنسية الوطنية للجنسية الاسلامية : مجهولة العواقب ويقول : لا تغرنكم حوامل المدنية ولا تفتنكم سلطة الأمم الأوربية وان الفساد قد طرأ على جسم هذه الأمة منذ زمن بعيد فهو يحتاج الى تكوين جديد « ومن المبشرات أن نرى المسلمين قد تنبهوا الى الحاجة الى هذا التكوين ولكن اختلفت فيه الآراء وعبثت به الأهواء . الى أن ينهض زعيم من الأمة يدعو المنار الى اقامة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وفتح باب المناظرة التى تعلم كل واحد من المناظرين ما لم يكن يعلم ، وقطع السنة أهل الدعوى والمعتنقين للهوى من غير بينة فيما يقولون ، ودعا الى انتقاد المنار بتحرى الحق والارشاد فى كل ما يكتب ، ويعتقد اننا عرضة للخطأ مهما بذلنا من الجهد فى تحرى الاصابة ، وغرضنا من الانتقاد تكميل انفسنا ومساعدتنا على ما نتوخاه من الارشاد .

وقد توفى الزعيم مصطفى كامل رئيس الحزب الوطنى فى هذا العام ونعاه رشيد رضا وحياه بتقدير بالغ بالرغم من خلافهما السياسى والثقافى وأشار الى « أن دعوته كانت موجهة لجعل الوطنية جنسية للمسلمين فأنكرتها فى المنار بالبرهان البين وأكثرت من الكتابة فيها ، وقال كما انتقدت عليه الارجاف بمسألة الخلافة العربية اذ كان كتب أن فى مصر من يسعى لها سعيها وبينت وجه الضرر فكبر ذلك عليه وقطع المبادلة الصحفية » .

وفى خاتمة المنار عرض السيد رشيد رضا الى خطة العمل خلال العام الحادى عشر من المنار فقال . انها خير سنة مرت بنا نعدها فاتحة حياة جديدة لنا ولأمتنا ، كيف لا وهى سنة حكومة الشورى والدستور ومحو آية ليل الظلم بآية العدل والنور ويعلق على الدعوة المثارة الى اقامة تمثال للزعيم مصطفى كامل فيقول : المقلدون للفقهاء وهم السواد الأعظم وفقهاء

المذاهب الأربعة وهؤلاء يحرمون نصب التماثيل والثانى المتبعون للدليل .: ان نصب تمثال لمصطفى كامل لا يخلو من المعنى الوثنى الذى يعترف المنتقد بانه على خط نصب التماثيل ، ويقول : ان كثيرا من الأصنام التى عبدت كانت تماثيل لأناس عظمهم قومهم تعظيما دنيويا ولما طال عليها العهد عبدت وصار يتوسل بها الى الله ، وتطلب منها الحاجات فسد الدين هذا الباب سدا محكما .

ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لـ : مصطفى كامل ، خير الدين التونسى ، فتحى زغلول ، حفنى ناصف ، سليم البشرى ، قاسم أمين .

م ١٢ (١٣٢٧ هـ — ١٩٠٩ م)

فى هذا العام يقع أعظم حدث فى تاريخ المنطقة وهو اسقاط السلطان عبد الحميد ، ويولى المنار الاهتمام البالغ لهذا الأمرويظهر فرحته الشديدة ، ويكشف عن تاريخ طويل كان بداية فى السنوات الماضية حينما كان يتحدث عن الاستبداد وسلطان الملوك والحكام وكان يقصد به السلطان عبد الحميد، وتتابع المنار وقائع الأحداث بتوسع كبير فالمعروف أن السيد رشيد رضا من اقليم الشام الذى كان له خلاف عميق مع الدولة العثمانية لن ينتهى بسقوط عبد الحميد بل ربما يكون قد بدا فى عهد الاتحاديين الذين خدعوا صاحب المنار كما خدعوا كثيرين بمظهرهم فى أول الأمر ، ولذلك فقد سارع السيد رشيد رضا بالسفر الى الأستانة لبحث أمور الدعوة الاسلامية والتعرف على وجهة الاتحاديين وكان هدفه من ذلك التقريب بين العرب والترك وانشاء مدرسة الارشاد الاسلامية العليا لتخريج دعاة اسلاميين ليبشرون فى البلاد الاسلامية وقد جامله الاتحاديون دون ان يحققوا له أى هدف ولم يكشفوا عن أوراقهم ولا اهدافهم التى تكشفها الأيام من بعد .

وفى هذا المجلد دراسات وافرة عن الاتحاد والترقى ، والعرب والترك ، وعن السلطان عبد الحميد ، وعن آل عثمان وملكهم ، والولايات العثمانية واستقلالها والانقلاب العثمانى وصداه فى الصحف الهندية وغيرها، وعشرات الموضوعات حول هذا الشأن وعن السلطان محمد رشاد خليفة المسلمين الجديد وشريف مكة وشيخ الاسلام ، والعرب والعثمانيون واللغه العربية مما ينتفع به أى دارس لهذه المرحلة .

ولم يمنع هذا من استمرار المنار فى أبوابها العامة وموضوعاتها التى سبق أن طرقتها وواصلت دراستها وخاصة ما يتعلق بمقارنات الأديان وأهل الكتاب ، وما يتعلق بالباطنية والمتصوفة ، وبالتعصب الدينى عند الافرنج وعن أوربا والاسلام وعن الدعوة الى الاصلاح الاسلامى وما يتصل بالقرآن واللغة العربية والتعليم والتربية الاسلامية وأدب المرأة وكتابات باحثة البادية ، وعرض بعض كتب التراث الاسلامى المجدد وخاصة ما يتعلق بالتوحيد وتحرير المفهوم الاسلامى على النحو الذى يؤمن به أهل السنة والجماعة ، كما عرض للتبشير ومدارسه وللمدرسة الكلية الأمريكية فى بيروت ومدارس النصارى ،

وواصل دراسته للامام الغزالى وكتب عن ابن تيمية والشافعى ، وقضية النسخ فى القرآن ، وفتاوى ابن تيمية ، كما عرض لسندات البنوك وموقف الاسلام منها ، وموقف الاسلام عن نظرية دارون وقدم دراسات عن شخصيات مختلفة منها حسين الجسر بمناسبة وفاته ، والأستاذ الامام وسليم البشرى شيخ الأزهر وشبلى شميل ومحمود شوكت قائد الانقلاب .

وأصبح المنار يولى اهتماما بموقف اليهود من البلاد الاسلامية والقضايا التاريخية وقد كتب عن رحلة القسطنطنية فصولا اضافية اشار فيها الى أن رحلته كانت « من اجل أمرين عظيمين احدهما وهو اجلهما خدمة الدين الاسلامى وتجميع المسلمين ، وثانيهما خدمة للدولة العليه من حيث هى حكومة الدستور القائم على العدل والمساواة ولعنصرى الأمة العثمانيين الكبيرين : أما الأول فهو انشاء معهد دينى علمى فى العاصمة العثمانية للتربية الاسلامية الصحيحة الكاملة بالتزام آداب الاسلام العالية والجمع بين هذه التربية والتعليم الاسلامى ومن منافع المعهد الاسلامى تعزيز دولة الخلافة وتاييدها بجعل عاصمتها منبعا للاسلام وكعبة معنوية لطلاب علومه وآدابه وتخريج العلماء الذين يقدرون على الدفاع عن الدين على النحو الذى كان يدفع به محمد عبده مثل رنان وهانوتو وتخريج الدعاة الى الخير والمرشدين للامة . ليس الغرض ان تكون الحكومة العثمانية هى التى تنشىء المعهد الاسلامى فان الحكومات تعجز ، وانما الغرض أن يقوم بهذا العمل جمعية من محبى الاصلاح العلماء الصلحاء . عرضت المشروع على رئيس حكومتها الصدر الأعظم حسن حلمى ، ومنهم محمود شوكت واعضاء

مجلس الأمة وأشهر رجال جمعية الاتحاد والترقى فكلهم أظهروا الاعجاب به والاعتراف بفوائده ».

اما الأمر الآخر « فهو ازالة سوء التفاهم بين عنصرى الدولة ، الأكبرين : العــرب والترك . وقد شرحت هــذا فى مقال مطول نشرته جريدة اقــدام فصادف استحسانا والمشهور عندنا عن ساسة الترك أنهم يخافون ويحذرون من قيام العرب بتكوين دولة عربية أو خلافة عربية فى جزيرتهم وأن هــذا الخوف قديم وقد قدمت الأدلة على كذب هذا الادعاء ».

« ان جميع من أعرف من عقلاء العرب متفقون معى على وجوب تدارك ما قوى الان من سوء التفاهم ولما جئت الأستانة رأيت كثيرا من عقـــلاء الترك يميلون الى هذا . وبلغ من سوء ظن بعض ساســـة الترك بالعرب ما اشرنا اليه ولاسيما مسالة الشام ، بلغ من سوء ظن العرب بالترك ان قال لى أكثر من واحد من أذكيائهم ، وأهل الرأى منهم بمصر والأستانة ان وزراء الدولة ورجال جمعية الاتحاد والترقى لا يقدرون مشروعيك الاصلاحيين حق قدرهما ولا يعرفون فيه اخلاصك لانك عربى » .

● ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لـــ : رفيق العظم ، حســـــين الجسر ، جمال الدين القاسمى ، سليم البشرى .

م ١٣ (١٣٢٨ هـ — ١٩١٠ م)

تابع السيد رشيد رضا فى هذا المجلد خطته الاصلاحية فى مجالاتهـــا المختلفة فأولى اهتمامه للقضايا الفكرية والسياسية والاجتماعيه فى الوطن الاسلامى كله وسافر خلال هذا العام الى القسطنطينية ليكتشف الحكومة الاتحادية التى تولت شئون السلطة بعد عزل السلطان عبد الحميد وكان من المؤيدين لها فى حماس شـــــديد غير انه لم يلبث أن غير رأيه بعد أن اكتشف حقيقة موقفهم من الاســــلام وتابع قضية الدولة العثمانية كقضية أساسية (باعتباره سوريا فى الأصـــل) وباعتبار أن الدولة العثمانية هى مفتاح السياسة الاسلامية كلها لوجود دولة الخلافة بهــا ولارتباط البـــلاد العربية معها كما عرض لموقف انكلترا من الاسلام .

وتابع انتشار الاسلام فى أفريقية وأمريكا وأوربا وكشف صفحات عن تعصب أوربا عن الاسلام كما عرض لبعض شهادات المنصفين وعن مهدى

السودان ومسلمو جاوه وروسيا والنمسا والهند ، كما عرض لقضية الاصلاح الاسلامى ، وتحدث عن الشريعة الاسلامية والحكومة الاسلامية والاقتصاد ،

كما اولى اللغة العربية اهتماما بالغا وقدم عددا من الأبحاث وما يتصل بالتربية الاسلامية والأزهر ودعاوى اصلاح نظم التعليم فى المدارس الدينية

وتابع مقارنات الاديان بالرد على المبشرين من خلال نشراتهم وكتبهم المهاجمة للاسلام وتعرض لما قدمه علماء الغرب من حقائق جديدة حول الكتب المقدسة (التوراه والانجيل) وما يتصل بأهل الكتاب وما يتصل بجريدة الوطن القبطية وموقفها من العرب ومن التراث الاسلامى وتناول ما يتصل بتحريف التوراه وضياعها .

وتناول الزنادقة أمثال جميل الزهاوى فى حملته على الشريعة الاسلامية ودعوته الى سفور المراة كما تناول صلته بشبلى شميل .

كما تناول البابية والبهائية والباطنية وتحدث عن المجوس ونبوءة زرادشت .

ومن ناحية اخرى واجه المتصوفة وأفكارهم وحجج المعتزلة ايضا فى محاولة للكشف عن جوهر مفهوم أهل السنة والجماعة وتناول التأويل ومعناه فى القرآن ، والمذاهب واختلافها ودعا الى توحيد المذاهب الاسلامية.

وعرض لاحوال المجتمع الاسلامى فى مصر وحرية الفتيات والبغاء وتحدث عن المتفرنجون والنساء النواشز .

كما تحدث عن المرأة المصرية وباحثة البادية .

ومن ناحية أخرى فقد قدم عرضا لكل كتب التراث المجددة والمؤلفات الاسلامية التى ازدادت واتسع نطاقها على مدى الأيام ومن هذه الكتب : الاسلام ومستر سكوت والفرق بين الفرق ، والحصون المنيعة ومبادىء الفلسفة القديمة وميزان العمل .

كما قدم محاضرة المستشرق مونتيه عن الاسلام ودراسات عن ابن تيمية وابن حجر الهيثمى وابن خلدون .

وكانت دعوة المنار فى افتتاحية هذا العام الى التعاون على البر والتقوى والاجتماع على توحيد طريق التربية والتعليم ودعا المسلمين الى

الجمع بين علوم الدنيا والدين « قبل أن يغلبكم على الأمة أهل التربية المادية المضطربة والتعاليم التقليدية ، أولئك الذين تحولوا عن التقاليد الاسلامية الى التقاليد الافرنجية الصورية فهم يدحرجون الأمة من تقليد الى تقليد ويقذفوق بالغيب من مكان بعيد » .

ويقول : « لا نجالد أعداء الاصلاح بسيف ولا أسنان وانما نجادلهم بالحجة والبرهان ونحاكمهم الى السنة والقرآن ونصبر على ما أذونا ولكنا لا نترك أمر الأمة فى التربيــة والتعليم يتنازعه التفرنج الحــديث والجمود القديم » .

وينادى : « يا أهل القرآن : ان القرآن كان حجة لكم فصار حجــة عليكم . أخبركم الله ان الأرض يرثها عبــاده الصالحون ، وان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فما بال الناس يرثون أرضكم ويخلفونكم فى ملككم وأنتم لا ترثون أرضا ، بل لا تحفظون ارثا ومالهم يسلكون كل ســبيل للافتيات عليكم وما بالكم تخربون بيوتكم بأيديكم وأيديهم ، كيف ذهبت عزتكم ، لقــد تنبه الوثنيون وانتم غافلون ، واجتمع اليهود وأنتم متفرقون ، وســبق النصارى وانتم متخلفون ، وها أنتم هؤلاء تســتيقظون فان سرتم الهوينا فالناس مجــدون ، اعتبروا بتاريخ من قبلكم ، وبأحوال الأمم فى عصركم ، وتدبروا القرآن وما فيه من ســنن الله فى نوع الانســان وفقدان الأقران واستدارة الزمان » .

ويقول : كتبنا ثلاثة أرباع هذا المجلد فى القسطنطينية ، تارة فى فنادقها وتارة فى المراكب البخارية التى يجول فى رفاتها (البسفور) ولم يتيسر لنا تصحيح أكثر ما كتبناه .

وفى هذا المجلد دعوات واضحة :

١ ــ الى مسألة العناية باللغــة العربية فى البلاد العثمانية وتقــوية الرابطة بين الترك والعرب التى سعى لها سعيا منذ قدم دار السلطة وبعد أن تقرر أن تكون اللغة العربية رسمية فى الدولة كاللغــة العثمانية بحيث يكون للدولة لغتان رسميتان كما اهتم باصلاح الخط العربى وقدم بحثا لجبر ضومط فى هذا الصدد وبحث فى أطوار اللغة العربية للخضر حســين وقد وضح الاهتمام باللغة العربية فى هذا العام .

٢ ـ السعى لحسن التفاهم بين العرب والترك ، كان أحد القصدين من رحلتنا الى دار السلطنة ، والرد على صاحب جريدة اقدام على ما كتب فى شأن العرب وعرض مقالات عليه فى حسن التفاهم بين العنصرين اللذين هما قوام الدولة العثمانية وقد نشر المقدمات وامتنع عن نشر المقصد الدى فيه بيـــان اسباب سوء التفاهم وطرق تداركها ومنها مسألة تنقيح اللغـــة التركية وحذف الألفاظ العربية منها وقال ان هذه أمور ليس له حق البحث فيها واستمراره فى نشر مقالاته الجنسية بقلمه وقلم اعوانه فى الطعن على العرب ، وقد دفع الحماسة بعض السكان العرب الى اقتحام ادارة جريدة اقدام واهانه صاحبها وتحقيره .

٣ ـ بالنسبة لمشروع دار العلم والارشاد : حدث ما أيأســـنى من مساعده الحكومه العثمانيه بعد وعدها القطعى او حاد .

٤ ـ تناول الرد على هجوم الجريدة القبطية على مشروع احيـــــاء الآداب العربيه ، كما تناول الرد على شبلى شميل والمقتطف فى شأن الالحاد ورد على سلامة موسى ودحض آرائه فى كتابه مقدمه السبرمان التى تتلخص فى نظريه نيتشه فى محو الضعفاء وتنمية قوة الاقوياء ، وقد اشار ســلامه موسى الى اراء نيتشة ويليك وشوبنهور من أصحاب الفلسفة الشـــاذة : وقال : المتفرنجون منا يرون تعميم ما يرون لهم فى كل بقعة من بقاع الشرق ناصبين أنفسهم من امتهم منصب المصلحين النافعين ، وانما هم من المقلدين المساكين الذين لم نقو عقولهم على تميز الغث من السمين .

٥ ـ كشف عن تعصب أوربا الدينى بالنسبة لمسلمين النمسا والمجر، وارغامهم على أحكام الزواج والطلاق المسيحيه ، واشار الى عمل الاستعمار فى ايقاظ الفتن وتغرير العرب واغرائهم باخوتهم الترك ، والقاء الشقاق بين المسلمين والنصارى والنفخ فى روح العصبية الدينية بين الفريقين وعرض لبحث الفرنسى بوجيه فى الهجوم على الاسلام واخطائه وسخافاته فى التعبير بكلمة (جمال مكة) وقد رد عليه الدكتور أحمد الشريف من تونس كما قـــدم بحثا للدكتور كارل كوم الذى يرى أن افريقيا عمـــا قريب ســــتكون قارة اسلامية محضه ما عدا جنوب افريقيا واوغنده والحبشة .

المجلد الرابع عشر (١٣٢٩ هـ — ١٩١١ م)

اتسع نطاق البحث فى المنار بالنسبة لقضايا الاصلاح الاسلامى وان ظل الشيخ محمد رشيد رضا هو كاتب معظم صفحات المنار غير أنه فى هذا العام ظهرت كتابات لأسماء لامعة ، منها : شكيب أرسلان ، عبد العزيز جاويش ، محمد توفيق صدقى ، محمود سالم ، محمود شوكت ، هبة الله الشهرستانى .

وكان أبرز أحداث العام : (١) المؤتمر القبطى والمؤتمر المصرى . (٢) طلائع الماسونية . (٣) دخول ايطاليا طرابلس الغرب . (٤) احتلال فرنسا للمغرب . (٥) اتساع نطاق التبشير فى السودان وجاوه . (٦) متابعة الباطنية والبهائية .

هذا وواصل المنار اهتمامه بقضاياه الاسلامية وخاصة : (١) التعليم والتربية والأزهر . (٢) الآداب العربية احيائها وتدريسها . (٣) مقارنات الأديان . (٤) الاستعمار وأثره فى العالم الاسلامى وموقف البلاد الاسلامية أمثال جاوه وجناية هولندا عليها ، والجزائر وكيف فتحتها فرنسا ، وايران بين انكلترا وروسيا وما يتعلق بروسيا فى التركمان وبخارى ومسلمو بلادها .

كما أولى اهتمامه بالاصلاح الدينى والاجتماعى فتحدث عن التقليد للافرنج والتفرنج ومضاره واللغة العربية ، وكان للدولة العثمانية وللاتحاديين قدر وافر فى الأبحاث ، فقد تكشفت حقائق كثيرة عن صلتهم بالماسونية وتسليمهم طرابلس الغرب وتورطهم فى أعمال كثيرة تكشف حقدهم على العرب والاسلام ، والمؤلفات الجديدة وكتب التراث المبتعثة .

***

وقد استهل المجلد الرابع عشر على هذا النحو :

أحمد اللهم عودا على بدء ، أن وفقتنى لتاييد المصلحين والدعوة الى الاتحاد والائتلاف بين المسلمين فقد تم بفضلك وتوفيقك للمنار ثلاثة عشر عاما يدعو الى ذلك بدليلى النقل والعقل والأساليب المتنوعة من القول الفصل وأضرع اليك أن توفقنى على رأس العام الرابع عشر فى السعى اليه بالفعل ، وأن تظهر هذا الدين فى الآخرين كما أظهرته فى الأولين ، فقد بدأ غريبا وعاد كما بدأ فى غربته فأتم اللهم التشبيه باستتباع ذلك لظهوره وقوته وانصر دعاته الصادقين على أعدائه المنافقين ، الذين يلبسون

لباسه ويجهلون حقيقته ، المنكرون له حتى صدق عليهم ما قلته فى المتفرقين قبلهم : ((**يخربون بيوتهم بأيديهم**)) و ((**بأسهم بينهم شـــديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى**)) كلما داووا جرحا ظهرت جروح ، وكلما رقعوا فتقا ظهرت لهم فتوق ، وكثرت الدعاوى بالباطل ، وتطلعت رءوس الفتن واشتعلت نارها فى البانيا فحوران فاليمن ، يلبسون الحق بالباطل ويتصدون من يتبع أهواءهم من ظلوم أو ظالم يؤيدون المفســـدين والمجرمين ويتحرقون على البرءاء الصالحين .

يا أهـــل القرآن : اتيموا القرآن واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان قد غلبتم على ما فرطتم فيه من حقكم ، فنزا على مصالحكم الملاحدة والفاسقون من قومكم ، وكانوا هم المنافذ والكوى لدخول سلطان الأجانب على أرضكم ، تركتم لهم دنياكم فطمعوا فى دينكم ، يريدون اطفـــاء نوره والاطاحة بوليه ونصيره » .

وهكذا نجد السيد رشيد رضا يقظا واعيا لكل التيـــارات التى تهب من حوله غيورا على الدعوة الاسلامية ، يقول كلمة الحق بقدر المستطاع المسموح به فى هذه الظروف التى كان النفوذ الأجنبى مسيطرا على الرقابة الصحفية ، راسما بهذا العمل صورة حقيقية رائعة للعمل الاسلامى الذى يحمى مفهوم السنة والجماعة ويقاوم كلا التيارين : تيـــار الجمود والتقليد والجبرية الصوفيـــة ، وكذلك تيار التبعيـــة والتفرنج والتغريب والغزو الثقافى فى صوره المختلفة : من تبشير واستشراق ودعوات باطنية ومؤامرات الحادية واباحية ، وهو على ضعف المنار الشهرية التى لا توزع الا عددا قليلا يرسل بالبريد لمن يطلبه وليس لها نفوذ فى ســـوق الصحافة اليومية والأسبوعية التى تصدرها جهات أخرى فانه ثابت قوى متشبث بالدعوة غير طامع فى جاه أو مال أو شهرة ، وانما يضحى بكل شىء فى سبيل اثبات هذا الصوت الاسلامى واستمراره فى عناد واصرار .

وفى هذا العام يتفتح الكلام عن الصهيونية حيث تنشر جريدة الكرمل (نجيب الخورى) كتابه عن جمعية اليهود الصهيونية التى تسعى لتمليك اليهود بلاد فلسطين ، وما يتصـــل بالمشروع الأصفر (اى تمكين اليهـــود من زراعة أرض فلسطين) كذلك فان فى هذا العدد تنويه واسع بخطط الماسونية فى البلاد العثمانية بعـــد أن تكشف دورها فى مؤازرة الاتحاديين

وفى سيطرتهم على الدولة العثمانية ، وهو فى نفس الوقت يواصل قضية البهائية ويتحدث عن تطوراتها وخطورة الدور الذى تقوم به وما يتصل بميرزا محمد على الباب وادعائه النبوة ، كما يفضح دور الاتحاد والترقى والذى كان خافيا فى السنوات الأولى للانقلاب العثمانى والمليء بالحقد على العرب والعربية والاسلام والمندفع فى طريق العصبية والعنصرية وراء فكرة العودة الى الطورانية ومحاولة تتريك العرب وسحق لغتهم مع الاشارة الى دور اليهود الخطير .

ويعاود الحديث عن الجمعيات السرية التى لا يجوز للمسلم أن يدخل فيها ويتحالف مع اهلها وكيف ان ذلك مخالف للشرع ، فانه حين ذلك يطيعهم فيما يأمرونه به ، وهو مخالف لدينه ولوجهة امته ، ويقول : لا ينبغى أن تدخل فى جمعية لا تعرف مقصدها ، لأنه ربما كان مقصدا محرما ، ولأنه لا يليق بالمسلم القيام بما يجهل حقيقته وعاقبته ، فان دخل فى جمعية على أنه ليس فيها شيء مخالف للشرع الثابت ثم ظهر له فيها ما يخالفه لم يستطع ازالته وجب عليه أن يتركها ويتبرأ منها .

● ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد : هبة الله الشهرستانى ، شكيب ارسلان ، جاويش ، محمد توفيق صدقى ، محمود سالم ، رياض باشا .

المجلد الخامس عشر (١٣٣٠ هـ — ١٩١٢ م)

تميز المنار بالتوسع الدائم والقدرة على تحديد أبحاثه عاما بعد عام مع تتابع حركة التغريب والغزو الثقافى ، ويرجع ذلك الى قدرة فائقة فى المتابعة فى مجاله ، فان المنار استطاع أن يحصل على عدد وافر من الدوريات التى تصدر فى أجزاء مختلفة فى العالم الاسلامى ، فهو يعلق عليها ويستخرج منها ما يخدم هدفه وليس أدل على ذلك من أنه يتابع أخبار المسلمين من المغرب الأقصى الى جاوه ، بتدقيق وتفصيل لكل الأحداث التى تمر به ، وهناك عدد من القراء المثقفين يراسلونه ويقدمون له القضايا المثارة ، فهو لا يغفل عن أى تطور سياسى أو اجتماعى فى هذه الأقطار على مستوى العالم الاسلامى كله ، هذا فضلا عن أنه يقدم ابواب متعددة يحشد لها قدرا آخر من المادة الاخبارية محولة الى فكر وخاصة باب (فتاوى المنار) التى يقدم فيها ظواهر البدع المثارة ويرد عليها ، وهو دائما مستفيض ، لا يمل تكرير المعانى العامة لمفاهيم الدعوة الاسلامية فى كل

مناسبة ، كما يقدم اهم الكتب وخاصة التراث المبتعث ، واهم الوفيات واهم الاحداث وعينه دائما على الأزهر والتعليم والتربية وعلى مقارنات الأديان وعلى مادة كتب النصارى والتبشير وما يكتبون ضد الاسلام ، ونجده فى هذا المجلد يولى اهتمامه بعدد من القضايا :

أولا : التبشير الغربى فى عالم الاسلام ، وقد أخذ ينشر كتابا من اخطر الكتب التى صدرت فى هذا الصدد وهو كتاب (الغارة على العالم الاسلامى) أو فتح العالم الاسلامى نقلا عن المؤيد .

ثانيا : النقد الموجه الى مؤلفات جرجى زيدان وفى مقدمتها كتاب التمدن الاسلامى وتاريخ آداب اللغة العربية ، وهما لباحثين كبيرين احدهما شبلى النعمانى والآخر أحمد السكندرى .

ثالثا : بشائر عيسى ومحمد فى التوراة والانجيل وهى مجموعة مقالات هامة تتعلق بمقارنات الأديان يكتبها الدكتور محمد توفيق صدقى الطبيب الذى آمن بالاسلام وأخذ فى مراجعة تراث اهل الكتاب والكشف عنه وتابع هذا بنقد كتاب (العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية) كما تناول قصة بولس والمسيحية وبختنصر وتنكيله باليهود ودعاة النصرانية فى افريقيا وقصة زويمر كبير المبشرين .

رابعا : متابعة أحداث العالم الاسلامى وفى مقدمتها الحرب الصليبية فى البلقان وأحداث فرنسا فى تونس وانجلترا فى مصر والمسالة الشرقية والمسلمون فى مجلس الدوما الروسى والانجليز فى جنوب ايران والخليج الفارسى والجامعتان الاسلامية والعثمانية ودعوة احمد الشريف السنوسى لجهاد الايطاليين فى طرابلس الغرب .

خامسا : فى هذا المجلد انتهى ما قدمه الشيخ محمد عبده من حلقاته لتفسير القرآن ، حيث بدأت مقالات السيد رشيد رضا .

سادسا : أولى اهتمام كبيرا لقضية الدولة العثمانية والعرب وجماعة الاتحاد والترقى .

سابعا : تناول قضايا البهائية ، والفحش والفجور فى كتب اليهود ، والفلسفات وابن المقفع ، والتصوف واحصاء المسلمين ودعاة النصرانية ومصطفى كامل والجامعة الاسلامية وطريقة السنوسية وزواياها الممتدة من الاسكندرية الى درنة ، كما تحدث عن المستشرق كامبرى الذى خضع

السلطان عبد الحميد ثم هاجمه بعد عزله ، وتحدث عن رحلة صاحب المنار الى الهند ، كما تحدث عن المستشرق لويس ماسينيون .

ثامنا : تناول بالعرض اغلب الكتب الصادرة والتى تتصل بالدعوة الاسلامية : ميزان الجرح والتعديل للقاسمى — الحراب فى صدر البهاء والباب — رباعيات الخيام — العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية .

● ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لـ : مصطفى كامل ، شبلى النعمانى ، أحمد الشريف السنوسى . وقد استهل العدد الأول من المجلد الخامس عشر بافتتاحية قال فيها :

قطع المنار هذا الطور الأول من حياته وحده مدرج درجان الطفل غادر مهده الى أن بلغ رشده ، فلا أخذ بيده أمير ولا أعانه وزير ولا أمده غنى كبير اللهم الا مصطفى رياض باشا تغمده الله برحمته (اشتراك فى خمسة عشر نسخة) ، ورياض باشا هو الذى اخذ بأيدى الصحف الكبرى ايام وزارته سواء كانوا من نصارى السوريين أو القبط المسلمين فهو صاحب الفضل الأول على الأهرام والمقتطف وجريدتى الوطن فالمؤيد ساعد هذه الصحف مساعدة الوزير النافذ ارادته المسموعة كلمته .

والسيد رشيد يشكو دائما مطل المشتركين وخاصة من رجال الطبقة العالية كالمدرسين والمؤلفين والقضاه . ويقول : ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يقبل الراحلة من أبى بكر يوم الهجرة الا بثمنها . وكان النبى يحتاج الى النفقة على أهله أحيانا فيقترض من اليهود وكان يجزى على الهدايا ولا يقبل الصدقة البتة .

ويقسم الناس الى اقسام ، فمنهم من هو ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات باذن الله . ويقول : ان المصلحين هم الأمة الوسط التى تجمع بين مطالب الروح والجسد وتقيم أمر الدنيا والدين كما هدى اليه الكتاب المبين ، والمنار هو لسان حال هذا الحزب الذى يزداد أهله نموا فى الأرض .

المجلد السادس عشر (١٣٣١ هـ — ١٩١٣ م)

تميز هذا المجلد بدراسات أساسية :

أولا : دراسة كاملة عن الاتحاديين حكام الدولة العثمانية وتفريطهم فى بلاد الاسلام (طرابلس الغرب ، البلقان ، البلاد العربية ، الخليج) ودراسة عن عناصر المملكة (الأرمن والأرناؤوط) وجمعية الاتحاد والترقى وحزب اللامركزية وحديث عن الحرب البلقانية وموقف مسلمى روسيا من السلطان عبد الحميد وتفريط الاتحاديين فى حقوق الدولة فى خليج فارس والعراق .

ثانيا : الاهتمام بدراسة تاريخ الجهمية والمعتزلة (جمال الدين القاسمى) وحديث مطول عن واصل بن عطاء ، وما يتصل بالجعد بن درهم والمامون ودعوته الى مذهب الجهمية وخلق القرآن وواصل بن عطاء .

ثالثا : مقارنات الأديان ، والمسيحية وقضاياها ، وبولس والتثليث ، وانجيل برنابا والتوراة والانجيل ، والسيد المسيح وكتب أهل الكتاب والبارقليط المذكور فى الكتب القديمة (سيدنا محمد) وقصة صلب المسيح وقيامته ، وعقائد النصرانية .

رابعا : أحاديث كثيرة عن الشيخ محمد عبده ، وعلى يوسف ، ومصطفى كامل ، وأحمد حشمت ، وادريسى عسير ، ومحمود شوكت ، ومحمد فريد ، ومحمد عبده ، وخريستنوس جبارة ، وابن الرشيد ، وأحاديث عن الشيخ عبد العزيز جاويش واصداره المجلة العربية فى الآستانة .

خامسا : دراسات عن قضايا العالم الاسلامى مع الاستعمار وحديث عن الاتفاق التركى الانجليزى على خليج شط العرب وفارس وأثره على بلاد العرب واستيلاء ابن سعود على الاحساء ، وقضية الأمة الهندية الشرقية مع الحكومة الهولندية وتحويل الأوقاف فى مصر الى نظارة .

سادسا : حديث عن المسألة العربية عند الاتحاديين والمؤتمر الدولى فى باريس وسياسة الأمة العربية فى حرب اللامركزية وقضية الجنسية واللغة ، والعرب والعربية وتتريك مسلمى العثمانيين .

سابعا : أحاديث عن الكتب وفى مقدمتها كتاب فتحى زغلول : سر تقدم الانجليز والاحتفال بمؤلفه .

● ترجم صاحب المنار لـ : أمير على ، ادريسى عسير ، على يوسف ، مصطفى كامل ، عبد العزيز جاويش ، محمد فريد ، جمال الدين القاسمى ، فتحى زغلول ، محمود شوكت .

وفى فاتحة المنار قال السيد رشيد رضا :

ان صوت الاصلاح الدينى قد علا كل صوت فى الاقطار الاسلامية التى بلغتها دعوته وهزتها صيحته ، فخفتت دونه اصوات الحشوية الجامدين والدجاجلة المحترفين وقد خذل الله ببيروت فى العام الماضى أشدهم افكا وتحريفا .

وتحدث عن الاسلام التقليدى والاسلام البرهانى فقال : أصحاب الاسلام التقليدى يفتنون بالشبهات المادية التى يبثها فيهم حملة قشور العلوم العصرية ومنهم من يشككون فى الاسلام بمطاعن دعاة النصرانية ولا يتصدون للرد على تلك الشبهات ، وقصارى ما عندهم أن يقولوا للعوام ان جميع العلوم الطبيعية باطلة وأن تعليمها كفر ويتعلمها زنادقة . ويزعم هؤلاء الدجالون أن الضلال كل الضلال هو ما يدعو اليه المعلمون من هدى الكتاب والسنة على النحو الذى كان عليه الصدر الأول من الأمة ونبذ كل ما استحدثه الخلف مخالفا لما كان عليه السلف عملا بقوله صلى الله عليه وسلم : « من احدث فى أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد » . وتحدث عن ظهور الفئة الباغية الاسلامية فى الظاهر والاتحادية فى الباطن اذ تمدح الاسلام وتنفر من الأعمال التى تحييه وتطعن فى القائمين بهما وتدعو الى الجامعة الاسلامية وتلقى الشقاق بين العاملين لها وتزاحم اهلها المصلحين وهم المفسدين .

وقال ان الأمر يحتاج الى ضروب من الاصلاح يمد بعضها بعضا واصولها خمسة : (الدينى — العلمى — الاجتماعى — السياسى — المالى) وقد تداعت هذه الأصول كلها فى العالم الاسلامى ولا يسهل اقامة بعضها الا باقامة باقيها . وأشار الى أنه ما أن لاحت من الآستانة بارقة الأمل فى الاصلاح السياسى حتى أردنا أن ننشىء فيها عملا كبيرا من الاصلاح الدينى والعلمى الذى هو اكبر عون على غيره ولاسيما الاصلاح الاجتماعى . ثم اصبح سرابا هذا الانقلاب الذى حسبنا ان وراءه ما نرجو من الاصلاح فكان بسوء تصرف ذويه عن الافساد وقد أنذرنا الأمة سوء عاقبته ، والخطر

الأكبر هو افسادهم السياسى الذى فتح علينا باب المسألة الشرقية حيث فقدت المملكة طرابلس الغرب الافريقيـــة وثنت بولايات الدولة الأوربيـــة ونخشى أن تفلت الولايات الآسيوية » .

المجلد السابع عشر (١٢٩٢ هـ — ١٩١٣ م)

تابع السيد رشيد رضا قضايا الساعة ، وفى مقدمتها :

١ — قضية الدولة العثمانيـــة والاتحـــاديين وموقفهم من العـــرب وتناول قضية الجنسيات فى المملكة العثمانية والامتيازات الأجنبيـــة وكيف دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية .

٢ — قضية الصهيونية والبروجرام الصهيونى الســـياسى (بقـــلم أوسشكين) وتحدث عن العقبات الحائلة دون امتلاك اليهود للبلاد المقدسة ، ونصوص التوراة فى كون البلاد المقدسة لنسل ابراهيم .

٣ — الرد على المبشرين والمستشرقين : حيث قدم عددا من الأبحاث فى مقدمتها كتاب (الرد المتين على مقدمات المبشرين ، مقـــام عيسى عليه الســـلام فى النصرانيـــة والاســـلام ، وناقش دعاة النصرانية ونشر كتاب كريستان سنوك هونجرج الهولندى (الاســـلام يقاوم نفوذ النصرانيـــة) وتحريف التوراة .

٤ — رد على البهائيين ودعاة البهائية ، والباطنية وعلاة الصوفية ، وتقديم فصول من كتاب مدارج السالكين لابن القيم الجوزية عن التصوف الاسلامى الصحيح .

٥ — تركيز الدعوة الاسلاميـــة وتصحيـــح العقـــائد ، والرد على الجهمية والمعتزلة ، والحلاج والحديث عن دعاة الاســـلام الأبرار احمـــد ابن حنبل وابن تيميه وأبى حنيفة والامام الشافعى ، والغزالى والأشعرى فى ابحاث مستفيضة عن تاريخهم ودورهم .

٧ — الحديث عن لورد كرومر ورأيه فى الشيخ محمد عبده ، ولورد هدلى واسلامه ، وترجمة احمـــد فتحى زغلول بمناسبة وفاته ، كما ترجم لعلى يوسف ومصطفى صادق المنفلوطى وجمال الدين القاسمى ، .

٨ — نقد آراء خصوم الاسلام والرد عليهم : رد على يوسف الخازن ولويس شيخو وسلامة موسى .

٩ — تحدث عن الشريعة الاسلامية وموقفها من الامتيازات الأجنبية ، وتفنيد مزاعم كاتب أمريكى عن الشريعة الاسلامية ، كما تحدث عن المعازف وآلات اللهو ، وعن التمثيل ، وتحرير المراة والتفرنج .

١٠ — قدم عددا من الكتب وخاصة كتب التراث المبتشعة منها كتاب الاعتصام للامام الشاطبى ، وتاريخ الجهمية والمعتزلة ، ودين البهائية وأنصاره ، والكشاف والبيضاوى ونقدهما .

١١ — ترجم فى هذا المجلد للشخصيات التالية : عزيز المصرى ، على يوسف ، عبد العزيز جاويش ، فؤاد سليم المصرى ، مصطفى المنفلوطي ، أحمد فتحى زغلول ، محمد جمال الدين القاسمي .

وقد افتتح مجلد المنار الأول من العام السابع عشر بافتتاحية جامعة جاء فيها :

نذكر قراء المنار على راس سنته السابعة عشر على نحو ما ذكرناهم به فى السنة الخالية من سوء عاقبة الافراط والتفريط اللذين رزئت بهما أمتهم الجاهلة الغافلة ، والافراط فى عبادة الهوى واتباع الشهوات والانهماك فى الفواحش والمنكرات والمحافظة على البدع وسيىء العادات والتفريط فى حقوق الله وحقوق الأمة ، وما يجب من التزام هدى الكتاب والسنة ومجاراة الأمم بما يستطاع من حول وقوة ولاسيما قوة الاعتصام والوحدة وقوة العلم والمعرفة ، وقوة الكسب والثروة ، ثم نذكرهم بتلك الآيات والعبر وهاتيك المواعظ والنذر ، وبما يفتنون به كل عام ، وما تسلب من ملكهم الأمم والأقوام وبيان سنن الله تعالى فى الطاغين والمسرفين . تركت هذه الأمة هداية القرآن ففاتها ما كانت نالت به من الملك والسلطان ، والعلم والوفاق ، والبسطة فى العمران ، وأمست غافلة عن سبب ذلك التوفيق وذلك الخذلان ، بل التى عليها احقاب من الزمان لا تشعر بكنه هذا الخسران ، وقد استيقظ فيها الشعور بما فسد من أمر دنياها قبل الشعور بما كان سببا له من فساد أمر دينها وبما خسرت من سلطانها وأملاكها قبل الشعور بما خسرت من أخلاقها وملكاتها . ولما شعرت بالخطر على حياتها المادية والسياسية ، غافلة عن عللها الروحية وأسبابها المعنوية ، شرعت فى شىء من الاصلاح الصورى بدون أن تؤيده بروح الاصلاح المعنوى فعد السلطان محمود مصلحا بتغيير الزى الرسمى ونظام الجندية والسلطان

عبد المجيد مصلحا باعلان التنظيمات الخيرية والسلطان عبد الحميد مصلحا بانشاء نظارة العدلية ومصطفى رشيد باشا مصلحا بادخال الدولة العثمانية فى سلك الدول الأوربية ومدحت باشا وأعوانه مصلحين باقتباس القوانين الغربية الغريبة ، ومحمد على وأحفاده مصلحين بفرنجة البلاد المصرية ، والأمير عبد الرحمن خان مصلحا بالتأليف بين القبائل الافغانية ، ولم تتوجه همة أحد الى اصلاح العادات والأخلاق وازالة البدع والمنكرات وجمع الكلمة التى فرقتها المذاهب واللغات فما زاد الأمر هذا الاصلاح الصورى الا ضروبا من الفساد ولا أفاد الدولة الا اضعاف الاستقلال واضاعة البلاد . ان أكثره كان ضروريا ولم يعد يمكن علاجا لهذه الأمة من طبيب اجتماعى عرف من أمراضها الظاهرى والباطنى فوصف لها من الدواء ما يزيل العلة ويحفظ البنية ، لذلك رأيناها بعد هذه المصالحات لم تزد الا مرضا ، وكان ما ادخل عليها من علوم الأمم القوية وقوانينها وآدابها كالجسم الغريب الذى يدخل فى البنية فيفسد مزاجها لأنه لم يكن على حسب إستعدادها ، وحاجتها ، بل كان تقليدا صوريا أو عارضا وقتيا ، فمنه ما كان ضارا ومنه ما كان نافعا ، فأما الضار فأكبر ضرره التقاليد والقوانين الافرنجية التى قطعت كثيرا من روابط الأمة الملية وأزالت من مقوماتها ومشخصاتها الاجتماعية والأدبية ، ولم يستبدل بها ما يحل محلها من مقومات الأمم الأوربية بل صارت عيالا عليهم فى جميع الشؤون ، أما ما كان نافعا فقد كان نفعه موضعيا وعارضا لا دائما فكان عداوة بعض أعراض الظاهرة بما يزيلها مع بقاء العلة فى الباطن ، وكلما داوت جرحا سال جرح . بنى محمد على ركنى الثروة والقوة على أساس العلم ، ولو أتم أحفاده ما بدأ ببناء ركنى الأخلاق والآداب على أساس الدين وسنن الاجتماع لتم لهم تكوين الأمة ولاستقام لهم بالأمة أمر الدولة ، فهذا العصر عصر الأمم والشعوب لا عصر الأمراء والملوك ، ولكن جميع اقيال المسلمين كانوا ولا يزالون عن هذا غافلين . لا صلاح للدولة الا بصلاح الأمة ، ولا صلاح لأمة الا اذا كان فيها بقية من أولى الرأى والعزم يأمرون بالصلاح وينهون عن الفساد فى الأرض ، زماننا زمان الجماعات العلمية والأدبية والسياسية والشركات الزراعية والصناعية والتجارية .

الا وان أمر « التربية والتعليم » هو أهم ما يجب ان يوكل الى الجماعات ولا يحسن أن يترك الى الأفراد ولا الى الحكومات لأن المدارس للأفراد

دكاكين لكسب المال والحكومات معامل لسبك العمال ، فكل من الفريقين يتوخى من التعليم منفعته الخاصة ، وان باينت مصلحة الأمة العامة ، وشر ما ابتلى به جماهير المسلمين من ترك تربيتهم النفسية والعقلية الى خصومهم فى السياسة والدين فأنى تصلح أمة تركت تجديدها وتكوينها الى من لا هم لهم الا ازالة ملكها ودينها والأمة تصلح بالتربية ونحن قد افسدنا المربون — الافرنج المتفرنجون — وترتقى بالعلم ونحن قد ولانا العلماء المقلدون المفتونون ، وتقوى وتعتز بجميع المدارس لكلمتها ونحن قد اوهننا وشقت عصانا المدارس لأنها اما معاهد سياسية والحاد واما اديار وكنائس قد قطعت روابط الامة الدينية والمدنية وفتنتها بالأهواء والشهوات الحيوانية وسرى سم تقليدها الى المدارس الأميرية والأهلية ، فالمتخرجون منها أقلهم الذين يسلمون ومنهم الملحدون ، واكثرهم الفاسقون يجرفون ثروة الامة الى الأجانب ويقذفونها بالفجور والنفوذ الأجنبى من كل جانب ويتغلبون فيها على المناصب فينالون منها جميع المآرب يحتقرون لها سلفها ويعظمون فى نفسها كل ما هو أجنبى عليها فيقطعون جميع روابطها الملية ويزينون لها ذلك باسم المدنية ، فهم المنافذ والكوى التى يدخل منها الفساد ، وهم الآلات التى يستعين بها الأجانب على ادارة البلاد لانهم تربية مدارسهم ، بل صنعة معاملهم او الجيش السلمى لتكناتهم ، ولا يتم لهم ما يسمونه « الفتح السلمى » بدونهم ولأجل هذا ربوهم هذه التربية المذبذبة وحشوا مخيلاتهم بمسائل العلوم المضطربة فلا هم صاروا بها أوربيين ولا ظلوا مسلمين او شرقيين ولكنهم لغرورهم باسم المدنية الافرنجية يفسدون على الأمة امرها ويزعمون انهم المصلحون لشانها ، ولنذكر ما قالته مجلة العالم الاسلامى الفرنسيه :

« اتفقت آراء سفراء الدول الكبرى فى عاصمة السلطة العثمانية على أن معاهد التعليم الثانوى التى اسسها الأوربيون كان لها تاثير فى حل المسألة الشرقية يرجح على تاثير العمل المشترك الذى قامت به دول أوربا كلها (الغارة على العالم الاسلامى) » .

اننا فى أشد الحاجة الى الصناعات الافرنجية ، وما يتوقف عليه من العلوم والفنون العملية والى الاعتبار بتاريخهم وأطوار حكوماتهم وجماعاتهم ، ولكن يجب أن تقوم باقتباس ذلك جماعات منا يجمعون بينه

وبين حفظ مقوماتها ومشخصاتها . وأركانها اللغة والدين والشريعة والآداب (المراد بالشريعة أحكام المعاملات فى السياسة والقضاء والادارة والحرب) ولنا أن نستعين بأهل الفضيلة والاستقلال من رجالهم الذين ليس لهم فينا أهواء دينية ولا مطامع سياسية استعمارية وبهذا نكون مهتدين بما أمرنا (الله) به من السير فى الأرض والاعتبار بأحوال الأمم ونسبة سلفنا » أ . هـ .

ولك أنت أيها القارىء اليوم بعد سبعين عاما أن تجد ما قاله السيد رشيد رضا لا يزال صالحا لنا ونحن مطالبون به وتجد هذا الكلام منطبق على أجيال كثيرة رباها الاستعمار فى عصره ، سعد زغلول ولطفى السيد وعبد العزيز فهمى ومن بعده طه حسين وسلامة موسى ومحمود عزمى وعلى عبد الرازق ثم الأجيال التالية من أتباع الماركسية والشعوبية .

الفصل الثالث

المنار : الى سقوط الخلافة الاسلامية

فى هذه المرحلة واصل المنار عمله وان كانت الحرب العالمية قد أثرت فى حجمه وفى انقطاع موارده المالية ولكن عزم السيد رشـيد رضا وتصميمه كان فائقا فانه تحمل ذلك فى قوة ومضى الى أداء رسالته فى عزم شديد وعنى بأحوال المسلمين خلال الحرب وحاول بعد الهدنة معالجة آثارها على مصر وعلى البلاد الاسلامية وأفاد من رفع الحظر على الصحافة وتخفيف الرقابة فعمد الى الكشف عن كثير من الأوضاع الاستعمارية التى لم يكن قادرا على كشفها فى وقتها وقد مضىيواجه الاتحاديين ومنبعدهم الكماليين حتى سقطت الخلافة الاسلامية وقامت بعدها دعوات خطيرة الى التغريب فى البـلاد العربية وفى العالم الاسـلامى وكان من أكبر ما أهمه قضيتى : البهائيـة والقاديانية فى هذه المرحلة .

م ١٨ (١٣٣٣ هـ ــ ١٩١٥ م)

يواصل السيد رشيد رضا نشاطه فى دعم الدعوة الاسلامية والاصلاح الاسلامى الدينى والاجتماعى بابتعاث المفهوم الاسلامى الصحيح : مفهـوم اهل السنة والجماعة ، وقد توسع فى هذا الاتجاه فقدم أبحاث الشوكانى : وتحقيقه مسالة القياس ، ودرس الظاهرية وأصول الفقه عندهم وابن القيم وتحقيقه مسالة القياس والراى وما امتاز به على استاذه ابن تيمية ، وقدم ابنحزم (مجدد القرن الخامس) فى المحلى ، وابن حجر العسقلانى وخدمته للسنه ، كما قدم الفخر الرازى وضعفه فى الحديث والفصاحة ، وقدم ترجمة أبو هريرة ، كما قدم ترجمة ابو الحسـن : منذر بن سـعيد البلوطى ، والشاطبى وما حرره فى مسالة المصالح ودراسة الامام الشـافعى وتناول ترجمة عمر بن عبد العزيز واجتهاد عمر بن الخطاب وقصة سليمان الحلبى وقصة الامام مالك ، ومذهبه فى التزام النصوص ، كما تناول الاسرائيليات وخرافاتها ، وتناول مفاهيم الاسلام ازاء الربا والفتح الاسلامى وسر احكامه العسكرية ، ومن ناحية أخرى تناول كتب النصارى وقدم نقدا لهـا وتنزيه عيسى لربه وتنزيهه لنفسه وعرض لأخطاء الفرق وتناول الجهمية وتعطيلها

للصفات ، كما تحدث عن وحدة الوجود وأخطائها واليهود وما نزل بشأنهم في سورة المائدة .

● ومن ناحيــة أخرى تحـدث عن رجال العصر : محمد عبده وجملة آراء له في العلم والدين ، ولقائه مع سبنسر وتحاورهما ، كما تحـدث عن تاريخ علامة الاسلام في الهند الشيخ شبلى النعمانى وعرض لآراء أحمـد كمال بك عن اللغة العربية واسماعيل عاصم وجمال الدين القاسـمى وعبد الفتاح عباده ومحمد توفيق صدقى ، كما قدم أبحاثا عن القلقشـندى والجرجانى والفتح بن خاقان . وتعد قضايا اللغة العربية والحروف العربية اهم مواد هذا العام حيث تناول الحديث حروف الهجـاء العربية والخط الكوفى وخط التعليق الديوانى . وعن كون اللغة العربية أقدم اللغـات وعن الهيلوغريفية العربيـة الأصـل . كما تحدث عن المدنيتـان المصرية والبابلية وكيف انهما عربيتان . وقدم كتاب على أبو الفتوح عن الشريعـة الاسلامية والقوانين الوضعية ، كما قدم عرضا لكتاب الخراج لأبى يوسف ونشر صفحات مطولة عن احياء الكتب الاسلامية القديمة ، امثال المحـلى لابن حزم ومدارج السالكين لابن القيم وصبح الأعشى فى كتابه الانشـا للقلقشندى والأحكام فى اصول الاحكام للآمدى والطراز في أسرار البلاغة ليحيى بن حجى والخصائص لابن جنى والاعتصام للشاطبى .

كما تحدث عن المجتمع والمرأة وفرضى الآداب بمصر كما عرض فصولا عن رحلته الى الهند لرئاسة مؤتمر ندوة العلماء فى لكهنؤ .

ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لـ : شبلى النعمانى ، احمد كمال ، اسماعيل عاصم ، جمال الدين القاسمى ، عبد الفتاح عباده ، محمد توفيق صدقى ، على أبو الفتوح ، محمد عبده وسبنسر .

* * *

وقد تضمن المنار اشـارات الى جعل مصر سـلطنة تحت حماية بريطانيا (١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤) بعد دخول تركيا الحرب ضد بريطانيا وانضمام عباس حلمى الخديو الى أعداء بريطانيا منذ اول نشوب الحرب مع المانيا واعلان الحماية البريطانية على البلاد تحت يد أمير من أمراء العائلة الخديوية (السلطان حسين كامل) وفى افتتاحية المنار قال السيد رشيد :

يا أيها الناس لا خير فى الحضارة المدنية اذا اقيمت على قواعد الاثرة والقوة المادية ولا خير فى العلوم ولا فى العمران اذا كانا وسيلة لاستعباد الانسان لأخيه الانسان افلا يعلم الذين جعلوا الحق كله للقوة ، ان الله الذى خلقهم هو اشد منهم قوة وانه بعبارة رءوف رحيم وانه أرحم الراحمين

ان الافساد كل الافساد أن تحتكر الشعوب العلم وتجعله ذريعة لبغى بعضها على بعض واستذلال الشعوب الضعيفة فى الأرض وتسخيرها لخدمتها كما تسخر الحيوان الأعجم .

يا أيها المغررون بالعلم والقوة ، قد عرفتم القوى المادية لا تنسو القوى المعنوية ، ولا تنكروا سنن العدالة الالهية ، أتطالبون ربكم بما وعد المؤمنين ولا تطالبون انفسكم بما فرضه وما شرطه على المؤمنين ، انما الخلافة فى الأرض بالصلاح والاصلاح ، انما يعتذر بالقدر من يبرىء نفسه ويتهم ربه .

اننا نحن مسلمى هذا العصر لا نستحق على الله تعالى نصيبا من الملك ولا خلافة فى شىء من الأرض لا بحسب سننه فى خلقه ولا بمقتضى وعده فى كتابه ، فاذا أعطى شيئا أو أبقى فتلك عنايته تعالى وفضله لا مما جعله وعدا عليه حقا ، وان الله تعالى ليبلو عباده بالحسنات كما يبلوهم بالسيئات ليبلوهم أيهم احسن عملا ، فتكون أحسن جزاء وخير أملا » .

وفى كل مرة يعاود السيد رشيد رضا دعوة القراء الى انتقاد المنار ويذكر القراء كل عام بما يحب من الانتقاد الذى هو ضرب من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والمساعدة فى الدعوة الى الخير وبث النصيحة ونشر العلم .

كما يدعو الى اعادة الفكر الاسلامى الى الأصالة بالارتباط بمفهوم الكلمات والمصطلحات وفق السنة النبوية وعلى نفس الأساس الذى أقامه الرسول وخذلان المصطلحات الصوفية الضالة والمنحرفة .

المجلد التاسع عشر (١٣٣٤ هـ ــ ١٩١٦ م)

فى هذا المجلد بدأت جولة جديدة لصاحب المنار مع الشريف حسين ؛ الذى تولى امارة مكة ، كما تحدث عن الاتحاديين ، واتفاقهم السرى مع ألمانيا وتعريضهم الدولة للخراب ، وعن استقلالهم عن الدين وتركهم الحروف العربية وعن جامعتهم الطورانية وعن جمال باشا السفاك والجنسية التركية وفصلها عن الاسلام وعن الحركة الطورانية والدستور العثمانى وتقرير كيون هاهون فى الترك . كما عرض عن مرحلة من مراحل الخلاف بين الخديوى عباس والأستاذ الامام وصاحب المنار وسعى خواص الخديوى للتوفيق بينه وبين الامام وعرض موسع لاستقلال الشريف بالحجاز وما يتعلق بالمشانق التى علقها الاتحاديون لأحرار العرب فى سوريا ودراسة عن الزهراوى بمناسبة استشهاده ، وعرض لآراء الخواص فى استقلال الشريف فى الحجاز ومنشور شريف مكة وأميرها والحركة الطورانية الجديدة فى تركيا .

ولم يغفل صاحب المنار قضايا الدعوة الاسلامية فى معارضته للصوفية المنحرفة وكشفه لشبهات المبشرين وما يتصل بشبلى شميل وأهل الكتاب .

كما عرض لمناظرة جمال الدين وحسين الجسر ، وعرض لجوانب من آراء ابن تيميه وابن الجوزى وابن القيم وأبى حنيفة والبخارى ومسلم وابن جبير الأندلسى والألوسى المفسر .

كما عرض لكتب : تاريخ سينا القديم والحديث ، وتصحيح كتاب الأغانى وتصحيح لسان العرب وكتاب جزيرة العرب منذ فجر التاريخ ، كما عرف بكتابى منازل السائرين ومدارج السالكين لابن القيم والهروى فى الدعوة الى تحرير التصوف .

وعرض للمجمع اللغوى المأمول ، والكتب المعزوة الى غير مصنفيها .

كما أشار الى دعوة مرجليوت المستشرق اليهودى فى لندن بالاشتراك من أحمد زكى أبو شادى الى انشاء جمعية آداب اللغة العربية .

● ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لـ : عبد الحميد الزهراوى ، شبلى شميل ، حسين الجسر ، أنور باشا ، على يوسف .

* * *

وكتب السيد رشيد رضا فصلا مطولا عن دور المنار فى حركة الأصلاح الاسلامى فهاجم « الملاحدة المتفرنجون الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون » وقال ان حجتهم على عامة المسلمين سوء حال كثير من المعممين وتذللهم للأمراء والحاكمين وذمهم بعصبية الدين وان لهؤلاء الملاحدة لقوة على غيرهم لا من أنفسهم ولكنهم يغترون بها وان منهم من يكن للمؤمنين مكايد لا يفطنون لها وان للمؤمنين لقوة ذاتية ولكنهم غافلون عنها وانما بقاء الباطل فى غفلة الحق ، فاذا قذف عليه دمغه ، وان بقاء الباطل لألى زوال **(وما كيد الكافرين الا فى ضلال)** .

ويقول : ولقد كان ملاحدة قطرنا أجبن ملاحدة المسلمين واخوفهم من اظهار الكفر على كونهم اجراهم على الجهر بالفسق ، ثم تجرأ منهم منذ سنين افراد على التصريح به ، أو ببعض لوازمه فى الجرائد بعد طول العهد على تصريح الكثيرين بذلك فى المجالس ومنهم من الف كتبا أو رسائل فى ذلك ثم بلغنا فى العام الماضى انهم الفوا جمعية لأجل التعاون على تشكيك الناس فى الاسلام وجذبهم الى الالحاد والطعن فى عقائد الدين واحكامه ولا سيما الآداب والأحكام الخاصة بالنساء ، وانشأوا لهم صحيفة لدس الدسائس (يقصد مجلة السفور) وبث الوساوس وتوجيه العناية فيها الى نابتة المدارس وبناء دعوتهم على قاعدة التشويه للقديم والصد عنه والتنويه بالجديد والترغيب فيه وان لهم لأنصارا فى القصور والدواوين وفى المدارس وأكثر معاهد الدين ، وقد استفادوا من تقييد حرية المطبوعات بسبب الحرب ما كفوا به أقلام من تصدى لاحباط بعض دسائسهم من أهل الحق وانهم نيختلبون لباب المختبلين من الشباب والشابات بما ينمقون من زخرف الشبهات **(ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا)** الآية . ولهذا فقد وجب على أهل الاصلاح اخذ الأهبة لجهاد جديد هو أشد من جهاد أصحاب الخرافات والتقاليد فان اصحاب الخرافات عزل وهؤلاء مسلحون .

(انا لننصرن رسلنا) و (ولينصرن الله من ينصره) .

ان هؤلاء الملاحدة لا يخافون من الأزهر وما يتبعه من المعاهد الدينية ما داموا يدعون الاسلام بالسنتهم ، ثم لا يعدمون هناك اولياء وانصار لهم لما بين نفاق الاعتقاد ونفاق الأعمال من رابطة التناسب والاتصال .

ويقال ان لجمعية الالحاد الجديدة ركنا فى الأزهر ركينا وانهم بذلك

أوشكوا أن يحدثوا فيه حدثا مبينا ، ولكنهم لم يصيبوا منه الا خذلانا وفشلا مهينا .

قال أحدهم مفاكها للأستاذ الامام وهو فى مرض موته : ان طريقتك فى تفسير القرآن قد أضرت الأمة أشد الضرر ، قال الأستاذ : لماذا ؟ قال : لأنها أبانت للناس ان الدين موافق للعلم والعلم ركن من أركان المدنية فتعذر علينا ما كنا نحاول من هدمه بدعوى أنه عقبة فى سبيل ترقيتنا فى دنيانا ، ومنهم من يحاول هدم الاسلام بالدعوة الى استبدال لغة العوام بلغة القرآن ، ومنهم من يبغى التشكيك فيه بنشر آراء الماديين من القدماء والأوربيين ، ومنهم من يصد عن حجته بتفصيل ما عرفوا من القوانين على ما جهلوا من شريعته ، ومنهم من ينفر عما حرمه من آدابه الروحية والاجتماعية .

وبعد أن فرحنا بنصر الله لحزب الاصلاح على المبتدعة والدجالين فقد ابتلينا بتكوين حزب للملاحدة المارقين تتوالد من أفراد من أغرار الشبان وكهول المنافقين فاذا ترك هؤلاء وشأنهم وسكت لهم أهل الحق عما ينفثون من سموم أباطيلهم تعظم جراتهم وتنتشر دعوتهم وتكبر فتنتهم ، وليس الاستظهار عليهم بالأمر العسير فان حجتهم داحضة وغوايتهم متناقضة ، وغاياتهم متعارضة ، ويخافون الردة الصريحة .

ان ما يتوخاه هؤلاء من نباهة الذكر عند الأوربيين والتشبه بمن ناهضوا الكنيسة ورجال الدين ، ليس بالغرض الصحيح ، فهم لا يجدون فى الاسلام ولا فى رؤسائه تلك الأسباب التى حملت بعض كتاب أوربا على مجاهدة الكنيسة ورجالها والطعن فى النصرانية ، فالاسلام نفسه أرشد البشر الى العلوم الكونية وأوجب الفنون والصناعات المدنية وأخرج البشر من رق رؤساء الدين والدنيا الى فضاء الحرية » .

المجلد العشرون (١٣٣٥ هـ — ١٩١٧ م)

دخل المنار عامه العشرين داعيا الى : الاعتصام بحبل الله المتين والاهتداء بنوره المبين والاستمساك بسنة رسوله الأمين والسير على نهج السلف الصالحين ناهيا عن الاحداث والبدع وتقليد الأحزاب والشيع ، مبينا أن الخير كل الخير فى اتباع من سلف وان الشر كل الشر فى ابتداع من خلف لأن الله تعالى قد أكمل الدين فلا يقبل زيادة كمال ، فالزيادة فيه

كالنقص منه خزى وضلال. ونحى المنار باللائمة على «فقدان الاستقلال فى الفهم والعلم والحكم وتقليد الآباء والأشياخ المتأخرين فى جميع أمور الدنيا والدين، واشار الى جماعة المقلدين الذين فقدوا ملكة الاستنباط والاختراع فقد ساروا بحسب الظاهر على الطريقة الثابتة بالعقل والاختبار، وهى كون علوم المتأخرين وفنونهم أجدر بالثقة والاعتبار، مع أن سنة الله فى التدرج والارتقاء على أنهم يعتقدون بحق أن متقدمى هذه الأمة خير من متأخريها فى جميع العلوم والأعمال وإن الخلف لم يسيروا على سنة السلف فى الاجتهاد والاستقلال ولو ساروا عليها لفاقوهم فى كل ما هو من كسب الناس» ويقول «اننا ندعو الى عقيدة السلف ونحن بها مؤمنون ونرشد من بلغته الدعوة الى سيرتهم الدينية ونحن على طريقتها ان شاء الله مستقيمون».

ومن ابرز اعمال هذا العام انشاء المجمع اللغوى المصرى من مجموعة من اعلام العصر: سليم البشرى، محمد بخيت، أحمد لطفى السيد، محمد الببلاوى، احمد ابراهيم، احمد السكندرى، أحمد برادة، أحمد تيمور، احمد زكى، احمد سليمان. احمد على، أحمد كمال، اسماعيل رأفت، حفنى ناصف، عبد الحميد فتحى، عبد الحميد مصطفى، عبد الرحمن قراعة، عثمان فهمى، فارس نمر، محمد امين واصف، محمد رشيد رضا، محمد شريف سليم، محمد عاطف بركات، مصطفى العنانى، يعقوب صروف. وقد انشأ المجمع عديدا من اللجان، منها: لجنة الجغرافيا والآثار والتاريخ، ولجنة الطب والعلوم الطبيعية (عدا النبات)، ولجنة المنطق والفلسفة والعلوم الاجتماعية، ولجنة الفقه والقانون، ولجنة العلوم الرياضية والفنون الجميلة والصناعة، ولجنة اصطلاحات الدواوين. وقد أعلن أن المجمع سيعمل على وضع معجم واف بحاجة الزمن شامل اصطلاحات العلوم والفنون والصناعات يستبدل بالكلمة العامية أو الاعجمية التى لم تعرف من قبل، غيرها من الألفاظ العربية الموضوعة للدلالة على معناها، فاذا لم يهتد، اقر الكلمة العامية او عرب الكلمة الاعجمية».

وقد كان جل اهتمام المنار فى هذا العام بحديث نهاية الحرب العالمية والصلح وقيام الدولة العربية وبروز الصهيونية فى فلسطين.

المجلد الحادى والعشرون (١٣٣٧ هـ — ١٩١٨ م)

حفل المجلد الحادى والعشرين من المنار بأبحاث فى جميع المجالات التى طرقها منذ نشأته واستكتب عددا من الأعلام أمثال : عبد الرازق البيطار ، عبد الغنى الرافعى ، عبده ابراهيم الطبيب ، محمد توفيق صدقى ، أحمد صفوت .

وان ظل القدر الأكبر من انشاء المنار لصاحبه السيد رشيد رضا ، كما عرض لأعلام المسلمين البارزين فى هذا العصر أمثال : السلطان محمد وحيد الدين ، وعبد الحميد الزهراوى ، والشريف حسين أمير مكة ، والأمير فيصل ، وحفنى ناصف .

ومن أبرز أحداث العام : ظهور البلشفية فى روسيا والتقابل بين ابن سعود أمير نجد وشريف مكة وظفر الأول ، وتناول المنار قضايا الدعوة الاسلامية فتحدث عن الجبرية وشبهاتهم وعن الجعد بن درهم أول المبتدعة وجهم بن صفوان ونقل شيئا وافيا عن الأشعرى ومناظرته للجبائى وعن علاقة الأشعرى بالمعتزلة ثم خروجه عليهم ، وتحدث عن علم الكلام وابتداعه وذمه ، وتحدث عن انتشار الاسلام فى مطالعه بسرعة لم يعهد لها مثيل فى التاريخ .

كما تحدث عن قضايا المتفرنجين والاصلاح الاسلامى ، وأبوة آدم للبشر ومذهب دارون ونقل تقرير مشيخة الأزهر عن التعليم الأولى ، وعرض اتفاق عام ١٩١٦ على بلاد العرب ، كما عرض قضايا سوريا الكبرى ، كما تحدث عن مذهب الوهابية وعقيدتهم .

وقد استهل المجلد بمقدمة استعرض فيها أحداث السنوات الأربع الأخيرة مثل عرش قياصرة الروس القاهرين وابعد القيصر وأهل بيته ، وتمزقت كبرى سلطنات امبراطوريات الأرض التى تصنع جمهوريات يسفك بعضها دماء بعض ، مثل عرش السلطة النمسوية وتمزقت الى عدة حكومات جمهورية وتدهور عن عرش أعز عاهل على وجه هذه الأرض بعد أن كاد يقضى على أكثر أمم الشرق مع الغرب ، وهو النافذ الحكم والارادة فى أوسع أمم الأرض علما وأدقهم نظاما فكان سقوطه كسلك انقطع فتناثرت الفرائد اذ سقط ملوك الجرمان وأمراؤهم واحد بعد واحد وتقلص ظل الترك عن بلاد العرب

والأرمن والأكراد التى سفكت طغاتهم الاتحاديون فيهــا الدماء وأكثروا فيها الفســـاد .

وقد ردد السيد رشيد رضا مبادىء المنــار وهى :

١ — احيــاء مفاهيم السنة ومراجعة كتابات العلماء السابقة : (علم الكلام والأشعرى وغيره واعادة النظر فيها والاعتزال وغيره على نحو متحرر من التقليد ومفاهيم الصوفيــة المغرقة فى التقليد واعادة مفاهيم الأشـــعرى وابن تيميه وابن القيم) .

٢ — الرد على الجبرية والقــدرية بسنن الله وآياته ، والرد على المتكلمين .

● ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لــ : حفنى ناصف ، الزهراوى ، الشريف حسين ، عبد الرازق البيطار ، عبد الغنى الرافعى ، عبده ابراهيم ، الألوسي .

المجلد الثانى والعشرون (١٣٣٩ هـ — ١٩٢١ م)

ما تزال القضية الكبرى التى يعالجها السيد رشيد رضا والتى حقق فيها نتائج واسعة المدى هى قضية مذهب أهل السنة والجماعة وتحرير الفــكر الاســـلامى من جمود المتصوفة وانحرافات الباطنيــة مع الحمــلة الكاشفة عن أخطاء التغريبيين والذى يطلق عليهم اسم المتفرنجون .

وفى هذا المجلد حديث واسع عن الباطنية وكيدهم للاسلام والعرب ، والربط بين الباطنية والبراهمة والصوفية ، وانقسام المسلمين الى ٧٣ ملة ، والفرقة الناجية أتباع (السلف) ومنها الامام أحمــد ورده على الزنادقة ، وأهل البدع واختلافهم ومطاعنهم ، وحديث عن الامام زيد وأتباعه ، وحديث عن القرآن وبراءته من الألفــاظ الأعجمية ، والحــديث عن الرازى وسعة اطلاعه وكثرة خطاه ، وحديث عن البخارى ومكانة صحيحه ، وتاريخ السنة ومعناه وأدواره ، وحديث عن كتب السنة ، مســلم والترمذى ، وحــديث عن الشيعة وحصر الاســـلام فى الامامة منهم ودسائس اليهــود والمجوس ، وحديث عن مأتم عاشوراء واقتحام الشيعة النار فيه ، وحديث عن عبد الله ابن سبأ والوثنية وانتقالها للعرب وأهل الكتاب والمسلمين ، وعمرو بن لحى الخزاعى أول من غير دين اسماعيل ووضـــع الأصنام فى الكعبة ، وحــديث عن المجوس وكيدهم للاســـلام ، وكيد اليهود فالمجوس فالافرنج للمسلمين ، وحديث عن موقف النصارى من الاســـلام ، وحديث عن أن الفينيقيون عرب

والكنعانيون عرب والاراميون من العرب ، وحديث عن حقيقة التصوف ومكانته من الشريعة ، هذا بالاضافة الى أحاديثه عن الأزهر والاصلاح الاسلامى .

ومن ناحية أخرى عرض المنار تاريخ هذه الفترة وأمر السياسة والحكم والدولة العثمانية فيها فتحدث عن الاتحاديين حكام تركيا وافسادهم فى الدول وبيعهم البلاد العربية للافرنج واتفاق عام ١٩١٦ على البلاد العربية ، واستعمار الغرب للشرقيين بعد الحرب ، وانكلترا واتفاقها مع فرنسا على اقتسام البلاد العربية ، واستخدامها شريف مكة وأولاده ، وحديث عن الدولة العثمانية وغرور المسلمين بها واتكالهم عليها وظهور الحياة فيها بعد الاحتضار، وحديث عن شريف مكة واباؤه الاتفاق مع أمراء العرب واتفاقه مع انجلترا ودخوله الحرب معها وعداوته للترك . وحديث عن مصطفى كمال باشا منقذ الترك وزعامته لجيش الأناضول .

هناك فصل مطول عن المسألة العربية وفصل عن المسألة المصرية وسعد زغلول .

• ترجم صاحب المنار فى هذا العدد لـ : احمد كمال باشا الأثرى ، طاهر الجزارى ، سعد زغلول ، الشيخ بخيت .

وقد استفتح المجلد الثانى والعشرين فقال :

أنذرنا أكابر السياسة فى مثل هذه الفاتحة منذ عامين أن ترك تنفيذ قواعد العدل وحرية الأمم لابد لها من احدى العاقبتين : « ان لا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير وانقلاب بلشفى شره مستطر او تعود العرب جذعة بهذه السياسة الخدعة الخبأة الطلمة (**والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور**) وقد صدقت الآيات ولم تغن النذر واتبع المنذرون أهواءهم وكل أمر مستقر فهذه الأرض تضطرم نيران الفتن والفساد والانقلاب البلشفى كل يوم فى ازدياد ، ان الناس لن يكونوا أمة واحدة ولن تخضع الأمم منهم لأمة واحدة ويا أيها الراسماليون والطامعون ان طلب الزيادة ينتهى بالوقوع فى النقصان وان السواد الأعظم من البشر لا يرضى ان يكون عبدا خادما لأفراد من الأعيان وان سنة رد الفعل سيكون لها القول الفصل والحكم العدل . وأنت أيتها الأمة الأمية التى عاودها الارتكاس فى عصبية الجاهلية الى متى هذا التفرق والانقسام بعد ذلك السعادة والوحدة والاعتصام وحتى متى تلدغين من الجحر

الواحد مرارا عديدة وقد حذرت فى المرتين وسمعت النذر بالاذنين ورايت العبرة بالعينين ان كان لهم منـك اى ولى وظهـر ورايت فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فياقوم انى لكم ناصـح امين على علم بالحق المبين ، من هدايـة القرآن ان لا تعبدوا الا الله ولا تياسوا من روح الله (**وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعـا حسنا الى اجل مسمى ويؤت كل ذى فضل فضله**) فقاتلوا أولياء الشيطان بما امركم به الرحمن من غير تحريف ولا تصحيف فى القرآن .

وما لا اخصه بالتذكر لقومى وعشيرتى بما يشد أمر الجماعة ويضـع عنها امرها ويحكم أواصر الجامعة ويرفع لها ذكرها (**ذلك بان الله لم يكن مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم**) ، اسـتدار الزمان ووقع من التطور الاجتماعى ما لم يكن فى الحسـبان وسـيترك ما بقى من صروح الاستبداد وينطلق سائر المستعبدين من مقاطر الاستعباد وبفضـل التضافر والتظاهر والاتحاد . انما الذل والهوان على أهل النفاق والدهان والمتفرقين فى المذاهب والأديان المخدوعين بكلمة العدل والمدنية والمساواة والحرية ، انما المعاهدات حجة الأقوياء على الضعفاء .

هذا هو الطريق الذى بداه جمال الدين ومحمد عبده

م ٢٣ (١٣٤٠ — ١٩٢٢)

ارهاصات الأحداث واضحة فى المجلد . فهذا كتاب عن الخلافـة الاسلامية للعلامة ابو الكلام ازاد ترجمة عبد الرازق المليح ابادى ، وقـد جاء على اثر ذلك أن وقع الانقلاب التركى الجديد (نوفمبر ١٩٢٢) باسقاط الدولة العثمانية وتاسيس دولة تركية وجعل سلطة الخلافة العثمانيـة روحية بحرمان الخليفة من السلطتين التشريعية والتنفيذية عملا بقاعـدة الديمقراطية الغربية .

وبدا اثر ذلك واضحا فى مصر والبلاد العربية وحديث عن مؤتمـر لوزان وفى نفس الوقت أحاديث عن البهائية بعد موت زعيمهم عباس البهاء وعن القاديانية التى اسماها (المسيحية الهندية) وحديث عن مجوسـية الفرس وعن السياسة وتاريخها باعتبارها الضربة الأولى التى ضرب بهـا الاسلام **وحديث عن مدينة القوانين التى اثارها محمود عزمى والسـعى**

لالغاء المحاكم الشرعية وما يتصل بذلك من انشاء جمعية الرابطة الشرقيـــة ومجلتها برئاســـة الشيخ على عبد الرازق وأحاديث أخـــرى عن كوارث سوريا فى سنوات الحرب وما فعـــله جمال باشا فى سوريا للأمير شـــكيب ارسلان ، والاحتفال بذكرى الامام محمد عبده وفتوى شـــيخ الاســـلام بأن الكماليين بغايا يجب قتالهم ، كما أورد الأحكام الشرعية المتعلقة بالخـــلافة الاســـــلامية .

وفى افتتاحة المجلد الثالث والعشرين حديث العام : ذهب طور الترف والفسوق المهلك للأمم والمفسد للحكومات والدول وصرنا الى طور الشدائد المجهضة للقلوب المدمرة لمصابيح العقول الموحدة لنار الهمم المظهرة لاستعداد الأمم بازالة الأحقاد وجمع الكلمة على الجهاد . ويقول : جرينا على منهـــج الامامين الحكيمين فى الدعوة الى الوحدة وجمع كلمة الأمة بالتذكير بآيات الله المنزلة فى القرآن وما هدى اليه من سنة المطردة فى أطوار الانسان .

● ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد : سعيد حليم .

الفصل الرابع

المنـــار : الى وفاة الشـــيخ رشـــيد

هذه المرحلة الأخيرة من حياة المنار كانت خصـبة حافلة ، فقد وقف السيد رشيد ازاء تحركات التغريب والغزو الثقافى الذى قاده على عبـد الرازق ومحمود عزمى وطـه حسين موقفا حاسـما وكشـف زيف هـذه المخططات ومضى فى طريقه فى الدعوة الى الله ومواجهة مخططات الاستعمار فى مختلف اجزاء العالم الاسلامى ، معارضا لجوانب الضعف والانحراف فى الحضارة الغربية داعيا المسلمين والعرب الى منهج اسلامى اصـيل والى بناء المجتمع الربانى الأمثل .

●●●

م ٢٤ (١٣٤١ هـ — ١٩٢٣ م)

لا ريب ان اضـخم الأحداث التى اهتم بها المنار فى هذا العـام هو الخلافة الاسلامية فقد قدمت دراسة واسعة عن حقيقة الخلافة ومفهومهـا فى الاسلام كما قدمت كتابا صدر فى انقرة ضد الخلافة لعله هو أحـد الكتب التى اهتدى بها الشيخ على عبد الرازق فى كتابه كما اشـــار الى فتاوى مصطفى كمال الدينية .

(ثانيا) أولى اهتماما بالغا لأحداث العالم الاسلامى ،

فأشار الى النهضة الأفغانية ومؤتمر لوزان كما تحدث عن الجامعـة الاسلامية والجامعة الجنسية ووجوه التعارض بينهما وأشار الى ثورة الهند السياسية وانتصارها للخلافة والدولة العثمانية والخطاب الذى القـــاه امام المحكمة الشيخ أبو الكلام ازاد .

كما أشار الى حركة الأمير عبد الكريم الخطابى فى المغرب والاستفتاء مع ملك الحجاز .

(ثالثا) أولى اهتمامه للوهابية وحقيقتها ومنشأ الطعن فيها ، كمـــا كشف زيوف « المسحة الاسلامية القاديانية » الملقبة بالأحمدية ، وتنـاول بالعرض برنامج تعبير المحمديين وبرنامج كيدهم للاسلام .

(رابعا) عرض للتراث الاسلامى المنبعث وأولى اهتمامه بمجموع الامام زيد المسمى بالمجموع الفقهى ، كما نشر صفحات مشرقة للأمير شكيب ارسلان عن انتداب العرب فى سويسرة فى القرون الوسطى كما تحدث عن مؤلفات ابن تيمة وابن القيم والشوكانى .

(خامسا) قدم عرضا لذكرى رينان فى الجامعة ورد على محاضرة الشيخ مصطفى عبد الرازق فى رينان والأفغانى .

وقد استهل السيد رشيد رضا افتتاحية المجلد الرابع والعشرين بتذكير قراء المنار بعبرة شئون الاجتماع والعمران وتنازع عوامل الصلاح والفساد فى الانسان وما يناسب ذلك من هداية القرآن : حجة الله البالغة بما فيها من آيات العلم والبيان المناسبة لكل زمان ومكان ، ذلك لأن « المنار » انما أنشىء لايقاظ الشرق وتمدن الاسلام باعادة تكوين الأمة وحياة الملة والدولة لفروع الفقه وأصول العلم لا لجدليات المذاهب الدينية ولا تاييد العصبيات الجنسية ولا لنشر ما يتجدد من قضايا العلوم ونظريات الفلسفة أو مخترعات الفنون وعجائب الصناعة ، ولا لقصص التاريخ ونوادر الفكاهات ولا لجوانب الحوادث واخاديع السياسة ، بل كل ما يذكر فيه مما يدخل من هذه الأبواب فانما يولى وجهه شطر ذلك المحراب لأن الأمة اذا احيت ، احيت من العلوم ما كان ميتا ، وأنشرت من الفنون ما كان رميما ، واذا ماتت أماتت معها ما كان حيا ، ودرست ما كان مدروسا مرديا .

واستطرد يقول : ومن آياته الماثلة امام الناظرين فضيحة هذه المدنية المادية التى فتنت اوربا بها المسلمين فقد ظهر لهم ما كان خفيا من فسادها وذهب بهيبتها ما كان من الفظائع فى حربها ومن آياته أن ثل عرش دولها المقهورة وزلزل اركان دولها المنصورة ، وضعضع ثروتها وأوقع الاضطراب فى معيشتها ، ومن آياته ان اذل جبروت أعظم دولة قاهرة .

ويقول : لقد كان لنا جامعتان سعد سلفنا بالاعتصام بهما وشقى خلفنا بالتفرق والاختلاف فيهما ، جامعة علمية روحية وهى كتاب الله وما فيه من سنة خاتم النبيين ، وجامعة سياسية هى الامامة العظمى وما بينها من سيرة خلفائه الراشدين وهدى السلف الصالحين ، وهذه متممة للأولى

ومنفذة لها ، وأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن . ثم تفرقنا فى القرآن بالتأويل فذهبنا مذاهب جعل الملة الواحدة مللا وتفرقنا فى الامامة بالعصبيات فصارت الأمة أمما والدولة دولا ، ثم أعرضنا عن كل من الجامعتين كلتيهما وبطل الاقتداء بالامامين مـــع احترام اسميهما أو كلمتيهما فتجمـــد بعضنا على ظواهر بعض الكتب التقليدية ومن تعصب بالقوانين والنظم الأوربيـــة وروابط شعوبها الجنسية والوطنية .

يقول انه فى العدد الأول من المنار كتب فى بيان حق الامام على الأمة وحقوق الأمة على الامام فلما قرأتها على الشيخ محمـــد عبده أشار الى (ترميج) هذه الكلمة منهـــا وقال ان المسلمين لم يبق لهم امام الا القـــرآن وأن البحث فى الخلافة وما يجب على السلطان فتنة للناس ، واشار الى فساد الأمراء وخروج الخلافة عن الأساس الذى اقامه عليهـــا الاســـلام فى عهد الراشدين ، وقال : الا أن اقامة الامام هى التى تحيى هـــذه الأمة ولكن أمرها لا يزال غمة ليس وراءها غمة ، وأنها لترهق محاولها صعودا ، وتتقحم به كؤودا وتجشمه منالا بعيدا ، وان أسعد الناس بهـــا لأزهدهم فيها ، وان أطمعهم فيها لأعجزهم عنها وان أقربهم منها لأبعدهم عنها .

● ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لـــ : احمد كمال باشا ، الأمير عبد الكريم الخطابى .

المجـلد ٢٥ (١٣٤٢ هـ — ١٩٢٤ م)

تعد القضايا السياسية للعـــالم الاســـلامى هى ابرز الجوانب التى يوليها المنار اهتمامه وهذا المجلد حافل بقضايا سياسية اسلامية كثيرة :

أولا : ملف كامل عن الشريف حسين وموقفه من بريطانيا وفلسطين وزيارة ملك الحجاز لشرق الأردن ، ورسالته الى الأمة البريطانية وفساد حكم الشريف حسين فى مكة المكرمة .

ثانيا : المسألة المصرية بعد تأليف الوفد المصرى ووزارة سعد .

ثالثا : الاتفاق بين الأمير فيصـــل والدولة الفرنسية على الانتـــداب على سوريا .

رابعا : تركيا الكمالية والانقـــلاب الدينى والسياسى فى الجمهـــورية

التركية والغاء الخلافة (عبد العزيز جاويش ـ محمد شاكر ـ أمين الرافعى) وموقف العالم الاسلامى من الجمهورية التركية .

خامسا : الخلافة ومؤتمر القاهرة ، والمسألة العربية فى طور جديد بين ملك الحجاز وسلطان نجد ، وزحف النجديين على الحجاز (الوهابيين) وقضية الأمير الخطابى والريف والمغرب .

ومن ناحية أخرى تجرى الأبحاث والدراسات :

١ ـ التفسير والفتاوى .

٢ ـ دراسات عن التراث (كتاب أساس البلاغة للزمخشرى فى طبعة جديدة لدار الكتب المصرية) .

٣ ـ قضايا المجتمع الاسلامى :

(أ) تزويج المسلم لغير المسلمة ومسألة تحديد الزواج بقانون وتحديد سن الزواج بتشريع قانونى .

(ب) تحريم المسلمات على غير المسلمين .

٤ ـ الرد على الشبهات وخاصة فيما يتعلق بوحدة الوجود وابطالها بقلم الامام ابن تيمه وبحوث عن الامامة والباطنية والجمعيات السرية .

٥ ـ قضايا التبشير والاغراء بين التصدى والمسلمين ، ودعوة المسلمين الى النصرانية .

٦ ـ الأزهر ماضيه وحاضره ومستقبله .

٧ ـ ترجمة القرآن وتحريف الترجمة والتشكيك فيه فى تركيا .

٨ ـ وفيات الأعيان : الشيخ محمد المهدى ـ السيد محمود شكرى الألوسى ، الشيخ سالم ابو حاجب .

* * *

ويقول السيد رشيد رضا فى الافتتاحية : ان المنار لم يكن يبلغ سن الشباب (الخامسة والعشرون) الا وكان منشئه قد شاخ وشاب ونحمد الله ان كان وقع الشوائب التى شيبت الرأس ولم تشيب العزم واليأس ولم تشب الهمة بشائبة من اليأس ، فقد ثبت المنار على دعوته التى وضعناها فى أول نشأته .

ويقول : سننتقض بالرد على الملاحدة ومحاولة هدم الاســـلام باسم الاسلام من البهائية والأحمدية المسيحية القاديانية فقد قويت دعوتهم فى مصر ويؤيدهم بعض الكتاب فى الجرائد والمجلات المشهورة ».

المجـــلد ٢٦ (١٣٤٣ هـ — ١٩٢٥ م)

كانت القضايا الشاغلة للسيد رشيد رضا خلال العام هى كبريات الأحداث فى العالم الاسلامى وأبرز الأحداث ظهور كتاب على عبد الرازق (الاسلام وأصول الحكم) ينكر فيه كون الاسلام دين تشريع وامامة وحكومة وقضاء ويبيح للمسلمين أن ينتحلوا أى حـــكم وقانون ويتبعوا أى حكومة من الحكومات ، وقد قدم تفاصيل وافية عن أهم منكرات الكتاب كما تناول الموضوعات الآتية :

١ — ابن السعود واستيلاؤه على جميـــع الحجاز والوهابيون والافتراء عليهم ».

٢ — أوربا والاســـلام والخلافة ومؤتمر الخلافة والاســـلام فى أوربا فهمه وانتشاره .

٣ — سوريا وثورتها على فرنسا وموقف نصارى الشرق من المستعمرين .

٤ — حرب الريف التى يقودها الأمير عبد الكريم الخطابى .

٥ — الدولة التركية فى تطورها التغريبى ، وجمعية الاتحاد والترقى .

٦ — الأزهر وقضايا التربية والتعليم بعامه .

٧ — حملات التبشير النصرانية على الاسلام وبشارات التوراة والانجيل وعرضها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعرض للمدارس التبشيرية وملاحدة المتفرنجين من العرب .

٨ — أسبانيا والعرب فى الأندلس : صفحة عن آخر عهد المسلمين بهـــا واكراه الاسبانيين على النصرانيـــة وعامة العرب وأواخر العهـــد بتسليم غرناطة .

٩ — عرض لقضايا التغريب والغزو الثقافى ، عنـــد ترجمة القرآن وكيف تجعله اعجميـــا ولبس البرنيطة كما تحـــدث عن أخطاء الصوفيـــه (الرفاعية والبطائحية والشعرانى وخرافاته) كما هاجم ابن عربى وابن الفارض والجعد بن درهم والشيرازى الصوفى والصدر الروبى

وحديث عن كعب الاحبار ووهب بن منبه كما أورد مناظرة ابن تيمية مع البطائحية الرفاعية .

كما أورد المنار عشرات من الأحاديث عن ومع الشخصيات الاسلامية البـــارزة :

الشيخ أبو الفضل شيخ الأزهر وأحمد شوقى والأستاذ الامام والأمير شكيب ارسلان وجمال الدين الأفغانى وسعد زغلول ورحمة الله الهنـــدى ورفيق العظم وفؤاد سليم والشيخ محمد بن عبد الوهاب .

كما قدم عـــددا من الكتب الاسلامية الهـــامة التى ظهرت على مدار السنة :

ايقاظ الغرب للاسلام للورد هدلى ، تقرير الدكتور فخرى عن البقاء وحاضر العالم الاسلامى وحواشيه التى كتبها الامير شكيب أرسلان وخلاصة تاريخ الأندلس وكتاب الخلافة الاسلامية ، كما قدم لكتب التراث : المغنى والمحلى (ابن حزم) واسرار البلاغة (الجرجانى) .

***

وقد استهل فاتحة المجلد السادس والعشرين فقال :

ان أهم ما طرأ فى هذا العام اقدام الترك على نشر ترجمـــة للقرآن وتصدى حكومتهم الجمهورية لنشرها لأجل أن تحل محـــل القرآن العربى الذى هو كلام الله تعالى ، فرأيت تحقيق الحق فى هذه المسألة فى نفســـها وبيان الباعث عليهـــا ، مسألة الخلافة فى جميـــع وجوهها (فى المجلدين ٢٣ ، ٢٤) .

وتحدث عن توسع المطبعة وادارتها بقوة الكهرباء .

ويقول : سيكون أكبر همنا فى المجـــلد السابع والعشرين موجهـــا الى مجاهدة الملاحدة والاباحيين الذين نشطوا فى هذه الأيام فى تعميم دعوتهم الى هدم العقائد والتجرئة على الفواحش والرزائل وتقطيع الروابط الملية والقومية واعداد الامة لقبول السيطرة الأجنبية وجميع الفتن المادية حتى البلشفية والى مجاهدة البدع والخرافات القديمة التى يبثها أهـــل الطرق التى تسمى صوفية وما ولدته من البدع الحديثـــة كالمسيحية القاديانيـــة ، وكل هذا من قبيل الهدم ثم الى تأييد دعوة الاصلاح وتجديد أمر الاســـلام

بالرجوع فى عقائده وعباداته الى القرن الأول والاعتماد فى قوته وعزته على فنون العصر الحاضر وهذا هو البناء المطلوب ولعله لا يتم الا فى جزيرة العرب ».

المجلد ٢٧ (١٣٢٤ هـ — ١٩٢٦ م)

الموضوعات الثلاث الكبرى التى ما تزال تشغل المنار فى مجال السياسة الاسلامية :

— الدولة التركية وموقفها من العرب والاسلام — حكم آل سعود لجزيرة العرب وموقف الشريف حسين وأولاده — دعاة الالحاد فى مصر وقضية كتاب الشيخ على عبد الرازق التى لم تنته وظهور قضية الشعر الجاهلى لطه حسين .

كما نشر صفحات مطوية للامام الشيخ محمد عبده ، وتصدى للنحلتين :

١ — البابية والبهائية فى بلاد العرب .

٢ — القاديانية فى البلاد العربية .

٣ — فتنة ملاحدة الترك فى سوريا ومصر .

مع تحرير مفاهيم الوهابية والكشف عن أخطاء الباحثين بالنسبة لكعب الأحبار ووهب بن منبه ومذهب دارون وبطلانه والتوفيق بين الدين والعلم .

كما أورد بحوثا حول ابن خلدون وعلم الاجتماع ، وأحكام السفر والاقامة لابن تيمه وفتاوى حول صندوق التوفير فى البريد ، وقضايا المجتمع : المراة والحجاب ومحاربة البغاء .

كما عرض للمؤلفات الحديثة : كتاب مرآة الحرمين ، ونهاية الأرب ، وكتابى الخضر حسين وبخيت المطيعى فى الرد على كتاب الاسلام وأصول الحكم لعلى عبد الرازق ، والموجز فى علم الاجتماع ، ودروس فى التاريخ الاسلامى ، ورجال المعلقات العشر وبلوغ العرب فى أحوال العرب ومن أهم الكتب التى صدرت فى الرد على كتاب طه حسين كتاب مصطفى صادق الرافعى « اعجاز القرآن » .

* * *

وقد صدر السيد رشيد رضا هذا المجلد بحديث مستفيض عن أحوال المسلمين فقال : بالأمس خسر الاسلام دولة كانت مبدأ الأجيال الوسطى

فى تاريخه ، واشد دولة بأسا ، وهى دولة آل عثمان ، وخلفتها دويلة تركية هى أشد دول الأرض عداوة له ، واليوم تجـدد له دولة جديدة هى أرض دولة لتجديد هدايته واعادة مجده ، اذا عرف سائر المسلمون كيف يؤيدونها وينصرونها ويفيدونها ويعتدون منها هى الدولة العربية السعودية التى قامت فى مهد الاسلام .

ثم قال : فرض الله الأمر بالمعـروف والنهى عن المنكر وأكد أمره ، ولعن تارك التناهى عن المنكرات التى يفعلها بعضهم فى كتبه وعلى السنة رسله ، لئلا يترك المعروف ويفشـو المنكر فيصير كالمعروف فيختل امر الفضائل :

« ومن رأى منكم منكرا فليغيره » (الحـديث) .

ترك المسـلمون تغيير المنكر بالفعل بضعف الخلافة وصيروتها لقب تشريف ثم ترك انكاره بالقول لفشوه فى الحكام المستبدين والزعماء الظالمين وضعف الدين فى جماعات المسلمين الا قليـلا منهم كانوا يظهرون ضيقا ويخفون أحيانا ولا يجدون لهم شوكة ولا سلطانا .

حتى ظهر فى أواخر القرن الثانى عشر للهجرة واول ما بعده الاصلاح الوهابى فى نجد قام به عالم نجدى اسمه (محمـد بن عبد الوهاب) يدعو الى التوحيد الخالص : وهو عبادة الله تعالى وحـده بما شرعه للنـاس فى كتابه وعلى لسـان رسـوله ، وقاومه الناس وآذوه كما آذوا من قبله ومن بعده كل داع الى الحق والخير ويسخر الله من الزعماء الاقوياء من آزره حتى تأيد القول بالفعل وانتشرت دعوته الاصلاحية بقوة سـيوف البيت السعودى فى جزيرة العرب حتى استولوا على الحجاز وكادوا يجـددون للاسلام مجده وحضارته بمثل نهضته الأولى كما خرج بذلك كل من عرف كنه حالهم من الشرقيين والغربيين لولا أن تصدت لهم الدولة العثمانيـة فحاربتهم فى جهة العراق والحجاز ولما عجزت عنهم استعانت عليهم بدولة مصر الفتاة فحاربهم محمد على حتى أخرجهم من الحجاز ، ولم تكتف الدولة التركية وأعوانها بهذه الحرب بل اثارت عليهم حربا شرا منهـا واشأم ، وهى حـرب الدعاية بالطعن فى عقائدهم وأعمالهم وتسمية سنتهم بدعة ، وخيرهم شرا وعرفهم نكرا .

وكتب المنزلقون فى ذلك الكتب والرسائل الكثيرة وأودعوها من فنون الكذب والبهتان ما لا يخطر الا فى بال الشيطان .

والقى رجال السلطان عبد الحميد الأخير الشقاق والعداوة بين آل سعود وآل الرشيد فى نجد وما زالوا يمدون ابن الرشيد بالسلاح والمال الى أن تمكن من اخراج آل سعود من نجد واستولى على الرياض عاصمة امارتهم حتى كان ما كان من نهضة عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل المؤيد بنصر الله وتوفيقه واستعادته لنجد ثم استيلاؤه على امارة ابن الرشيد وعلى بلاد الاحساء وكل ما كان بيد الدول العثمانية من تلك البلاد ثم على بلاد عسير ثم على المملكة الحجازية برمتها .

هذا هو الطور الجديد المرجو للاسلام ، وهذه هى الفرصة السانحة لتجديد هديه واعادة مجده ، فهل يضيعها المسلمون كما اضاعوها أول مره .

وتحدث عن تضاعف الشكوى من انكار البدع والمحدثات التى شوهت الاسلام فى القرون الوسطى وتفاقمت وطغى طوفانها فى القرون الأخيرة ونحدث عن بعض كتب التصوف المنحرفة فهاجمها وتحدث كيف تروج فى المسلمين الدعاية الظاهرة البطلان التى راجت منذ قرن ونصف بأكاذيب احمد زينى دحلان وأمثاله عن الوهابيين والدعاية التى اذاعها الشريف حسين واولاده فى الطعن فى الوهابية ، وأشار الى « ملاحدة الأتراك » الذين يصمون الاسلام لأنه عربى ، وقد راى بعضهم أن تكون صورة الذئب الاغبر شعارا لهم لأن اجدادهم عبدوه وقدسوه فى جاهليتهم الأولى ورأينا منهم من يفتخر بجنكيز خان وهولاكو خان أعداء البشر ومخربى العمران .

● ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لـ : الاديسى — شوكت على — محمد على .

المجلد ٢٨ (١٣٤٥ هـ — ١٩٢٧ م)

حفل هذا المجلد من المنار بدراسات واسعه فى مختلف المجالات وكان ابرز اهتمامات المنار بروز المملكة العربية السعودية ، ومعاهده جدة بين ملك الحجاز ونجد وبين انجلترا .

كما تحدث عن علاقات العرب والانجليز فتحدث عن سياسة الانجليز فى الشرق وزعماء العرب ونشر محاضرة مستر كراين عن جزيرة العرب

كما أشار الى مشروع بريطانى لينصر جزيرة العرب وأشار الى العلاقات بين اليمن والحجاز .

وكشف عن بيان علاقة المنار بالوهابية والملك عبد العزيز ونشر فصولا من كتاب كشف الشبهات للامام محمد بن عبد الوهاب .

ونشر فصولا فى الرد على كتاب الاسلام واصول الحكم لعلى ابن عبد الرازق ، كما نشر قرار النيابة فى قضية طه حسين ، كما تحدث فى فصول عن القاديانية الملقبة بالأحمدية وعرض لعدد من قضايا المجتمع مثل قانون الأحوال الشخصية والنهضة النسائية والزى الاسلامى والربا وحقيقته وسبب تحريمه ، وتعرض لمسألة القبور والمشاهد عند الشيعة ونشر خطاب النشاشيبى فى تكريم شوقى .

هذا بالاضافة الى الأبواب الثابتة : تفسير القرآن وفتاوى المنار (تعدد الزوجات ، تعدد زوجات النبى ، البيت الحرام ، سدنته وكسوة الكعبة ، تأويل آيات الصفات) وعرض للقرآن ووجوه الاعجاز والاسرائيليات وتحدث عن النهوض باللغة العربية ، وتحدث عن أتاتورك وحياته وأعماله فى تغريب تركيا ، وهاجم مجلة الحديث الحلبية (سامى الكيالى) فى مواقفه التغريبية وفى هذا المجلد عرض تراجم لابن تيممه فى القديم وأحمد عباس الأزهرى ، وسعد زغلول ، وأمين الرافعى .

وعرض السيد رشيد رضا فى افتتاحية المنار للموقف العام فقال :

لو كنا نعمل للمال لصانعنا رجال المال من الأفراد والجماعات كالأحزاب والحكومات ، ولو كنا نعمل للمال لاتبعنا أهواء الجماهير فى اختيار الهزل على الجد وايثار الافساد على الاصلاح ونحمد الله اننا لم نسلك طريقا فى الاصلاح الخاص بالحكام الباذلين والأمراء والملوك والسلاطين والجماعات الدينية والسياسية . تلك سيرتنا فى نقد الحكومة الحميدية ثم فى التشنيع على الجمعية الاتحادية وحليفتها الحكومة الكمالية وفى جهاد الملك حسين بن على وأولاده وفى انكارنا على متبعى المذاهب من الشيوخ الجامدين ورجال الطرق الخرافيين . وقد عرضت فى هذه الأيام شبهة تأييدنا للحكومة السعودية والطريقة الوهابيــة ، والمنار يدعو من أول نشأته الى التوحيد الخالص ومذهب السلف الصالح فى عقائده الاسلامية وهدايته

كما يدعو الى فنون العصر وسنن الخلق في سياسته وقوته ، ولم يكن في ذلك الوقت ملك ولا سلطان يتهم بالطمع في مساعدته بل لم يكن يومئذ يعلم أن الوهابية يعتصمون بمذهب السلف بل كنا نصدق الدعاية التركية التي ذاعت في العالم منذ القرن الثالث عشر من أن الوهابية فرقة مبتدعة معادية للسنة وأهلها وأول رجل سمعت منه أن هؤلاء الوهابية قوم مصلحون أرادوا اعادة هداية الاسلام الى عهدها الأول هو محمد مسعود بك الكاتب المصرى ثم قرأت ما كتبه في نشأتهم مؤرخ عصر ظهورهم الشيخ عبد الرحمن انجبرتى الأزهرى ثم ما كتبه محمود فهمى المهندس المصرى في كتابه البحر الزاخر ثم صاحب الاستقصاء في تاريخ المغرب الأقصى ثم ما كتبه الشيخ عبد الباسط الفاخورى مفتى بيروت في تاريخ الاسلام ، كما أنه أتيح لى الاطلاع في أثناء ذلك على كتاب التوحيد وكتاب كشف الشبهات للامام المجدد الشيخ محمد عبد الوهاب رحمه الله تعالى ثم على غيره من كتبهم بالتدريج واطلعت شيخنا الامام على ذلك .

المجلد ٢٩ (١٣٤٦ هـ — ١٩٢٨ م)

ما تزال قضايا النفوذ الأجنبى في العالم الاسلامى وآثار الاستعمار في عديد من دول الاسلام هى الشغل الشاغل للمنار ، وفي مقدمتها الدولة التركية العلمانية وأعمالها في القضاء على روح الاسلام في الأتراك وأثر ذلك في البلاد الاسلامية الأخرى حيث ظهرت جماعات فيها تدعو بدعوته وما ظهر في مصر من كتابات وصحف تؤازر هذا الاتجاه التغريبى وخاصة كتابى طه حسين (الشعر الجاهلى) وعلى عبد الرازق (الاسلام وأصول الحكم) وكتابات سلامة موسى ومحمود عزمى في نفس الاتجاه ومجلة الرابطة الشرقية ومقالاتها المسمومة .

وامتداد هذا الأثر الى فارس والأفغان حيث يتحدث السيد رشيد رضا عن الحكومات اللادينية في الترك وفارس وأفغانستان ، كما يتحدث عن الانجليز وتنصير مسلمى السودان والمؤتمر الاسلامى العام في القدس من أجل قضية فلسطين وغزو الصهيونية لها وما يسمى الوطن القومى لليهود ، وفتنة اليهود بانتزاع جدار المسجد الأقصى وخطر هجوم الكماليين على الاسلام يتمثل في استبدال الحروف العربية بحروف لاتينية وأحاديثه

عن السنة والشيعة ، والوهابيـــة والرافضة ، ورسائل اخوان الصـــفا ونظرية النصارى فى خطيئة آدم ، والرد على الأحمدية خلفاء القاديانيـــة وترجمة محمد على اللاهورى للقرآن، وفيما يتعلق بالأزهر أورد مذكرة المراغى فى اصلاح الأزهر ، وتحدث عن الاصلاح فيه والتعليم ، ومطاعن البشرية على الاسلام ورد ســـيف الرحمن اللورد هدلى واحاديث عن الوهابيـــة والصحفى النمسوى يحيى بك كيف صار مسلما ، واحاديث عن الماسونية واستحضار الأرواح والمراة المسلمة ونهضتها الحاضرة ، كما عرض لقضايا مقارنات الأديان والبروتستانت والكاثوليك .

وقد حفل العام باسماء كثيرة من المعاصرين جاء ذكرها ، منها الامام محمد بن عبد الوهاب وابن سعود والشيخ المراغى واحمد ابراهيم وسعد زغلول ومحمود شكرى الألوسى والأمير شكيب ارسلان وســـليم البخارى وسيد أمير على والشريف حسين وعبـــد الرحمن الدمرداش وعبـــد العزيز جاويش وعلى سرور الزنكلونى ، وجاءت ردود على كتابات طـــه حسين وعارف الزين وهيكل وسلامة موسى .

كما عرض المنار لأفكار عدد من علماء الاسلام : ابن تيمية وابن القيم واحمد بن حنبل والبخارى واحاديث عن الصحيحين وابو هريرة .

* * *

وقد افتتح المجلد التاسع والعشرون بحديث عن مدنية أوربا المادية فقال أنها لا تجد لها منقذا من الهـــلاك القريب فى التنازع بين عبـــاد المال والشيوعيين وفى الاسراف فى الشهوات والمطامع الا بدين القرآن فعـــلى المؤمنين الراسخين أن يعجلوا بانقاذها به قبل أن تقضى هى على ما بقى لهم من ملك وثروة وقوة :

ويقول : « ان الاسلام لا يزال قوة عظيمة فى الشرق كله اذا وجد لها زعماء جامعون بين العقل والعـــلم والحزم فانه يمكنهم أن يحفظوه ويرقوه ويحفظوا له بقية بلاده ويستفيدوا الكثير مما فقد منها بل يمكنهم أن يحلوا به عقدة مشكلة المدنية الكبرى ويعمموا نشره فى بلاد الغرب كلها ، اقول هذا عن علم وخبرة اكتسبها فى بحث استمر زهاء ثلث قرن ولما أجد لها الزعماء الصالحين لتنفيذها ، وكان شيخنا الأســـتاذ الامام موقنا بهـــا وصرح به

فى الدرس العام بالجامع الأزهر وكان مثله حكيم الاسلام والشرق السيد جمال الدين موقنا بهذا ويحاول أن يكون بسعيه ، وما أحبط سعى هؤلاء كلهم الا الدولة البريطانية وهى تحاول احباط عمل كل عامل يعمل للاسلام ايضا ما استطاعت ولكن الزمان قد اختلف .

● ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لـ : سيد أمير على — سليم البخارى — عبد الرحيم الدمرداش .

المجلد ٢٠ (١٣٤٨ هـ — ١٩٢٩ م)

سيطرت ثورة فلسطين على قضايا العالم الاسلامى ، وجددت الحديث عن اليهود والانجليز والغرب والماسونية والجزويت واليهود والكنيسة وملك اليهود وهيكلهم ، وحديث عن الاسلام وآراء بعض علماء الافرنج فيه وانتشاره فى قرن فوق انتشار النصرانية فى عشر قرون وجهاد أوربا له بالسلاح والعلم والسياسة للادالة منه ، وقد حفل المجلد بكتابات أسماء لامعة منها الأمير شكيب أرسلان عن ما يقال عن الاسلام فى أوربا ووجوب اطلاع المسلمين عليه ، ومحاضرات عجاج نويهض عن النهضة الاسلامية ، وأحاديث للمستشرق مونتيه الذى ترجم معانى القرآن وكتب عن السنة النبوية ، كما عرض لكتاب درفيحم عن النبى محمد (حياة محمد) وحديث عن طنطاوى جوهرى وتفسيره ورد الشيخ طنطاوى ومساجلة عاصفة بين رشيد رضا ومحمود عزمى حول مساواة المرأة والرجل فى الحقوق والواجبات .

وقد أولى الشيخ رشيد رضا اهتمامه بالخلافات بين السنة والشيعة بمناسبة الخلاف الجديد الوهابية والرافضة ، كما أورد سيرة شيخ السلام ابن تيميه ، وعرض تاريخ حروف الكتابة ، وعن المدارس والجمع بين الجنسين وتعليم أبناء المسلمين فى المدارس الأجنبية ، كما تحدث عن نظرية دارون وموقف الاسلام منها ، وفى المحاورات الخاصة بمقارنات الأديان تحدث عن الثالوث ، ونصرانية الافرنج ولماذا لا يسلمون وهيمنة القرآن على التوراة والانجيل ، كما تحدث عن حقيقة الربا وأحاديث عن اسماعيل باشا وادخاله القوانين الفرنسية فى مصر ، وعرض لآراء بعض المستشرقين عن الاسلام والرد عليه ، كما عرض رأى تولستوى وعقيدته

فى المسيحية ، والصوفيـــة واخطائهم ، ولم يتوقف عن أحاديث الأزهـــر والتعـــليم فيـــه .

● ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لـــ : المراغى — أمين سامى .

* * *

وقد افتتح المجلد الثلاثين بقوله : نحمـــد الله أن قدرنا على استمرار اصداره فى تلك السنين النحسات ونرجو من فضـــل الله تعـــالى أن نثبت على هذا التاريخ فى اصداره ما دمنا متمتعين بالصحة بعد أن من علينا بدار صالحة للسكنى والمطبعة ، نذكر القراء فى فاتحة المجلدين الثلاثين أن الحملة على الاسلام قد اشتدت فى هـــذا العهد من خصومة فى الداخل والخارج ، أعنى من قبل دول الاستعمار ودعاة النصرانية وهم طلائعها ومن أعوانهم وانصارهم وتلاميذهم فى البلاد الاسلامية نفســـها ، ولست أعنى بهـــؤلاء من يستخدمهم المبشرون من نصارى القبط والسوريون والأرمن وغـــيرهم بل اعنى من هم أشر منهم وأضر ، من ملاحدة المسلمين من الترك والايرانيين والأفغـــانيين ، ودعاتهم واخوانهم من المصريين وأشـــباههم من السوريين والعراقيين ومن الهنـــود والافريقيين وسائر الشـــعوب الاسلاميـــة الذين ســـممتهم التربية الافرنجية وأفسدتهم الآراء المادية وجنى عليهم الاسراف فى الشهوات البدنية ، ونحن نطلق لقب الألحاد على كل من يسمى خطـــة هؤلاء الكماليين الى نبذ الشريعة الاسلامية برمتها من حكومتهم والتمهيد لمحو عقائد الاسلام وآدابه وعباداته من نابتة شعبهم ، بمنع اللغـــة العربيـــة جميع بلادهم وترجمة القرآن لا تؤدى حقائق معانيـــة من لغتهم ، وكتابته كغيره بالحروف اللاتينية للاجهاز على الفاظه واساليبه المعجزة ، بل كل من يسمى هذه الخطة اصلاحا ويحسنها ويدعو اليهـــا فهو عدو للاســـلام وولى لأعدائه ، وعداوة الاسلام أعم من الارتداد عنه والكفر به ، فان كان مع هذا زنديقا يدعى الاسلام ويخفى الكفر فافساده أعم ، وأكبر من افساد الكافر الأصلى المرتد لأن الجاهلين بحقائق الاســـلام من المسلمين يغترون بكلامه فيفتنهم عن دينهم .

ويقول : ملاحدة بلدنا طبقات : المجاهرون بالكفر والصد عن الدين ،

منهم صاحب مجلة ومطبعة فى مصر(١) معروف وفى حلب مجلة حديثة (٢) ومنهم احد محررى الجرائد اليومية المأجورين(٣) الذى كتب مقالات فى تنقيح النص فى الدستور المصرى على جعل الدين الرسمى للحكومة المصرية الاسلام وطلب ان تكون حكومة معطلة (لا دينية) مقالات فى سن قانون مدنى للأحوال الشخصية ، لا يتقيد فيه بشىء من الأحكام الشرعية . وقد كان من أركان محررى السياسة ، ويقال ان له صلة وعلاقة ببعض جماعات اليهود ، وافراد هذه الطبقة لا يدعون التدين ولا يمتعضون بالتعطيل ومنهم من يفخر بذلك .. اما الطبقة الثانية فهم الزنادقة الذين يظهرون الاسلام ويمتعضون اذا وصفوا بالزيغ والالحاد وهم مع ذلك يضعون فى أصوله ويجحدون بعض ما هو مجمع عليه ومعلوم بالضرورة ويشككون فى آيات القرآن . (الطبقة الثالثة) الفماليج اللامعون من مرضى القلوب المقلدين ، الذين يشايعون المؤمنين كما لو كانوا معهم ويجارون الملحدين اذا وجدوا بينهم .

ومما يثبت بالخبر المستفيض أن من أفراد أولئك الملاحدة دعاة للكفر وسعاة للصد عن الاسلام ، ومنهم من يأخذ على ذلك جعلا من جمعيات التبشير بالنصرانية ومنهم يتقاضى مكافأة من بعض جماعات اليهود البلشفية أو الصهيونية ومنهم من يخدم الدول الاستعمارية ويأخذ أجره منها ، وكان الشيخ محمد مهدى وكيل مدرسة القضاء الشرعى أول من انبأنى انه يوجد فى مصر جماعة تتعاون على الصد عن الاسلام بالطعن فى شريعة وفى حكومة وفى لغة وفى أئمة الاسلام وفى كل من نوه بهم التاريخ من الخلفاء وكبار العلماء والأدباء ثم ظهرت آثارهم فى بعض الصحف العامة وفيما نشروا من المصنفات الخاصة ، ولقد كادت الوزارة الائتلافية تسقط بانتصار أعظم أركانها لمؤلف ذلك الكتاب الرجس الذى جهر ملفقه بالطعن فى القرآن ترجيعا لأصوات بعض أعوانه من المبشرين بالانجيل (٤) وقد علم الجمهور انه تألف فى مصر حزب لحرية الفكر ، كان الملاحدة هم المؤسسين له بالطبع من حيث لايدرى كثير ممن انتظم فى سلكه ، وقد

---

(١) سلامة موسى .　　(٢) سامى الكيالى .
(٣) محمود عزمى .　　(٤) طه حسين .

نشرت جريدة السياسة الاسبوعية (مارس ١٩٢٨) مقالا لأحد أركانهم صرح فيه بأنه يوجد فى مصر تعصب دينى (اسلامى) ضار وأن جماعة كانوا الفوا حزبا ولما الفت فى مصر جمعية الشبان المسلمين عارضوها بتأليف جمعية الشبان المصريين ، واختاروا لها من يكبر شأنها ويلقى المحاضرات فى ناديها ، وليس الالحاد فى مصر حديث العهد بل نبت قرنه من التفرنج منذ اكثر من قرن ومازال يرتفع ويقوى حتى طمع اهله باطفاء نور الدين وقد فند الأستاذ الامام جهالتهم ببعض مقالاته فى الوقائع الرسمية . واشد خطرا ما فاه به بعض الملاحدة فى مجلس النواب من الطعن فى الشرع وفى نفس القرآن اذ قال فض الله فاه : انه لا يحترم أو قال يحتقر كتابا يبيح تعدد الزوجات . ولكن هذا الماجن الاباحى لا يحتقر قانونا يبيح الزنا للرجال والنسوان وتعدد البغايا والأخدان ، وطلب أحدهم وقف الجلسة بضع دقائق لأداء صلاة المغرب وكان تصريحهم بأن يمنعوا الصلاة مطلقا او فى هذا المجلس.

وقد تألفت الأحزاب وتعاونت الجمعيات على بث الدعوة الى الاباحية والالحاد ونشرت الجرائد والمجلات مقالاتهم الممسوخة ونشرت الكتب الملعونة لا فرق بين ملاحدة الترك وملاحدة هذا البلد الا ان اولئك أوتوا قوة عسكرية ، وما فعله ملاحدة الترك والافغان وايران سرت عدواه الى كل قطر وهو الذى اطمع المستعمرين ودعاة النصرانية فى اوربا بالاجهاز على الاسلام وتجديد النصرانية وتعزيزها فى الغرب والشرق :

(١) عقد دعاة البروتستانتية من الانجليز وغيرهم مؤتمرا بعد آخر فى القدس مهد النصرانية للتشاور فى تعميم تنصير المسلمين : وقالت صحيفة فى لندن انه لم يبق للاسلام رسوخ ولا ثبات الا فى جزيرة العرب وانها تحتاج الى مائة مبشر من المجاهدين لنشر النصرانية فى هذه الجزيرة والقضاء عليه فى مهده الأول .

(٢) أعادت الدولة الفرنسية للجمعيات الكاثوليكية ما كانت صادرته من أموالها وأوقافها تنشيطا لها على نشر النصرانية فى مستعمراتها الافريقية وسوريا .

(٣) الفت كتب جديدة باللغة الفرنسية وغيرها فى الطعن فى الاسلام والحث على تنصير المسلمين والعرب بالقهر والاكراه .

(٤) صالحت الدولة الايطالية دولة الفاتيكان الكاثوليكية وأعادت

للبابا سلطانه السياسى فى دائرته ومئات الملايين مما كانت أوقفته من أموال دولة الكنيسة الرومانسية بعض ساستها .

(٥) نشطت الجمعيات التى تدعو الى توحيد كنائس المذاهب النصرانية فى الشرق والغرب وسارت فى سعيها خطوات الى الامام

(٦) ان حركة تجديد الدين فى انجلترا تلقى فى العناية حركة ايطالية باقتراح تعديل كتاب الصلاة المتبع فى الكنيسة الرسمية

(٧) مسألة فوضى النساء التى تعبر عن رعايتها بتحرير المرأة وتفضيل تهتكها المعبر عنه بالشعور على حياتها وعقلها المعبر عنه بالحجاب فقد أصبح النساء من ربات البيوت ومن العذارى المتعلمات يمشين فى الشوارع بالليل والنهار مخاصرات للرجال ويغشين الملاهى والمنتزهات ومنهن من يسبحن فى البحر ويختلفن الى المراقصة وهن أشد من الأجنبيات عريا وتهتكا . ان خصوم الاسلام القاعدين له فى كل مرصد يضحكون سرورا مما اصابه من الخزى باهله الذين يمهدون لهم السبيل لاستعبادهم والاستعمار لسائر بلادهم » .

المجلد ٣١ (١٣٤٩ هـ — ١٩٣٠ م)

تسيطر على المجلد الحادى والثلاثين قضايا عديدة أهمها قضايا العالم الاسلامى فى مواجهة النفوذ الأجنبى وقد كانت مسألة المغرب وفرنسا وصدور الظهير البربرى الذى يحاول أن يعزل جماعة البربر المسلمين عن اخوتهم على أساس أنهم من جنس آخر ولهم مدارسهم ومحاكمهم ولهجتهم وقد أفاض المنار فى الكشف عن زيف هذه المحاولة وقد وجه علماء المسلمين من جمعية الشبان المسلمين نداء الى ملوك الاسلام ورؤسائه شجبا لهذه المحاولة وقع عليه محمد شاكر ، رشيد رضا ، عبد الحميد سعيد ، خليل الخالدى ، أبو بكر يحيى ، جلال الحسينى ، على سرور الزنكلونى ، محمود أبو العيون ، محمود شلتوت ، ميرزا مهدى رفيع مشكى ، محمد عبد اللطيف دراز ، محمود الغمراوى ، عبد المجيد الربيعى ، يحيى أحمد الدرديرى ، محب الدين الخطيب ، صالح جودت المحامى ، طنطاوى جوهرى ، عبد الصمد شرف الهندى ، محمد الهلباوى ، محمود يونس الأندلسى ، البارونى ، السيد محمد عفيفى .. وأحاديث عن محاولة

فرنسا لنصرهم وموقف ايطاليـا من مسلمى طرابلس الغرب ، وقد حفلت المنار بأحاديث وكتابات عن أعلام الاسلام فى العصر :

الأمير شكيب ارسلان يكتب عن « لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقـدم غـيرهم » .

الشريف حسين وفاته وتركته ، أحمد تيمور رثائه ومعاملته للبنوك ، أمان الله خان ، احمد عرفان المصلح الهندى ، أمان الله خان ، أمين الحسيني مفتي فلسطين ، جمال الدين وتجديده للأمة ، الخديو والأسـتاذ الامام ، محمد علي وشـوكت علي ، علي سرور الزنكلوني ودروسه في الأزهر ، المراغي ومجلة الأزهر .

وأحاديث عن القاديانيـة والدعاية لهـا فى سـوريا ، والمسيحية واليهودية ، والمبشرون .

وأحاديث عن الشيعة والسنة ومناظرة فى خلافهما والوهابية عقيدتها ومذهبهـا .

وأحاديث عن الأزهر ، ويوسف الدجوى وفتاويه .

وأوراق قديمة لم تنشر عن جمعية العروة الوثقي وسياستها وأصول نظامهـا .

وقد شغلت المنار بقضايا التغريب والغزو الثقافى فتحدثت عن مذهب دارون ونقضه ، وعن الزنادقة والملاحدة ، وبدع أهـل الطريق ، وحديث عن التجديد والمجددون ، والرافضة وتحريفهم لآية الغار .

وأحاديث أخرى عن الثورة الهندية التاريخية وأسـبابها ، وجزيرة العرب وروسية البلشفية واضطهادها للمسلمين وأحوال مسـلمى الصين والترك وتهديدهم للاسلام .

كما خصصت أحاديث عن الربا ، وعن مسـاواة المـرأة والرجـل فى الميراث ، مناظرته مع محمود عزمى ، وأحاديث عن الامام ابن تيميـة عن جمـع كلمة المسلمين تحت قاعدة أهـل السنة والجماعة ، وأحاديث عن الشريعة الاسلامية ونسخ الشريعة المحمدية لما قبلها ، وترجمة الامام

أحمد بن عرفان الشهيد مجدد القرن الثالث عشر بقلم الأستاذ أبو الحسن الندوى .

* * *

وقد استهل السيد رشيد رضا افتتاحية المجلة بكلمة جامعة قال فيها :

ان انصار الجمود والبدع المؤفة وحماة التقاليد المألوفة ممن سماهم الأستاذ الامام حملة العمائم وسكنة الأثواب العباعب قد أثار بعضهم فى هذا العهد عصبية مذهبية هى أضر على المسلمين من اثرة القبط عليهم فى مصالح الحكومة ، ومن فريقى المبشرين والملاحدة .

وقد طارت ريح الطيش بلب داعية قبطى كان أول من عاب الاسلام وقال بتفضيل الذكور على الاناث فى الميراث ودعا المسلمين الى نبذ الفرائض المقررة فى نصوص القرآن ، وهناك من عمل على اثارة العصبية الجنسية الفرعونية .

وتحدث عن « مذهب السلف » فقال : أعلى الله مناره وأعز مهاجرته وأنصاره وانشائه دولة وجعل له صولة ، وتعددت جمعياته وصحفه وكثرت وسائله وكتبه ، فتضاءلت أمام التأويلات الكلامية والتقاليد الخرافية ولا خوف على طريقة الأستاذ الامام فى الاصلاح بعد أن اتفقت الكلمة على امامته وانكشف بموته الحجب التى كانت مضروبة أمام جلالته من استبداد أمير وحد شيخ كبير وتقليد غير جاهل .

ويقول : يهاجم الاسلام فى هذا العصر جيشان قويان من محافل الكفر اقواهما جيش الملاحدة الذين صار لهم دولة ، وان كانت واحدة (تركيا) وأضعفهما جيش المبشرين وان كان لهم دول متعددة ، فيجب على أهل العلم وحملة الأقلام من المسلمين الاتحاد والتعاون للجهاد فى هذا السبيل ، سبيل الله بدلا من اضعاف الاسلام بالعصبية المذهبية التى كانت آخر علته فى عهد قوته من كل أعدائه من الكفار .

وقال السيد رشيد رضا : ان خدمة الجم العديد من علماء الأزهر وغيرهم من المصنفين فى العلوم الاسلامية المختلفة ، منذ عدة قرون للاسلام لتصغر وتتضاءل فى جانب خدمة هذا الرجل واستاذه ، فان علومهم ومصنفاتهم كانت فى العهد الذي تهدم فيه ملك الاسلام وضعفت هدايته

ولم يكن لها أقل تأثير فى العلم والعمل لأنها كلها مباحث لفظية » .

وفى خاتمة المجلد ذكر محرر المنار : « ان سوق الكتب فى كساد الا كتب المجون والخلاعة والخرافات ومكتبة المنار خالية منها وكتب المدارس وأكثرها محتكرة او كالمحتكرة » .

● ترجم صاحب المنار فى هذا العدد لوفاة : الشريف حسين — أحمد عرفان — شوكت على .

المجلد ٣٢ (١٣٥٠ هـ — ١٩٣١ م)

كان ابرز أحداث هذا العام انعقاد المؤتمر الاسلامى العام فى بيت المقدس الذى دعى اليه عدد ضخم من اعلام الفكر الاسلامى وشارك فيه صاحب المنار بدور بارز وتابع صاحب المنار أحاديثه وأبحاثه فى مختلف المجالات الاسلامية سياسية وتربوية واجتماعية وتحدث عن عدة قضايا هامة :

١ — تعلم أولاد المسلمين فى المدارس اللادينية أو مدارس النصرانية .

٢ — ترجمة القرآن وكون العربية لغة الاسلام .

٣ — المناظرة بين أهل السنة والشيعة .

٤ — دراسة عن المرأة تحت اسم « **نداء الى الجنس اللطيف** » .

٥ — أخطر حادث فى وزارة المعارف وهو اخراج طه حسين وخروج لطفى السيد .

٦ — موضوع البغاء الرسمى .

٧ — الاحتفال بذكرى معركة حطين .

وقد اتسع نطاق الرد على الغزو الفكرى وقضايا التغريب الذى ظهر واضحا فى عديد من الأبحاث منها :

١ — انكار الوحى وراى الماديين واستعراض لراى مونييه ودومنجم .

٢ — الرد على كتاب محمود أبو زيد تحت عنوان « دين جديد من الباطنية والاسلام » .

٣ — تقريظ ونقد شكيب أرسلان لتاريخ الأستاذ الامام وتعليق رشيد رضا .

٤ — الرد على الأستاذ يوسف الدجوى فى جملة قضايا .

٥ — تصحيح موقف الشيخ محمد عبده مما ورد فى مذكرات بلنت عن الحدوث والعدم .

كما تناولت الدراسات وفيات الأعيان :
محمد توفيق البكرى ، أحمد شوقى ، حافظ ابراهيم .

وأحاديث أخرى عن كتاب عزى عن الاسلام والمسجد من مبشر أسلم (الانجيل والصليب) وقد أولت المنار اهتمامها بالجماعات الاسلامية فتحدثت عن جمعية مكارم الأخلاق الاسلامية :

قال السيد رشيد : « عندما هاجرت الى مصر فى منتصف ١٣١٥ هـ لم أجد فيها غيرها (اسماعيل عاصم ، زكى الدين سند خطيب الجمعية والمؤسس لها ، ثم أسسنا جمعية شمس الاسلام ، ونقلت الجمعية الى حى شبرا لمقاومة دعاة النصرانية فيها اذ كثرت جمعياتهم وتصديهم لاغواء عوام المسلمين ومجلتها مكارم الأخلاق الاسلامية كما عرض لجمعية علماء المسلمين فى الجزائر بزعامة الشيخ عبد الحميد باديس ومجلتها « الشهاب » واشار الى أعضائها أمثال الطيب العقبى وسعيد الزهراوى .

ولم ينس معارضته الشديدة للطرق الصوفية وقد تعرضت للنقد الطريقتين التيجانية والشاذلية .

* * *

وقد استصرخ السيد رشيد رضا قراء المنار فى افتتاحيته لأداء حقوقه المطولة منهم منقوصا منها خمسها فنصفها لئلا تضطره العسرة والغرامة الى ترك اصدار المنار هذا العام فلم يرسل أحد منهم درهما ولا دينارا يقول : « وانى قد حبست نفسى هذه الثلاثة أشهر على اتمام تاريخ الأستاذ الامام لم أكتب فيها غيره عسى أن أجد من ثمنه ما أنفق منه على اصدار المنار ولا نقبل بعد صدور هذا الجزء حقنا الا تاما ولا نعفو منه شيئا ولا نشكوها الا الى الله عز وجل وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا » ..

● ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لوفاة : حافظ ابراهيم ، احمد شوقى ، محمد توفيق البكرى .

المجلد ٣٣ (١٣٥١ هـ — ١٩٣٢ م)

أحداث المغرب (تونس والجزائر ومراكش) تكاد تكون أبرز الأحداث السياسية فى هذه المرحلة ، وخاصة فيما يتعلق بالظهير البربرى الذى يحاول أن يفرض الجنسية الفرنسية على البربر فى المغرب ، وهو ما سبق قيام فرنسا به بالنسبة لتونس ، ويجرى هذا مع اتساع التبشير والتنصير فى مصر ، ويجرى الحديث حول الاسلام ووثنية الهند ، وعن الاستشراق وأخطاره الجديدة ، ومسائل أخرى عن النصرانية والصليب والرد عليهما وأحاديث البهائية والقاديانية وموقفهما من الوحى والنبوة والألوهية ، هذا فى الوقت الذى يجرى الحديث فيه عن لبنان بوصفها وطن مسيحى وفى نفس الوقت الذى تستعرض الأوضاع فى المملكة العربية السعودية وقد أولى السيد رشيد رضا القضايا الفكرية اهتماما واسعا .

فنشر فصولا من كتاب لغربى أسلم عن الانجيل والصليب ، ورد على كتاب فريد وجدى (الاسلام دين عام خالد) متقصيا بعض آرائه ونشر مقدمة كتاب (نقض مطاعن القرآن الكريم) للشيخ محمد عرفة الذى رد به على شبهات طه حسين ، وقدم نقدا لوثنية الهند ولزعامة غاندى ، وتحدث عن طه حسين واخطائه ، وقدم عرضا لكتاب حاضر العالم الاسلامى الهندى ترجمة عجاج نويهض وعلق عليه الأمير شكيب أرسلان .

وهناك حديث واسع عن تاريخ الدولة الهاشمية بمناسبة وفاة الملك فيصل بن الحسين ملك العراق ، كما عرض لدائرة المعارف الاسلامية وأخطائها ، وتحدث عن قضية رجال الكنيسة فى ألمانيا الذين تحدو الحكم النازى وعرض لثورة المرأة الاباحية وخطرها على الأسرة فالأمة .

ولم يغفل حديثه عن اخطاء التصوف الفلسفى والهندى فعرض للشعرانى والتيجانى وقدم عرضا لحياة كل من الشيخ محمد امين الشنقيطى والسيد أحمد شريف السنوسى بمناسبة وفاتهما .

***

واستهل السيد رشيد رضا افتتاحية المجلد الثالث والثلاثون من المنار ببيان موقف العالم الاسلامى أمام أوربا فى طورها الجديد بعد الحرب الكبرى التى كان الغبن الأكبر فيها على الشعوب الاسلامية العربية ، التى ساعدت

أعداءها من دول أوربا والربح للشعوب الاعجمية التى عادتها وهم الترك والتي الزمت الحياد وهم الأفغانيون والإيرانيون .

وقال : ان الترك كونوا من أنقاض الدولة العثمانية دولة جمهورية مستقلة تعنى أشد العناية بالقوة العسكرية والعمران المادى ولكنها الحادية (لا دينية) ترهق روح الشعب الدينى ولا يحيا شعب بغير دين وروح الاسلام كامنة فى الشعب التركي ستظهر بقوة عظيمة يفجرها الضغط عند انتهاء حده . أما الافغان فشرعوا فى عهد الملك السابق امان الله خان يقلدون الجمهورية التركية في الالحاد وفي تقليد الافرنج فى الحضارة المادية فأدال الله من الملك نادر خان ، أما الفرس الايرانيون فهم وسط بين الأفغان والترك ، والدول الثلاث استفادت من ضعف دول أوربا وتم لها استقلالها بعد الحرب العظمى والبلاد التركية يهددها من الخطر المعنوى وقوعها بين أوربا الراسمالية والروسية والشيوعية أما شعوب المسلمين الأعجمية التى ليس لها دول اسلامية ففيها يقظة ونهضة علمية أقواها فى الهند ومسلموها زهاء ثمانين مليونا ولكن الوثنيين فى جملتهم أكبر عددا وثروة وعلما وأوسطها في جاوة وما حولها من الجزائر الأندونيسية والمسلمون فيها الأكثرية الساحقة (٦٠ مليونا) وهم أقل حرية من الهند لضغط هولنوا عليهم وأدناها فى الصين ومسلموها يزيدون على مسلمى جاوة عددا ولكنهم قليل فى الوثنيين الذين يزيدون على أربعمائة مليون ، أما المسلمون فهم أرومة الإسلام الأولى ، يملكون شطر قارة افريقيا الشمالى كله من مراكش الى مصر وشطر آسيا العربى ما بين المحيط الهندى وخليج فارس والبحر المتوسط ويبلغون زهاء مائة مليون وهم أشد شعوب الأرض خضوعا للدولتين الظالمتين (انكلترا وفرنسا) اللتين احتلتا بلاد العرب الخصبة وأطاحت بجزيرة العرب وجعلتها تحت نفوذها ، أما غرب البلاد الامريكية الذين بذلوا من أموالهم ورجالهم فى مساعدة انجلترا وفرنسا فقد جزياهم بشدة الضغط والحرمان .

ويقول : الاسلام لا توجد له فى هذا العصر دولة تقيمه وتكفله وتجدد قوته وعدله ولا شعب يهتدى به وينشره ، وينهض بحضارته ولا مدرسة تربي النشء عليه وتعلمه وتناضل عنه ، ولا جمعيات غنية تجدده وتظهره

للأمم الحية وما فيه من العلاج لادواء البشر فى حضـــــارتهم ، أما المركز الطبيعى الحقيق بالتجديد الاسلامى فهو المركز الذى أشرق منه نور الاسلام وهو الحجاز وسياحه فى جزيرة العرب .

● ترجم صاحب المنار فى هذا العدد لوفاة : محمد أمين الشنقيطى ، أحمد الشريف السنوسى .

المجـلد ٣٤ (١٣٥٣ هـ — ١٩٣٤ م)

فى هذا المجلد الأخير من المنار كانت جزيرة العرب والوحدة العربيـــة والسعى الذى قام به رشيد رضا مع بعض قادة الاســـلام لعقـــد الاتفاق بين الامامين ملك السعودية وامام اليمن ومعاهدة الطائف هو ابرز حديث وهناك أحاديث عن تركيا الكمالية والشريف حسين وأولاده والملك عبد العزيز آل ســـعود .

وهناك تذكير دائم بشر الصهيونية (ويل للعرب من شر قد امترب) وحديث عن الشقاق بين العرب وعن قضية فلسطين ، ثم حـــديث آخر عن حركة النازى اللادينيـــة وشـــجاعة الفاتيـــكان وغاية مصطفى كمال من مراحله وخطبة الملك عبد العزيز فى وفود الحج ١٣٥٣ وحديث عن ثورة الأزهر وعودة الأســـتاذ المراغى شيخًا للأزهر وخليج العقبـــة الحجازى ومطمع الانجليز فيه .

ثم أحاديث عن الاستشراق ، وعن التربيـــة الاسلاميـــة والتعـــليم الاسلامى ونقد كتاب الشيخ ابو زيد وكتاب حيـــاة محمـــد ومقدمة كتاب مفتاح كنوز السنة ، وكتاب مسائل الامام أحمد ومباحث الربا والأحكام المالية ومتابعة دائرة المعارف الاسلامية ومفاســـــدها ونقد كتاب جزوينى لكتاب الوحى المحمدى فى مجلة المشرق (اليسوعية) والرد عليه ومراجعة كتاب قواعد الحديث فى مصطلح الحديث للقاسمى ، هـــذا بالاضافة الى فتاوى المنار عن أسئلة منثورة من كل مكان : حـــول ترجمـــة القرآن والأحاديث النبوية والعمل بالقرآن دون الأحاديث وقد وصـــل السيد رشـــيد رضا فى تفسير القرآن الى سورة هود وسورة يوسف وقدم تفسير سورة الكوثر والكافرون والاخلاص والمعوذتين (ومقدمة فى تفســـير الفاتحـــة وخواتيم القرآن منقولة من تفسير الشيخ محمد عبده) .

● وقدم تأبين أحمد زكى باشا شيخ العروبة .

وقد افتتح السيد رشيد رضا المجلد الرابع والثلاثون بحديث مطول ذكر فيه حال الشعوب الاسلامية بعد حرب الأمم الكبرى ، راغبــا فى أن يجعلوا نصب أعينهم ما وقع على بعضها من الغبن والخســـار وما أصاب بعضـــها من الربح والانتعاش وما هى عرضـــة له تجاه دول الاســـتعمار واشار الى وطاة دولتى الاستعمار الكبيرتين على الشعوب العربيـــة التى نصرتها فى الحرب وجاهدت معهما بأموالها وانفسها وكانت أشد وطاة على الشعوب الأعجمية التى قابلتهما والتى سالمتهما .

يقول : ان انكلترا لا تزال ممثلة فى ارهاق عـــرب فلسطين وانتزاع وطنهم منهم واعطائه لليهود الصهيونيين ليجدد لهؤلاء ملكا فى قلب البـــلاد العربية حاجزا بين مصر وبين الحجاز وفلسطين ، وان فرنسا لا تزال جادة فى جعل عرب سوريا مللا متفاوتة فى الدين وشعوبا متفرقة فى الدنيا وقصره على ابقاء الأكثرين من المسلمين محصورين فى سجون المدائن الأربع .

ولم تكن انجلترا فى وقت ولا فى مكان شرا من فرنسا واظلم مما هى الآن فى « فلسطين » ولا تزال انكلترا [illegible] الأمة العربية بروز الفاتح القاهر والمستعمر القاهر تنازعها حقهـــا القومى والدينى فى جزيرتهـــا المقدسة بأساليب دسائسها وكيدها المعروفة . وقد خدعت الامام يحيى حتى غلبته على طبعه فى شدة الحذر من الاجانب فأمضى لها معاهدة أقرها فيها على حمايتها للمقاطعات اليمانية التسع (اربعون سنة) وانها لتمكن لنفســـها النفوذ فى منطقة شرق الأردن بحيلة الانتداب وفى العقبـــة الحجازيه التى سلبت من الحجاز بعد عقد صك الانتداب . هذه الجراة من الدولة الأجنبية على عداوة العرب والاســـلام ســـتكون من أكبر اسباب زوال ســـلطانها فى الشرق الأدنى والشرق الأوسط وان خليج العقبة لهو أكبر هذه الأسباب ثم اشار الى حديث الرسول صلى الله عليـــه وسلم بأن لا يبقى فى جزيرة العرب دينان .

وقال : ان التفرق فى البلاد العربية والشعوب الاسلامية لا يدوم ، واشار الى شعب التركستان الصينى وكيف استقل بعد ثورة حامية الوطيس .

ثم قال : ان القرآن شمل نوره العـــالم كله حتى حجبـــه المسلمون

عن أنفسهم وعن سائر النـاس ووضعوا مصباحه المضيء بنور الله تحت المكيال — كما قال السيد المسيح عليه السلام — ولكن قد سخر الله المصلحين فى هذا العهد لكشف المكيال عنه وتوجيه أبصار العقلاء الى اقتباس النور منه ، الا وأن هذا القرآن شمس الله المشرقة لهداية جميـع الأمم ومأدبته المنصوبة لتغذية جميع البشر وان بعض علماء الافرنج المستقلين فى العقـل والرأى ليقولون فى هدايتـه ما يدعون به قولهم اليه ، وان دولة اليـابان الشرقية كانت آخر من فطن له ، وستكون العاقبة فى سيادة الأرض لمن سبق الى الاهتداء به » .

***

ولقد توفى السيد رشيد رضا وهو يستعد لاعداد الجزء الأول من المجلد الخامس والثلاثين من المنار وقد كتب فعلا افتتاحية هذا المجلد التى نشرت فى آخر المجلد الرابع والثلاثين فكانت ختام هـذه الجولة الضخمة المباركة التى قام عليها وتراه فى العدد الأخـير ما زال فى حماسته وايمانه وثقتـه بالدعوة التى يحمل لواءها يقول : ما قصر منشىء المنار فى شىء كما وقف عليه حياته فى خدمة الملة والأمة وأشار الى مقاصدها الجامعة فى فاتحة العـدد الأول بل شمر واسـتبق فكان له من التأييد عند خواص العقلاء العارفين بما أصاب الاسـلام من الوهن والضعف والتفرقـة وما يحتاجون اليـه من الاصـلاح الذى تتوقف عليـه حياتهم أو نجاتهم من الذل والاستعباد مما لم يسبق له نظير الا فى صيحة العروة الوثقى التى تجلت فيها روح موقظ الشرق وحكيم الاسلام السيد جمال الدين وبلاغة الأستاذ الامام محمد عبده .

وأشار الى أنه فكر فى وقف اصـدار المنـار فى سنته القابلة ١٣٥٤ ولو على سبيل التجربة عسى أن أجد له من يقوم بنفقته من الأوفياء منهم ، يقول : رجحت هذا الأمر ثم عظم على وقد ربانى الدين على الثبات واتقاء ابطال عمل أشرع فيه .

(توقفت المنار عن الصدور بالعدد الأخير من المجلد ٣٤) .

الباب الثالث

النهضة الإسلامية (حركة الأصلاح)

كما صورها المنار

مدخـــل

النهضة الاسلامية « حركة الاصلاح » كما صورها المنـــار

كان الهدف الأول الذي توخت المنـــار القيـــام به هو تأصيل النهضة الاسلامية أو لما كان ينتمى « حركة الاصلاح الاسلامى » وما يتصل بهـــا من ظهور حزب الاصلاح الاسلامي الذى كان يقوده الشـــيخ محمد عبـــده وقد أشار الى هـــذا الحزب صراحة ولأول مرة اللورد كرومر فى تقريره سنة ١٩٠٥ بعد وفاة الأستاذ الامام ، وكلمة الاصلاح كلمة غربية أساسا فهى تصور هذه النهضة بصورة حركة الاصـــلاح التى قامت بهـــا جماعة المصلحين فى المسيحية ، وان كانت فى المعنى تختلف اختـــلافا واضـــحا ، ويتحدث السيد رشـــيد رضا على مسيرة المنـــار الطويلة عن الاصـــلاح الاسلامى ، والاصلاحان الدينى والسياسى وتلازمهما ويقول :

« ان وجهة نظر المنـــار فى كل ما عرضت له من قضـــايا كان تمثيلا حقيقيـــا لمفهوم حزب الاصـــلاح الاسلامى الذى يقوم على فهم الاســـلام فهما صحيحا من منابعه الأولى » .

ومن هنا كانت معارضته الواضحة لمفاهيم مشايخ الطرق الصوفية وقد كانت قضية التصـــوف والطرق الصوفية من أبرز القضايا التى أولاها السيد رشيد رضـــا اهتمامه على مدى سنوات المنار بالاضافة الى أمرين آخرين وهما :

١ ـــ نحلة البهائية والقاديانية وما تتفرع منهما .

٢ ـــ جماعات التبشير والالحاد والاستشراق وما يتصـــل بمقارنات الأديان وخاصة بالنسبة لأخطاء كتاب المسيحية وعدائهم للاسلام .

ويقرر السيد رشـــيد رضا : « ان مفهوم حزب الاصلاح الاسلامى فى استرجاع مجد الشرق لا يكون بالاعتماد على الغرب فى الاصلاح وانما يكون بقوة الاسلام وبالعودة الى أصول الاســـلام وآدابه وتعاليمـــه الصحيحة وان انحراف المسلمين عن جادتها هو الذى سلبهم ما كسبوا فالرجوع اليها هو الذى يؤلف بين قلوبهم ويجمع كلمتهم ويرجع لهم سيادتهم » .

ويقول : « ان أهم ما جاء به الاسلام هو التوجيه فى العقائد الدينية والتعاليم الأدبية والأحكام القضائية والمدنية فاهم أركان الاصلاح الاسلامى : هو جمع المسلمين على عقيدة واحدة واصول ادبية واحـــدة وقانون شرعى واحـــد لا يحكم عليهم غـــيره فى أى نوع من أنواع الأحكام ولغة واحـــدة ، ويتوقف على هذا تاليف جمعية اسلامية تحت حماية الخليفة يكون لها شعب فى كل بلد اسلامى وهيئة عظمى فى مكة المكرمة واجتماعاتها فى موسم الحج تعمل على توحيد العقائد والآداب والأحكام واللغة » .

كما تناولت المنـــار (النهضة الاسلامية فى مصر) وهى النهضة التى قام بها الشيخ محمد عبده (م ٢ / ٢٤١) فى مجال اصلاح الأزهر والتعليم واللغة كما عرضت فصلا مطولا لنظرية الاصـــلاح الدينى كما يفهمها حزب الاصـــلاح وهو ما اقترحه على مقـــام الخلافة الاسلاميـــة (م ١/٧٦٤) كما ناقشت بتوسع قضية الاصلاح الاسلامى الدينى وتحدثت عن الاصلاحان السياسى والدينى وتلازمهما (م ١/٧٦٥) وفى نفس الوقت اهتمت بمناقشة المعارضة وهم من يسمونه اتباع الطرق الصوفية ســـواء فى داخل الأزهر أو فى خارجه ، وتناولت الأبحاث مختلف الأحوال المثـــارة للطرق الصوفية وخاصة ما يتعلق بسلطة مشيخة الطرق الروحية وعقد المتصوفة (م ١) ومحاربة الطرفين والاستغاثة وزيارة القبور وعقدت المنار فصولا متواليـــة عن الطريقة الرفاعية والطريقـــة القادرية ومولد الدمرداش ، كما عرضت لانصار اتجاه المحافظة فى مصر من أمثال الشيخ عليش وناقشت الصوفية واصـــل تسميتهم كما تعرضت للموالد والبدع كما ناقشت فســـاد خطـــة ابن عربى فى تفسيره وادعاءات الدجاجلة للكرامة ، وتحـــدثت عن نهضة الشيخ محمد عبده ورجاله الذين سلكوا مسلك السلف فى رسالة التوحيـــد كما تناولت المنار فكرة الجامعة الاسلامية وهى من أكبر القضايا التى عالجتها الصحافة (م ٢/٣٣٧) كما تحدثت عن الجنسية والدين وقالت ان الرابطة الأولى للأمة هى رابطة الشريعة العادلة والرابطة الثانية هى رابطة اللغة ، وكانت دعوة المنار الكبرى هى جمع كلمة المسلمين على قاعدة أهل السنة والجماعة .

وهاجم المنار المقلدين والجامدين : فالمقلدون هم الذين رضوا بانحلال

رابطتهم الملية وعفاء مقوماتهم ومستحقاتهم الموروثة وانتحال جنسية لغوية او وطنية جديدة ، اما الجامدون فهم الخاملون الذين رضوا بهـذه الحالة التى لا نجد لها تفسيراً الا ما يسمونه الموت صبرا ، وهذا هو حزب الجمود والتقليد ، واشار الى حزب آخر وسط بين ذينك الحزبين وهم حزب الله المعلمون الذين يطلبون المجد الطرف ليكون متحدا بالمجـد التليـد ، هؤلاء الذين يريدون الحياة بمقوماتهم ومشخصاتهم الخاصة لانتحال ما هو من ذلك لغيرهم ، الذين يريدون صـقل جوهرهم ليظهر خواصه ومزاياه فى اكمل ما يمكن ان يكون عليـه ، هؤلاء هم حزب الوسط شـهداء على الفريقين ولكنهم لا يزالون غرباء فى ديارهم .

وفى تصور آخر يقول : الأحزاب الثلاثة هم الفقهاء المقلدون الجامدون الماديون السياسيون والمصلحون المعتدلون ، وفى مراجعة من مراجعـات المنار للحركة الاسلامية فى مصر يقول :

« ان حزب الاصلاح هو وحده محل الرجـاء لانه يقدر مزية كل من الحزبين قدرها ويعرف منافعـه ومضاره ويريد أن يكون معقـد الارتباط والاتصال بهما بارجاع كل منهما عن خطاه والسير بالأمة فى طريق تحفظ به مقوماتها ومشـخصاتها وتعيد الموروث النافع منه الى جـديد وتتدرج فى استبدال النافع بالضـار منه وتقتبس من علوم العصر وفنونه وصناعاته ما لا تقوم لأمة قائمة فى هذا العصر بدونه ، وسط بين الجامدين والمتفرنجين ، ولم يكن طـلاب الاصـلاح الا افرادا من النابتين فى بيوت حزب الجمود أو حزب التفرنج ، هـداهم الله تعـالى باستعداد من فطرتهم وتوفيـق فى سيرتهم الى معرفة الطريقة المثلى لصلاح أمتهم ، وعنـده أن الجامدون من الشيوخ أشد حسدا وبغضا للمصلح الدينى من غيرهم .

ويشـير السيد رشـيد رضـا الى الاصـلاح الاسلامى فيقول : ان له طريقين لا ترتقى امة الا بأحدهما أو كليهما ، اما من قبل الأمة كاوربا واما من ناحية الحكومة كاليابان ، وان المعقبـات هما رجال الدين ورجال الحكم والسلطان .

يقول : « ويتوقف الاصلاح الاسلامى قبل كل شىء على اقناع العلماء ورجال الدين بأن العلوم الرياضية والطبيعية التى هى محور الثروة والقوة

والعزة ضرورية لامندوحة عنها ، ويجب أن تعلم مع الدين وأن يقوم بتعليمها رجال الدين لأن تركها للمدارس الأميرية والأجنبية يجعلها خاصة بمن لا دين لهم وهؤلاء لا يرجى منهم خير للأمة ولا للملة ولا يسقط الوجوب بهم . ان الدين لا يمكن حفظه الا بالدنيا فتعين ان يجمع بين علوم الدين وعلوم الدنيا (الرياضيات والطبيعيات) وأحكام الشريعة الاسلامية تصرح بأن تعلم الصناعات التي يحتاج اليها البشر في معاشهم واجبة على مجموع الأمة »(١) .

ومن مجمل ما نشره السيد رشيد رضا في المنار خلال الأعوام الخمسة والثلاثين (١٨٩٨ — ١٩٣٥) تستطيع أن تصل الى نظرية كاملة للاصلاح الاسلامي تقوم على أسس تحرير العقيدة من قيد التقليد وقد أولى السيد رشيد هذه الفكرة اهمية كبرى ويرى :

« ان عادة الناس قد جرت على اتباع من يثقون به ولهذا راجت بين المسلمين بدع وضلالات كثيرة باسم المذاهب والطرق حتى خرج بها كثيرون من الاسلام باسم الاسلام ، ومن ذلك طوائف الباطنية فمتى انقطع الناس عن فهم الكتاب والسنة انقطعت الصلة الحقيقية بينهم وبين دين الله الذي أنزله على رسوله وحرموا البصيرة التي هي سبيل الله وابتغوا السبل المختلفة مخالفين لقوله تعالى : ((**وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله**)) ولذلك نهى أئمة الفقه الأربعة وغيرهم من ائمة السلف عن التقليد الذي هو الأخذ بكلام من يثق المقلد بهم من غير بصيرة من الكتاب والسنة وكيف لا ينهون عن ذلك ويعلمون أنه يعمي الناس عن سبيل الله . اننا ندعو المسلمين الى الاهتداء بكتاب الله تعالى وسنة رسوله كل بقدر استطاعته وطالب الاهتداء من العامة ليستطيع ان يسأل العلماء »(٢) .

ويطالب السيد رشيد رضا (في نطاق دعوة حركة الاصلاح) الى اتخاذ طريق عرفه المسلمون من قبل واشار اليه حجة الاسلام الغزالي في كتاب

---

(١) م ٢ .
(٢) م ٥٥١/١٣ .

(القسطاس المستقيم) من الدعوة الى ازالة الخلاف والأخذ بالمجمع عليه والتخير فى المختلف فيه وقليل من الناس من يترك كل ما اجمع على تحريمه وتقبل ما سهل عليه من اجمع على ندبه واستحبابه » .

وقد توسع نطاق البحث الذى كان يرمى فى مجمله الى ابراز مفهوم اهل السنة والجماعة الذى هو عصمة المسلمين وهو منطلق النهضة الاسلامية الحقيقية التى حملتها حركة الاصلاح الذى قام عليها الحكيمان جمال الدين ومحمد عبده وتابعهما السيد رشيد رضا خلال اكثر من ثلاثين سنة وتلاميذهما وكان هداهم واضحا فى كتابات الامامين ابن تيمية وابن القيم وما يتصل بكتابات الامام الغزالى والامام الأشعرى .

وقد عارض الشيخ رشيد رضا فى طريقه لتوسيد مفهوم أهل السنة والجماعة مفهوم علم الكلام والباطنية والهجمية والمعتزلة ، كما تحدث عن المتفرنجين وموقفهم من الاصلاح الاسلامى ، وتناول موقف الصوفية كذلك .

وقد أقام السيد رشيد رضا مفهوم أهل السنة والجماعة على قواعد اساسية قدمها كلها من خلال تفسير القرآن الحكيم الذى بداه الشيخ محمد عبده ومضى فيه كما عرض للشريعة الاسلامية ودعا الى التقريب بين الشيعة والسنة وعالج أمور الأزهر والتربية الاسلامية بعامة، وبالجملة فقد اضاء الطريق تماما فى مجال تقديم نظرية كاملة لكل من جاء بعده فى شأن اليقظة الاسلامية ولا ريب كان للشيخين جمال ومحمد عبده وكذلك رشيد رضا تقدير واضح للحركة التى قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى الجزيرة العربية وان لم يكشف ذلك الا بعد أن تولى آل سعود الحكم فى الحجاز سنة ١٩٢٦ وما بعدها .

الفصل الأول

تفســـير القــرآن

يعــد تفسير القرآن الذى قدمه الشيخ محمد عبــده ونشره المنــار وأتمه السيد رشـــيد رضا هو بمثابة حجر الرحى فى تثبت مفاهيم النهضة الاسلامية ، ويشير صاحب المنار فى أكثر من موضع الى أنه هو الذى اقترح على الأستاذ الامام أن يكتب تفســيرا للقرآن فى رمضان ١٣١٥ أى قبــل الشروع فى انشاء المنار وذلك بأن اقترح عليـــه قراءة درس فى التفســير وقد تردد ثم لم يفعل الا بعد سنتين وشهور .

يقول : « زرته فقرأ لى عبــارة من كتاب فرنسى يطعن فى القــرآن فطفق يرد عليها واحتاج فى الرد على العلوم فى تفسير رب العالمين فتمنيت حينئذ لو كان للقرآن تفسير على نحو ما كان يفسر فاقترحت عليه ذلك ، وانما قلت : لو كتبت تفسيرا على هذا النحو يقتصر فيه على حاجة العصر وترك كل ما هو موجود فى كتب التفسير وتبيين ما أهملوه ، قال : ان الكتب لا تفيد القلوب العمى، لا تفيد الكتب الا اذا صادفت قلوبا عالمة بوجه الحاجة اليها تسعى الى نشرها ، واذا وصل كتاب الى أيدى هؤلاء العلماء وفيــه غير ما يعلمون لا يعقلون المراد منه ، واذا عقلوا شيئا منه يردونه ولا يقبلونه واذا قبلوه حرفوه الى ما يوافق علمهم ومشربهم ، كما جروا عليه فى نصوص الكتاب والسنة التى يريد بيان معناها الصحيح وما تفيــده . ان الــكلام المسموع يؤثر فى النفس أكثر مما يؤثر الكلام المقروء لأن نظر المتكلم وحركاته واشارته ولهجته فى الكلام ، كل ذلك يساعد على فهم مراده من كلامه ويمكن للسامع ان يســأله عما يخفى عليه منه أما اذا كان مكتوبا فمن يســأل . ثم شرع فى قراءة التفسير بالأزهر فى غرة المحرم ١٣١٧ وكتبت مقالة فى المؤيد بينت فيها وجه حاجة المسلمين الى فهمه والاهتداء به وان كتب التفســير غير كافية وعلم الناس فأقبلوا على تلك الدروس اقبالا لم يعهد له نظير من المسلمين فى هذا العصر وقد عين مفتيا للديار المصرية فى الشهر الذى شرع فيه بقراءة التفسير ».

(م ٨٩٦/٨) وأشار السيد رشيد رضا الى طريقة الامام فى قراءة التفسير وطريقته هو فى كتابته ، فقال : اننى لما استقللت بالعمل بعد وفاته خالفت منهجه رحمه الله تعالى بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة سواء كان تفسيرا لها أو فى حكمها وفى تحقيق بعض المفردات أو الجمل اللغوية والمسائل الخلافية من العلماء ومن الاكثار من شواهد الآيات فى السور المختلفة وفى بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين الى تحقيقها بهداية دينهم فى هذا العصر أو تقوى حجتهم على خصومه من الكفار والمبتدعة أو بحل بعض المشكلات التى اعيد حلها بما يطمئن اليه القلب وتسكن اليه النفس » .

وقد أشار السيد رشيد رضا (م ٦٤٦/٢٨) الى الحكمة من تقديم تفسير عصرى للقرآن فقال : « شاهدنا ولا نزال نشاهد فى بلادنا أن طلب العلوم والفنون مع اهمال التربية المصلحة للنفس لم يحل دون استعباد الأجانب لها كما جرى فى دولتى الآستانة والقاهرة وغيرهما ، نرى الرجل المتعلم المتفنن يتولى ولاية أو وزارة فيكون أول همه فيها تأسيس ثروة واسعة لنفسه وولده لأجل التمتع بالشهوات واللذات والزينة ، وهكذا تفعل كل طبقة من رجال الدولة يستنزفون ثروة الأمة بالرشا والحيل وأكل السحت ويكون كل ما فضل من شهواتهم بل جل ما ينفقونه عليها من نصيب الأجانب . (ومن هنا جاء) وجوب فهم القرآن والاهتداء به وبأن فقهه يتوقف على تفسيره لمن لم يؤت من ملكة لغته وفروق أساليبها وروح بلاغتها ومن تاريخ الاسلام وسيرة الرسول وهدى السلف الصالح ما يمكنه من فقهه بنفسه . انما يفهم القرآن ويتفقه فيه من كان نصب عينيه ووجهه وقلبه ما بينه الله تعالى فى موضوع تنزيله وفائدة ترتيله وحكمة تدبيره من علم نور وهدى ورحمة وموعظة وعبرة وخشوع وخشية وسنن فى العالم مضطردة فتلك غاية انذاره وتبشيره ، ويلزمها عقله وفطره لتقوى الله تعالى بترك ما نهى عنه وفعل ما أمر به بقدر الاستطاعة وكان من سوء حال المسلمين ان اكثر ما كتب فى التفسير تشغل مادته عن هذه المقاصد فمنها ما يشغله عن القرآن بمباحث الاعراب وقواعد النحو ونكت المعانى ومصطلحات البيان ومنها ما يصرفه عنها بجدل المتكلمين وتخريجات

الأصوليين واستنباطات الفقهاء المقلدين وتأويلات المتصوفين وتعصب الفرق والمذاهب بعضها على بعض ، بعضها يلفته عنه بكثرة الروايات وما فرضت من خرافات الاسرائيليات وقد زاد الفخر الرازى صارفا جديدا عن القرآن هو ما يورده فى تفسيره من العلوم الرياضية والطبيعية الحادثة فى الملة على ما كانت عليه فى عهدها كالهيئة اليونانية وغيرها وقلده بعض المعاصرين فى ايراد مثل ذلك فى علوم هذا العصر وفنونه فهو يذكر فى تسمية تفسير الآية فصولا طويلة بمناسبة كلمة مفردة كالسماء والأرض من علوم النبات والحيوان تصد قارئها عما أنزل الله لأجله القرآن ، وأكثر التفسير المأثور قد سرى الى الرواة من زنادقة اليهود والفرس ومسلمة أهل الكتاب كما قال الحافظ ابن كثير وجل ذلك فى قصص الرسل مع اقوامهم وما يتعلق بكتبهم ومعجزاتهم ومن تاريخ غيرهم كأصحاب الكهف ومدن ارم ذات العماد وسحر بابل وعوج بن عنق وفى أمور الغيب من اشراط الساعة وقيامها وما يكون فيها وبعدها وجل ذلك خرافات ومقدمات لذلك ، قال الامام أحمد : ثلاثة ليس لها اصل : التفسير والملاحم والمغازى وكان الواجب جمع الروايات المفيدة فى كتب مستقلة كبعض كتب الحديث وبيان قيمة أسانيدها .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : والاختلاف فى التفسير على نوعين : منه ما مستنده النقل فقط ومنه ما يعلم بغير ذلك والمنقول أما عن المعصوم أو غيره ومنه ما يمكن معرفة الصحيح منه من غيره ومنه ما لا يمكن ذلك وهذا القسم الذى لا يمكن معرفة صحيحه من ضعيفه عامته مما لا فائدة منه ولا حاجة بنا الى معرفته وذلك كاختلافهم فى لون كلب أصحاب الكهف واسمه وقصة البقرة وسفينة نوح والغلام الذى قتله الخضر فهذه الأمور طريقة بها النقل فما كان منها منقولا لا صحيحا عن النبى صلى الله عليه وسلم قبل وما لا صح أمره بأن نقل عن أهل الكتاب ككعب بن وهب وقف عن تصديقه وتكذيبه لقوله صلى الله عليه وسلم : « اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم » .

والجهتان اللتان هما مثار الخطأ : احداهما حمل الفاظ القرآن على معانى اعتقدوها لتأييدها به ، اقول لجميع مقلدة الفرق والمذاهب فى الأصول

والفروع المتعصبين لها فانهم قد جعلوا مذاهبهم أصولا والقرآن فرعا لها يحمل عليها وهذا شر أنواع البدع وتفسير القرآن بالرأى المذموم من الحديث والثانية التفسير بمجرد دلالة اللغة العربية من غير مراعاة المتكلم بالقرآن وهو الله عز وجل والمنزل عليه والمخاطب به . ان أكثر ما روى فى التفسير المأثور اكثره حجاب على القرآن وشاغل لنا عن مقاصده العالية المزكية للأنفس المنورة للعقول فالمفضلون للتفسير المأثور لهم شاغل عن مقاصد القرآن بكثرة الروايات التى لا قيمة لها سندا ولا موضوعا . ثم قال : وكانت الحاجة شديدة الى تفسير يتوجه العناية الأولى فيه الى هداية القرآن على الوجه الذى يتفق مع الآيات الكريمة المنزلة فى وصفه وما أنزل لأجله من الانذار والتبشير والهداية والاصلاح ، ثم العناية الى مقتضى حال هذا العصر فى سهولة التعبير ومراعاة افهام صنوف القارئين وكشف شبهات المشتغلين بالفلسفة والعلوم الطبيعية وغيرها .

ثم يتحدث السيد رشيد رضا عن العمل الذى قام به فيقول :

كنت قبل اشتغالى بطلب العلم فى طرابلس الشام مشتغلا بالعبادة ميالا الى التصوف ، وكنت أنوى بقراءة القرآن الاتعاظ بمواعظه لأجل الرغبة فى الآخرة والزهد فى الدنيا ، ولما قرأت دعوة (العروة الوثقى) الى الجامعة الاسلامية واعادة مجد الاسلام وسلطانه وعزته واسترداد ما ذهب من ممالكه وتحرير ما استعبد الأجانب من سطوته أثرت فى قلبى تأثيرا أدخلت به فى طور جديد من حياتى ، واعجبت جد الاعجاب بمنهج تلك المقالات فى الاستشهاد والاستدلال على قضاياها بآيات من الكتاب العزيز وما تضمنه من تفسيرها مما لم يحوم حوله أحد المفسرين ، على اختلاف أساليبهم فى الكتابة ومداركهم فى الفهم وأهم ما انفرد به منهج العروة الوثقى فى ذلك ثلاثة أمور :

١ — بيان سنن الله تعالى فى الخلق ونظام المجتمع البشرى وأسباب ترقى الأمم وتدليها وقوتها وضعفها .

٢ — بيان أن الاسلام دين سيادة وسلطان وجمع بين سعادة الدنيا وسعادة الآخرة ومقتضى ذلك أنه دين روحانى اجتماعى ومدنى عسكرى ، وان القوة الحربية فيه لأجل المحافظة على الشريعة

العادلة والهداية العامة وعزة الملة لا لأجل الاكراه على الدبن بالقوة .

٣ — ان المسلمين ليس لهم جنسية الا دينهم فهم اخوة لا يجوز أن يفرقهم نسب ولا أمة ولا حكومة .

ويقول: كان الاحتلال الانجليزى لمصر ١٢٩٩هـ ، ونشأت العروة الوثقى فى باريس سنة ١٣٠١ الكاتب للمقالات هو الثانى (محمد عبده) ولكن بانشاء الأول (جمال الدين) وهو أستاذه فى هذا المنهج ومربيه عليه ، وقد توجهت نفسى بتأثير العروة الوثقى الى الهجرة الى السيد جمال والتلقى عنه وكان قد جاء الآستانة وبعد أن توفاه الله تعلقت آمالى بالاتصال بخليفته الشيخ محمد عبده للوقوف على اختياره وآرائه فى (الاصلاح الاسلامى) وما زلت أتربص الفرص لذلك حتى سنحت لى فى رجب ١٣١٥ عقب اتمام تحصيلى للعلم فى طرابلس وأخذ الشهادة العالمية واجازة التدريس من شيوخها فهاجرت الى مصر وانشأت المنار للدعوة الى الاصلاح » .

وردد السيد رشيد رضا ما أوردناه من حديث الشيخ محمد عبده حول مطاعن أحد كتاب الفرنسيين فى الاسلام وفى هذه المرة كانت اجابة الشيخ مختلفة حيث قال : ان هؤلاء الافرنج يأخذون مطاعنهم فى الاسلام من سوء حال المسلمين مع جهلهم هم بحقيقة الاسلام ، وقال : ان القرآن نظيف والاسلام نظيف وانما لوثه المسلمون باعراضهم عن كل ما فى القرآن واشتغالهم بسفاسف الأمور ، وطفق يتكلم بهذه المناسبة فى تفسير قوله تعالى : ((**هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا**)) وماذا كان ينبغى للمسلمين أن يكونوا عليه لو اهتدو اليها . ثم ذكر أن الطاعن ادعى أن المسلمين لم يعلمهم نبيهم من صفات الخالق الا أنه حاكم قاهر وسلطان عظيم قد أوجب الفتح على أتباعه لأجل قهر الأمم لا لأجل تربيتها ، فأين هذا مما تسميه النصارى خالقهم بالآب الدال على الرأفة والرحمة ، وتحدث عن اسم الرب وما فيه من معانى التربية واللطف والتفرقة بينه وبين معنى الأدب وكون طلبه للولد بمقتضى شهوته لا محبته له وغير ذلك ، قلت : لو كتبت تفسيرا على هذا النحو ، يقتصر على حاجة العصر ونترك كل ما هو موجود فى كتب التفسير وتبين ما أهملوه » .

وجملة القول في هذا كله أن الشيخ محمد عبده بدأ التفسير في غرة المحرم ١٣١٧ وانتهى منه في منتصف المحرم ١٣٢٣ عند تفسير « **وكان الله بكل شيء محيطا** » (الآية ١٢٥ من سورة النساء) فقرأ زهاء خمسة أجزاء في ست سنين اذ توفي لثمان خلون من جمادى الأولى منها رحمه الله وأثابه . وكانت طريقته في قراءة الدرس على مقربة مما ارتآه في كتابة التفسير وهو أن يتوسع فيه فيما أغفله أو قصر فيه المفسرون ويختصر فيما برزوا فيه من مباحث الألفاظ والاعراب ونكت البلاغة وفي الروايات التي تدل عليها ولا يتوقف على فهمها الآيات ويتوكأ في ذلك على عبارة تفسير الجلالين الذي هو أوجز التفاسير فكان يقرأ عبارته فيقرها أو ينقد منها ما يراه منتقدا ثم يتكلم في الآية أو الآيات المنزلة في معنى واحد بما فتح الله عليه مما فيه هداية وعبرة .

يقول السيد رشيد رضا : « وكنت أكتب في أثناء القاء الدرس مذكرات أودعها ما أراه أهم ما قاله ، واحفظ ما أكتب لأجل أن أبيضه وأمده بكل ما أتذكره في وقت الفراغ ، وما لبثت أن اقترح على بعض الراغبين في الاطلاع عليه من قراء المنار في البلاد المختلفة ومن الحريصين على حفظه من الاخوان بمصر أن أنشره في المنار فشرعت في ذلك أول المحرم ١٣١٨ وكنت أولا أطلع الأستاذ الامام على ما أعده للطبع كلما تيسر ذلك بعد جمع حروفه في المطبعة وقبل طبعه فكان بما ينقح فيه بزيادة قليلة أو حذف كلمة أو كلمات ولا أذكر أنه انتقد شيئا مما لم يره قبل الطبع بل كان راضيا بالمكتوب بل معجبا به على أنه لم يكن كله نقلا عنه ومعزوا اليه ، بل تفسيرا الكاتب من انشائه اقتبس منه من تلك الدروس الغالية جل ما استفاده منها لذلك كنت أعزو اليه القول المنقول عنه اذا جاء بعد كلام لي في بيان معنى الآية أو الجملة على الترتيب فاذا انتهى النقل وشرعت بكلام لي بعده قلت في بدئه : (أقول) ولم يكن هذا التمييز ملتزما في أول الأمر بل يكثر في الجزء الأول ما لا عزو فيه ومنه ما هو مشترك بين ما فهمته منه ومن كتب التفسير الأخرى أو من نص الآية على أني عبرت عنه بآمالي مقتبسة ، ولما كان رحمه الله تعالى يقرأ ما أكتبه ، اما قبل طبعه وهو الغالب واما بعده وهو الأقل ، لم أكن أرى حرجا فيما أعزوه اليه مما فهمته منه وان لم أكن كتبته عنه في مذكرات الدرس

لأن اقراره اياه يؤكد صحة الفهم وصدق العزو ، وبعد أن توفاه الله صرت ارى من الأمانة ان لا أعزو اليه الا ما كتبته عنه أو حفظته حفظا ، وصرت اكثر ان اقول قال ما معناه ، او ما مثاله او ما ملخصه .

وقد بدأت فى حياته بتحرير تفسير الجزء الثانى من المنار وطبعه على حدته وتوفى قبل طبع نصفه فهو قد قرأ ما طبع منه مرتين ، وقد اشتد شعورى بعد ذلك بأن على وحدى تبعة تأليف تفسير مستقل وتبعه ايداعه ما تلقيته من هذا العالم الكبير المشرق البصيرة وذى النصيب الوافر من ارث نبى الله داود عليه السلام الذى قال الله تعالى فيه ((**وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب**)) وتبعة الأمانة فى النقل بالمعنى أثقل من تبعة تحرى الفهم الصحيح وأدائه ببيان صحيح .

هذا وانى لما استقللت بالعمل ...

(م ٢٨/٦٤٦) .

وقد عرض السيد رشيد رضا للقواعد التى أملاها الشيخ محمد عبده فى مقدمة التفسير حيث قال : « القرآن كلام سماوى تنزل من حضرة الربوبية التى لا يكتنه كنهها على قلب اكمل الأنبياء وهو يشمل على معارف عالية ومطالب سامية لا يشرف عليها الا اصحاب النفوس الزاكية والعقول الصافية . والتفسير الذى نطلبه هو فهم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس الى ما فيه سعادتهم فى حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة ، فان هذا هو المقصد الأعلى منه وما وراء هذا من مباحث التفسير تابع له أو وسيلة لتحصيله . وقال : التفسير له وجوه شتى :

١ — النظر فى اساليب الكتاب ومعانيه وما اشتمل عليه من أنواع البلاغة ليعرف به علو الكلام وامتيازه على غيره من القول ، سلك هذا المسلك الزمخشرى وقد ألم بشىء من المقاصد الأخرى ونحا نحوه كثيرون .

٢ — الاعراب .

٣ — تتبع القصص .

٤ — غريب القرآن .

٥ — الأحكام الشرعية من عبادات ومعاملات .

٦ — اصول العقائد ومقارعة الزائغين .

٧ ـــ المواعظ والرقائق .

٨ ـــ الاشارة واشتباه كلام الباطنية وكلام الصوفية .

وقال : ان الأحكام العملية التى يسمونها فقها هى أقل ما جاء فى القرآن وان فيه من التهذيب ودعوة الأرواح الى ما فيه سعادتها ورفعتها من حضيض الجهالة الى أوج المعرفة وارشادها الى طريقة الحياة الاجتماعية مما لا يستغنى عنه من يؤمن بالله واليوم الآخر ، ولا يوجد هذا الارشاد الا فى القرآن وفيما اخذ منه كاحياء العلوم . كما أن كثيرا من حكمه ومعارفه لم يكشف عنها اللثام ولم يفصح عنها عالم ولا امام ، ثم ان أئمة الدين قالوا ان القرآن سيبقى حجة على كل فرد من أفراد البشر الى يوم القيامة (والقرآن حجة لك أو عليك) .

ثم اشار السيد رشيد رضا الى اتباعه لهذا المنهج ، فقال : اننى اعتقد أن كل ما أنا فيه من نعمة الله تعالى على فى دينى ودنياى وعلمى وعملى ، هو من آثار سلوك الطريق على يد ذلك الأستاذ العارف رحمه الله وجزاه عنى خيرا ، واشار السيد رشيد رضا الى أن كثيرا من الألفاظ التى كانت تستعمل فى زمن التنزيل لمعان ثم غلبت على غيرها بعد ذلك بزمن قريب أو بعيد ، ومن ذلك لفظ « التأويل » الذى اشتهر بمعنى التفسير (مطلقا أو على وجه مخصوص) ولكنه جاء فى القرآن بمعان أخرى ، ويقول : يجب على من يريد الفهم الصحيح أن يتبع الاصطلاحات التى حدثت فى الملة فكثيرا ما يفسر كلمات القرآن باصطلاحات حدثت فى الملة بعد القرون الثلاثة الأولى فعلى المدقق أن يفسر القرآن بحسب المعانى التى كانت مستعملة فى عصر نزوله ، والأحسن أن يفهم اللفظ من القرآن نفسه بأن يجمع كل ما ورد فيه من الألفاظ المكررة وينظر فيها فربما استعملت بمعان مختلفة كلفظ (الهداية) .

الفصل الثانى

مفهوم أهــل السنة والجماعة

كان تفسير القرآن الذى بداه الشيخ محمد عبده وسار نبـه السيد رشيد رضا شوطا طويلا حتى توقف رحمه الله عند سورة هـود (السورة الحادية عشرة من المصحف) وسورة يوسف ، مدخلا الى تصحيح العقيدة وابراز مفهوم أهل السنة والجماعة المتحرر تماما من مفاهيم الجهمية والمعتزلة والصوفية والباطنية ، وقد عنى السيد رشـيد رضا عناية كبرى بتحرير هذه القضية على نحو واسع شغل من المنار صفحات واسعة ومضى فيـه السيد عاما بعد عام لم يتوقف ، عرض فيه لعديد من كتب السلف الكاشفة لهذا المعنى كما عرض لكتب الفرق ناقدا، وداحضا. ويرى أنه من الضرورى تحرى مذهب السنة الصحيحة فى التفسير من وراء المعتزلة والأشـعرية ومن خلال تراث ابن تيمية وابن القيم اللذين يوليهما اهتماما واسعا فيقول : « ان كلا من المعتزلة والأشـعرية أخطأوا من جهـة واصابوا من أخـرى وان مذهب السنة الصحيح وسط بين هدين المذهبين ولمن اخـذ العـلم من كتب طائفة تؤيد مذهبا معينا دون النظر فى كتب اهل المذاهب الأخرى يفك الأخذ من ربقة التقليد ولا يهديه الى طريقـة التمحيص والتجـديد ، وان كتب ابن تيميـة وابن القيم أنفـع كتب الـكلام وان مذين الشيخين هما الجديران بلقب شـيخ الاسـلام فقد أصاب من يعتنى به من العلماء الأعلام وخلاصة القول الحق أن العقل والكتاب يدلان على حكمة الله تعالى وعدله ورحمته وفعله كما يدلان على قدرته وارادته واختياره يستحيل عليه أضدادها فكل افعاله وحكمه مصلحة للخلق والحكم والمصلحة فى العقـل تسمى فى اللغة علة وجاء ذلك فى القرآن بحرف التعليل فأجمع بين العقـل والنقل تهتد السبيل ولا تكفر أو تضل أحدا من اهمال العلية .

وقد أجرى محاورات واسعة بين المصلح والمقلد ، لكشف حقيقـة مفهوم اهل السنة والجماعة ومحاربة كلا الفـكر الصوفى والتقليدى وفكر الكلام والفلسفة والمنطق واحياء مفهوم أهل السنة والجماعة بعيدا عن كل

التفسيرات الموجبة لغير ذلك سواء أكانت معتزلة أم صوفية أو فلسفية ، وتدم فى ذلك كتاب شرح عقيدة السفارينى (الدرة المضيئة فى عقد الفرقة المرضية) وقد اهتم بالرد على المعتزلة الأشعرية معــا كما عرض لكتاب الشيخ حســين الجسر فى العقائد (الحصون الحميدية لمحافظـة العقائد الاسلامية) وقال ان هناك جماعات متعددة فى العراق وسوريا من الرافضة والمشبهة التى تحيى ما فعله عبد الله بن سبأ الذى ابتدع لهم الرفض وتحدث عن الأحاديث الموضوعة والوضاعين وأبطـل مذهب القــدرية والجبرية ومن ذلك قوله : « ليس القرآن وحده ولكن القرآن والسنة » وأشار الى الارتباط بين السلفية والأشعرية « فهما أهل السنة والجماعة لم يفرطوا تفريط القدرية النفاة ، ولم يفرطوا افراط الجبرية المحتجبين بالقــدر على معاصى الله فمذهب سلف الأمة وائمة السنة كافة ان جميع أنواع الطاعات والمعاصى والكفر والفساد واقعة بقضاء الله وقدره لا خالق سواه فأفعــال العباد مخلوقة لله تعالى خيرها وشرها حسنها وقبيحها ومذهب سلف الأمة وائمتها وجمهور أهل السنة المثبتة للقدر من جميع الطوائف يقولون ان العبد فاعل لفعله حقيقة وان له قدرة حقيقية واستطاعة حقيقية ، ولا ينكرون تأثير الأسباب الطبيعية والعبد غير مجبور على أفعاله بل هو قادر عليهــا هذا القدر ثم ان الأشعرى أثبت للعبــد كسبا ومعناه أنه قادر على فعله وان الله فاعل فعل العبد وان عمل العبد ليس فعلا للعبد بل كسبا » .

وقد كشف السيد رشيد رضا كثيرا من شبهات الباطنيــة والزنادقة ورد عليها ، كما تعرض للمحكم والمتشابه ، والناسخ والمنسوخ .

وكشف كيف كان الرفض والتشــيع والاعتزال من أبواب الزندقة والالحاد . فالصائبة المتفلسفة كانوا مصدرها أخذ منه أو زاد عليه القرامطة والنصيرية الاســماعيلية الحاكمية وهم انما يدخلون الى الزندقة والــكفر بالكتاب والرسول من باب التشيع والرفض والمعتزلة .

وأفاض فى عرض شرح عقيدة السفارينى ، من رجحان مذهب السلف على غيره مؤيدا ذلك بالدلائل النقلية والعقليــة وقد اقتبس جـل تحقيقاته من كلام الامامين الجليلين شيخ الاسلام ابن تيميه وتلميذه المحقق ابن القيم

وقد قال ذلك فى مواجهة كتب العقائد التى يتداولها طلاب العلم وكلها من وضع المتكلمين الذين جروا على طريقة فلاسفة اليونان .

واشار فى اكثر من موضع الى وحدانية الالوهية ووحدانية الربوبية ، فاما وحدانية الألوهية فهى قوله أن لا تعبد الا الله وأكده بقوله ولا تشرك به شيئا والاله هو المعبود الذى توله العقول فى معرفته ، أما وحدانية الربانية فهى قوله ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فالرب هو السيد المربى الذى يطاع فيما يأمر وينهى والمراد هنا من له حق التشريع والتحليل والتحريم (م ٢٥٥/١٠) .

ويتحدث عن فكرة التحرر من التقليد وتحامى كتب المتاخرين أينما وجدت ويستشهد بقول الامام الشاطبى : كان لأخذ الفقه من كتب الأقدمين ولا يرى لأحد ان ينظر فى هذه الكتب المتأخرة كما قرره فى كتاب الموافقات وترد عليه الكتب فى ذلك من بعض أصحابه فيوقع له : « واما ماذكرتم من عدم اعتمادى على التاليف المتأخر فليس ذلك منى محض راى ولكن اعتمدته بحسب الخبرة عند النظر فى كتب المتقدمين مع المتاخرين ، كابن بشر وابن شاش وابن الحاجب ، ومن بعدهم ، ولأن بعض من لقن من العلماء أوعانى بالتجافى عن كتب المتأخرين وابى بعبارة خشنة ولكنها محض التضحية والتساهل فى النقل عن كل كتاب جاء لا يحتمله دين الله » .

ويقول : لقد دخلت بعض البدع على كتب اهل السنة وانها ليست من مذاهب الأئمة فان مذاهبهم متفقة على الأخذ بالكتاب والسنة فمن الحق بالدين شيئا زعم أنه منقول أو مستنبط من كلامهم وهو يخالف الكتاب والسنة فهو مردود عليه وهم يراد منه وقال : ان اهل السنة والجماعة هم أبو الحسن الأشعرى أبو منصور الماتريدى ومن تابعهما فى الاعتقاد والامام الجنيد ومن تابعه فى التصوف والائمة الأربعة ومن تابعهم فى الفروع .

المتكلمون وعلم الكلام : وافاض السيد رشيد رضا فى عرض اقوال المتكلمين ومفاهيمهم وقال ان امام نظار المتكلمين والأصوليين فى عصره امامهم (الرازى) « وكان من اقلهم حظا فى علم السنة وآثار الصحابة والتابعين وائمة السلف من المفسرين والمحدثين بل وصفه (الحافظ الذهبى) بالجهل بالحديث وقال : « التاج السبكي » أنه لم يشتغل بهذا العلم وليس

من أهله . وقال ان « بدعه الكلامية » مخالفة لنصوص الكتاب والسنة وقال ان تفسير الرازى قد اشتهر فيه بعض العلماء فيه أن فيه كل شىء الا التفسير كما فى كتاب الاتفاق ، وجملة القول : ان مذهب لسلف الصالح وجوب الايمان بكل ما وصف الله تعالى به فى نفسه فى كتابه وما صح من وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم له على ظاهره من غير تعطيل للمعنى اللغوى يجعله كاللغو وكل محاولة لتشبيه الله بخلقه يعد من النقص ولا تأويل يخرج الظاهر المتبادر عن معناه بمحض الراى والخواطر التى تعرض لبعض الناس فيما لا يليق به تعالى لا تنقص من ايمان المؤمن بكتابه وصدق رسوله المتبع لهما . قال ابن مسعود : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوسوسة فقالوا ان احدنا ليجد فى نفسه ما لأن يحترق حتى يصير حممة (أى محمة) أو يخرج من السماء الى الأرض احب اليه من أن يعلم به . قال : ذلك محض الايمان وكراهية المؤمن لها دليل على ايمانه المحض الخالص .

ويقول السيد رشيد رضا : ان كبار النظار من المتكلمين قد رجعوا الى مذهب السلف فى الايمان بظاهر النصوص وفى مقدمتهم امام الحرمين كما نقله عنه الحافظ ابن حجر فى شرحه للبخارى ومن قبله والده الامام الجوينى ومن بعده أبو حامد الغزالى فى آخر عمره ونقل مثل هذا عن الفخر الرازى أيضا وقد صرح الغزالى من قبل رجوعه الى مذهب السلف أن علم الكلام ليس من علوم الدين وانما هو لحراسة العقيدة كالحرس للحاج وانما راجت كتبه لأنها وضعت للرد على ملاحدتهم ومبتدعيهم ولا تنفع فى الرد على ملاحدة هذا العصر ولا مبتدعيه » .

ويقول السيد رشيد رضا أيضا عن المعتزلة : « من يطالع مقالات المعتزلة بامعان يتبين له أن مقاصدهم التوفيق بين الدين والفلسفة ولم يتيسر لهم ذلك لأمرين لأن الفلسفة التى طالعوها اكثرها غير صحيح فلذلك لم تلتئم مع الدين والثانى أن المقصد الأصلى من الدين هو العمل وهؤلاء افرطوا فى الجدل فشطوا عن مقصد الدين كما شط مجادلوهم عن الجبرية الخالصة او الجبرية المتوسطة والمرجئة .

واشار فى موضع آخر الى ذم السلف الخوض فى علم الكلام فقال :

لقد ذم السلف الصالح الخوض فى علم الكلام والنقض والتدقيق فيما زعموا انها قضايا برهانية وحجج يقينية وقد شجبوا ذلك بالقضايا المنطقية والمدارك الفلسفية والتحليلات الكشفية والمباحث القرمطية ، وكان ائمة الدين قبل مالك وسفيان بن المبارك وابى يوسف والشافعى واحمد واسحق والفضل ابن عياض وبشر الحانى يبالغون فى ذم (علم الكلام) وفى ذم بشر المريسى حتى أن هارون الرشيد خامس الخلفاء لبنى العباس قال يوما بلغنى أن بشر المريسى يقول ان القرآن مخلوق ولله على أن اظفرنى به الله لأقتلنه قتلة ما قتلها احد فأقام بشر متواريا ايام الرشيد نحوا من عشرين سنة ، ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية أن التأويلات التى ذكرها ابن فورك ويذكرها الرازى فى تاسيس التقديس ويوجد منها غالت المتكلمة من الجبائى وعبد الجبار وابى الحسن البصرى وغيرهم هى بعينها التاويلات التى ذكرها بشر المريسى ورد عليه الامام الدارمى عثمان بن سعيد احد مشاعير ائمة السنة من علماء السلف فى زمن البخارى . (م ٦٤٩/٨) .

ويشير السيد رشيد رضا الى السبأية (اتباع عبد الله بن سبأ) ويقول انهم بمثابة الضربة الأولى التى ضرب بها الاسلام ، كان هذا الرجل يهوديا ثم اسلم ظاهرا واعماله تدل على أنه يحمل حقدا شديدا للمسلمين.

ويفسح السيد رشيد قدرا واسعا من صفحات المنار لنشر كتابتاريخ الجهمية والمعتزلة الذى الفه جمال الدين القاسمى (م ٧٠٣/١٦ وما بعده) يشار فيه الى توافق الفرقتين المعتزلة والجهمية فىالمسائل المعروفة عنهما. وان اول هذا ألامر عندما فتح باب النظر والتاويلات (تأويل آيات الصفات فى الكتاب المبين) وقد انتشرت مقالة الجهمية بواسطة كبار المعتزلة وظهور دولة الجهمية (المعتزلة) فى عهد المامون ودعواه الى مذهبهم وما جرى على ائمة الرواية فى مسألة خلق القرآن واشار الى ما رواه الشيخان البخارى ومسلم فى صحيحهما (باب كتاب التوحيد والرد على الجهمية) فى البخارى وقد اشتهر عن جهم بن صفوان أن القول بالجبر هو اسناد فعل العبد الى الله تعالى وكان المامون واحمد بن داود الذى اقنعه بذلك مقدمة لنشوء الفلسفة والتشيع . ويقول الامام الذهبى فى تذكرة الحفاظ (جـ ٣٠٠/١٠) لما قتل الأمين واستخلف المامون على رأس المائتين نجم التشيع وابدى

صفحته وبزغ فجر الكلام وعربت حكمة الأوائل ومنطق اليونان وعمل رصد الكواكب ونشأ للناس علم جديد مرد مهلك لا يلائم علم النبـوة ولا يوافق توحيد المؤمنين فقد كانت الامة منه فى عافية وقويت شوكة الرافضة والمعتزلة وحمـل المامون المسلمين على القول بخلق القـرآن ودعاهم اليه فامتحن العلماء فلا حول ولا قوة الا بالله ، ان من البـلاء أن تعرف ما كنت تنـكر وتنكر ما كنت تعرف ، فتقدم عقول الفلاسفة ويعزل منقول أتباع الرسـل ويمارى فى القرآن ويتبرم بالسنن والآثار وتقع فى الحـيرة فالفرار الفرار قبل حلول الدمار واياك ومعضلات الأهواء ومجاراة العقول ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم .

وفى مجلد (٥٦٩/٣٣) من المنار فصل السيد رشيد رضا هذه القضية باعتبارها دعامة الاصلاح الاسلامى الحقيقية وتحت عنوان (أصل الاسلام) وما طرأ عليه من الفساد عن طريق السياسة والفلسفة والتصوف يعـدد الباحث المسائل التالية :

المسالة الأولى : ان هـذا الدين (الاسلام) وحى الهى الى نبى أمى ظهر فى أمة أمية جاهلة ليعلمها الكتاب والحكمة ويزكيها بالعـلم والعـدل والفضيلة . وان الله قد شهد كتابه بأنه اكمل هـذا الدين لعباده فى آخر عمر نبيه ليس لأحد أن يزيد فيه بعده عقيدة ولا عبادة ولا تحريما دينيا مطلقا ولا تشريعا مدنيا الا ما أذن به لأولى الأمر من الاجتهاد على أساس نصوصه وقواعده .

المسالة الثانية : ان ما اجمع عليه أولئك الأميون الأولون أو أكثرهم هو الحق وان كل ما خالف نصوص القطيعة من العقـائد والآراء والأفطار البشرية فهو باطل وفيه جميع نظريات المتكلمين العقليـة وكشف فلسفة الصوفية الروحية وان المصلحة للمسلمين وللبشر كافة أن يقصروا هداية الدين على نصوص القرآن المنزلة وما بينه من سنن الرسول المتبعة وسيرة خلفائه وجمهور عترته واصحابه قبل نشوء الابتداع والتفرق فى الملة .

المسالة الثالثة : ان البدع التى فرقت الأمة فى أصول دينها وجعلتها شيعا تؤثر كل شيعة اتباع زعمائها ومذاهبها على كتاب الله وسنة رسوله وهدي سلفه الصالح بالتأويل من حيث يدعي أن أئمتها أعلم من مخالفيهم

بتأويل الكتاب والحديث وان بعضهم مؤيد بالكشف وبعضهم بالعصمة فهم احق أن يقلدوا ويتبعوا وانما يعلم الا علم بالدليل لا بالتقليد وفهم النصوص بقواعد اللغة والسنة العملية لا بالتأويل . ولهذه البدع المفرقة ثلاث مثارات من أركان حضارة الأمم السياسية هى :

السياسة والسلطان — العلم العقلى والعرفان ، وفلسفة الوجدان وما يتبعه من دعوى علم الغيب المسمى بالكشف والكرامات الشاملة لدعوى التصرف فى الكون .

وينفصل ذلك على ثلاث قضايا :

١ — السياسة الدولية : مثارها الأول ما شجر بين الصحابة ثم كان أشدها افسادا ما كان بين أهل السنة والشيعة ، وقد زالت الخلافة وضاعت سيادة الأمة فى حين أن آثارها ومفاسدها لا تزال ماثلة . المنتمون الى مذهب السنة قد غلبهم جهلة الأعاجم على خلافتهم بعد ان جعلوها عصبية وراثية . غلاة الشيعة نقضوا أركان الاسلام من أساسه بدعاية عصمة الأئمة وتأويل نصوص الكتاب والسنة .

٢ — النظريات العقلية وتحكمها فى النصوص النقلية : تنازع أئمة الأتباع وعلى رأسهم الامام احمد بن حنبل ودعاة الابتداع من متكلمى نظار المعتزلة والجهمية ولولا تدخل سلطان العباسيين فى نصر فريق على فريق لما وصلت الى ذلك الحد .

وسيموت ما بقى من علم الكلام بموت الفلسفة اليونانية التى بنى على قواعدها ونظرياتها وان بقيت له بقية تقليدية فى بعض المدارس الاسلامية وسيخلفه علم آخر فى حراسة العقائد من شبهات العلم وفلسفة هذا العصر ، مع ابقاء الخلط بينهما وبين عقائد الدين ومحاولة تحكم كل منهما فى الآخر كما فعل نظارنا المتقدمون فجنوا على كل منهما بما اضعف سلطان الدين عن أداء وظيفته وهى تزكية النفس بما يوقفها عند حدود الحق والعدل والفضيلة وعمل البر واضعف سلطان العلم فى اداء وظيفته فى اظهار سنن الله فى العالم وتسخير قوى الطبيعة لمنافع الناس .

٣ ــ دعوى الكرامات والكشف وتحكمه فى عقائد الدين وعباداته وآدابه وتفسير نصوصه وأحكام المعاملات والحلال والحرام وقد نجمت البدعة من هذه الناحية صغيرة ثم كبرت ، هاجمها علماء المنقول والمعقول ، يؤيدهم الخلفاء والملوك فانهزمت أمامهم حتى اذا ما ضعف العلم فصار تقليديا وضعف الحكم فصار ارثا جاهلبا وصار علماء الأزهر مثل الشعرانى وسلاطين مصر مثل قايتباى خضعت رقاب المسلمين بولاية من الشيخ محمد الخضرى ؛ هذا الولى الشيلانى الذى خطب فى ثلاثين مسجدا من مساجد القطر (م ٥٧٣/٣٣) .

٤ ــ بطلان تأويل النصوص للنظريات العقلية والعلمية الباطنية : النظريات العقلية التى تناول النصوص لأجلها علماء الكلام فقد ظهر بطلانها وبطلان الفلسفة التى بنت عليها لعلماء هذا العصر وفلاسفته فقد اجمع هؤلاء على أن جميع النظريات العقلية الفلسفية والعلمية المسلمة اليوم ليس فيها شىء يعد من الحقائق القطعية العلمية الثابتة التى لا يمكن نقضها ، بل كلها قابلة للنقض والبطلان وقد بطلت النظريات العلمية فى المادة والقوة فكيف يجوز اذن تأويل نص دينى قطعى الرواية والدلالة فى خبر عالم الغيب من الوحى الالهى لنظرية ظنية فى عالم الشهادة من الرأى البشرى ، واذا بكل تأويل علماء الكلام المبنى على قواعد النظر العقلى ومراعاة مدلولات اللغة واشتراط عدم المخالفة لأصل من قواعد الشرع وتأويل المعاصرين لما يخالف العلوم العصرية فأجدر بتاويلات الباطنية أن تكون أشد بطلانا لأنها تحكم فى اللغة بما لا تدل عليه مفرداتها ولا قواعد نحوها ولا بنيانها ، وناقضة لأصول الشرع وقواعده القطعية الثابتة بالاجماع المتواتر والعمل الذى لا مجال للتأويل ولا التحريف فيه كتأويل الاسماعيلية القرامطة السابقين والبهائية والقاديانية اللاحقة ، البهائية الذين يدعون الى الوهية البهاء والقاديانية الذين يدعون الى بنوة ميرزا غلام أحمد » .

هذا ولابد من عرض القضيتين المكملتين للبحث وهما الصوفية والشيعة الغالية .

الفصل الثالث

الصوفية الهندية والفلسفة

كانت مقاومة مفاهيم الصوفيـــة الهندية والفلسفة هى من أحجـــار الأساس فى بناء مفهوم أهل السنة والجماعة القائمة على المسئولية الفردية والالتزام الأخلاقى فى مواجهة تلك الجبرية التى تدعى دعاوى باطلة تصرف المسلم عن بذل الجهـــد ودعوى قرب انتهـــاء الزمان والتواكل ومن هنـــا فقد اهتم السيد رشيد رضا بالحديث عن سنن الله فى الكون والتماس هذه السنن فى معرفة مهمة الانسان فى الحيـــاة وان الأمم تمر بمراحل الضعف بعد القوة ثم تعود الى القوة مرة أخرى متى التمست منهج الله ، وان الضعف الذى يمر بالأمة الاسلامية لا يعنى أنه دليل على نهاية الزمان وانما هى مرحلة تعقبها مرحلة أخرى يستيقظ فيها المسلمون .

وقد رد السيد رشيد رضا هذه المشاعر المتشائمة اليائسة التى تدعو الى الانصراف عن الحياة واعتزالها الى مفاهيم التصوف الهندى والفلسفى الوافـــد على المسلمين ، والذى لم يعرفـــه المسلمون فى الصـــدر الأول للاســـلام .

وقد عرض السيد رشـــيد رضا لما تضمنته كتب الصوفية من هـــذا النوع من المفاهيم الجبرية فأشـــار الى ان فى بعض الكتب الصوفية كثيرا من المعارف والفوائد والمواعظ المؤثرة ولكن أكثرها قد أفسد فى دين هـــذه الأمة ما لم تبلغ الى مثله شبهات الفلاسفة وآراء مبتدعة المتكلمين لأن هذين النوعين لا ينظر فيهما الا بعض المشتغلين بالعلم العقلى ، أما كتب الصوفية فتنظر فيها جميع طبقات الناس وان كانت أدق عبارة وأخفى اشارة من كتب الفلاسفة ولا شـــك أن خير صوفية هـــذه الأمـــة السابقون الذين كانوا لا يتصوفون الا بعد تحصيل علم الكتاب والسنة والفقه والاعتصام بالعمل على طريقة السلف كالامام الجنيد وطبقته ثم ظهر فيهم الغلاة ومن يسمون صوفية الحقائق فابتدعوا ما انكره عليهم الأئمة . حتى قال الامام الشافعى من تصوف أول النهار لا يأتى آخره الا وهو مجنون ، وانت ترى أن الحارث

المحاسبى من اجل علماء الصوفية وقد روى عنه الجنيد وكان من المتمسكين بالسنة بحيث يأخذ مما خلفه والده من المال الكثير دانقا واحدا على شدة فقره وعلل ذلك بانه لا توارث مع اختلاف الدين ، وما كان والده الا واقفيا أى لا يقول ان القرآن غير مخلوق كما انه لا يقول هو مخلوق . الف الحارث فى اصول الديانات والزهد على طريق الصوفية فسئل الامام أبو زرعة عنه وعن كتبه فقال للسائل : اياك وهذه الكتب ، بدع وضلالات وعليك بالأثر فانك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب . روى الخطيب بسند صحيح ان الامام احمد سمع كلام المحاسبى وقال لبعض اصحابه ما سمعت فى الحقائق مثل كلام هذا الرجل ولا ارى لك صحبتهم ، انما نهاه عن صحبتهم لعلمه بقصوره عن مقامهم فانه مقام ضيق لا يسلكه كل احد ويخاف على من يسلكه ان لا يوفيه حقه (م ٣٠/٧٥٤) .

وخاصة هذا الزمان وعوامه أولى بأن لا ينظروا فى كتب من لا يعدون من طبقة الحارث بحيث ان امام السنة الأعظم فى عصره أحمد بن حنبل لم ينكر شيئا مما سمع من كلامه بمخالفة الكتاب والسنة وانما أنكره هو لأنه شىء جديد مبتدع فى أمر الدين يشغل الناظر عن كتاب الله وسنة رسوله ونهى عن صحبتهم لذلك أو لضيق مسلكهم وكونه لا يفهمه ولا يستفيد منه الا من هو مثلهم فما نقول بما جاء بعد هؤلاء من أصحاب القول بوحدة الوجود وغير ذلك من البدع المصادمة للنصوص كمحيى الدين بن عربى الذى يقول فى خططه وفتوحاته :

الرب حق والعبد حق
يا ليت شعرى من المكلف
ان قلت عبد فذاك ميت
أو قلت ربى أنى يكلف

ومن شعره فى ديوانه : (وما الكلب والخنزير الا الهنا) .

وذكر الشعرانى وهو أشهر داعية فى عصره الى خرافات الصوفية أنه سأل شيخه فى التصوف عليا الخواص : لماذا يتأول العلماء ما يشكل ظاهره من نصوص الكتاب والسنة دون المشكل من كلام العارفين فأجابه بأن سبب ذلك القطع لعصمة القرآن وما صح عن الرسول صلى الله عليه

وسلم فى أمر الدين وعدم عصمة هؤلاء الشيوخ من الخطأ بالمعنى فى كتابه الدرر والجواهر وهذا حق .

ويقول السيد رشيد رضا : ان تحرير علم التصوف شىء لا يستطيعه الا من كان راسخا فى علم الكتاب والسنة أتم الرسوخ وعارفا بالتصوف معرفته علم وذوق وعمل وقد ادخر الله تعالى هذا للعالمين العاملين : شيخ الاسلام ابى اسماعيل الهروى الأنصارى ومجدد الاسلام ابن القيم الدمشقى جمع الأول ذلك التصوف جمعا موجزا فى كتابه منازل السائرين وشرحه الثانى فى كتابه مدارج السالكين وقد قدم صاحب المنار فى (المجلد ١٩) تعريف بالكتابين وقال : علماء الاسلام صنفان : علماء الاثر وهم علماء المنقول وعلماء المنقول ومن كل صنف مفسرون وفقهاء ولا يكاد يكون الاثرى متكلما وقد يكون صوفيا فى النادر .

وان علم الأثر ينقسم الى علم الرواية وعلم الدراية ولا يتم نفع أحد العلمين الا بالآخر ، ووجد من كل طائفة علماء اعلام صالحوا المتكلمين بدفع شبهات الملاحدة وكثير من المبتدعة ، وصالحوا الصوفية وخدموا الاسلام ببيان حكم الشريعة وأسرارها وتقرير الأخلاق والآداب ، والفقهاء خدموا الاسلام باستنباط أحكام العبادات والحلال والحرام والأحكام المدنية والسياسية ولكن كل هذه الفرق دخلت اليها البدع فتفرق المسلمون الى فرق وأحداث كثيرة .

واشار السيد رشيد رضا الى انحراف المتصوفة عن الصراط السوى حتى لم يبق عندهم الا الرسول ، فقد تمسكوا بحبل الأوهام والابهام ، أعدوا الطريق احيولة للجاه وحيلة للمفاخرة والمباراة وغلبة الأهواء ، وما بقى من علم القوم الأشقشقة اللسان رزخرفة الكلام بالألفاظ لا يفكرون بمعناها ، وكلمات لا يعرفون مرماها كالسحر والدجل والادلال والسطح والفرق والجمع ، ليس لهم من العمل الا ضرب الدفوف ودق النقارات والصنوج والنفخ بمزمار الشبابة بل والضرب بآلات الأوتار والتغنى بالأشعار الغرامية المهيجة للنفوس ، كأشعار عمر بن الفارض ويسمون كل ذلك عبادة ، وحالة الذكر الذى حققوه كالرقص . (م ٦٢٦/١) .

واشار الى انحراف التصوف بعد أن كان فى القرن الأول زهدا خالصا

لا يصرف عن عجل الدنيا فقال : لما توسع أهل القرن الرابع فى الشرع وتعيين المتكلمين فى العقائد فهم كذلك اقتبسوا من فلسفة فيثاغورس وتلامذته فى الالهيات قواعد وانتزعوا من لاهوتيات الكتابيين والوثنيين جملا والبسوا لباسا اسلاميا فجعلوه علما مخصوصا يعرف باسم علم التصوف أو الحقيقة أو الباطن ، وبعد ان كان التصوف عملا تعبديا محضا جعلوه فنا نظريا اعتقاديا بحتا وجاء منهم فى القرن الخامس وما بعده غلاة رأو مجالا فى جهل أكثر الأمة لأن يجوز بينهم مقاما كمقام النبوة بل الالوهية باسم الولاية والقطبان والغوثية فوسعوا فلسفة التصوف بأحكام بنوها على زخرف التاويلات والكشف والتحكمات .

وقد عرض السيد رشيد رضا فى مجلدات المنار الأربعة والثلاثين لعشرات من شبهات الصوفية وتحدث عن معظم الفرق الموجودة فى العالم الاسلامى كالرفاعية والنقشبندية والشاذلية واشار الى انحرافات هذه الطرق واهمها علوم الاعتصام بالمأثور فى الذكر بالأسماء المقررة واستعمال عبارات هو هو آه آه ، واشار الى كتاب الكلم الطيب من أزكار النبى صلى الله عليه وسلم .

وقال : ان أهم ما انفرد به ابن القيم بتحرير علوم الصوفية ووضع الموازين القسط لمعارفهم واذواقهم ومقاماتهم واحوالهم وذلك فى شرحه لكتاب منازل السائرين لشيخ الاسلام أبى اسماعيل الهروى ، ومن ذلك قوله : الصوفية ثلاث : صوفية الأرزاق وصوفية الرسوم وصوفية الحقائق ، وقد ضل بما دخل فى الاسلام من باب فلسفتهم الروحية أضعاف من ضل بما دخل على المتكلمين وغيرهم من باب الفلسفة العقلية من الهية وطبيعية ويرجع ذلك الى جهل شيوخهم بالسنة النبوية ، فمن أصول الضلالة التى دخلت على المسلمين من باب التصوف المقابلة بين الحقيقة والشريعة وجعل الأمر الكونى القدرى كالأمر الشرعى فى كون كل منهما يجب الرضا به والاذعان والاستسلام له .

ومن مفاسد قولهم : الرضا بعدم مقاومة الأمراض والظلم وهضم حقوق الأفراد وحقوق الأمة ومن مفاسده الجبر وسلب الاختيار وما ابتدعوه من الأزكار والأوراد والسماع وتعظيم القبور وجعلوه من شعائر الاسلام

فان عمدتهم فيه انهم ذاقوا ما اثمره لهم من الحب والوجد والخشوع والبكاء والرغبة فى الآخرة .

ومن اصول تلك الضلالات دعوى أن للدين ظاهرا وباطنا مخالفــا لما يفهم الجمهور منه وهذه الضلالة من ابتداع زنادقة الباطنيــة وقد كانت سببا لارتداد كثير من المسلمين فكونت منهم طوائف الاسماعيلية والنصيرية والدروز والبابيــة والبهائيــة وغــيرهم ، ومنها اصل الأصول فى غلاتهم وهو ما يعبرون عنــه بوحدة الوجود بالمعنى الذى عليــه الكتاب المسمى بالانسان الكامل وامثاله ، وهــذا الأصل مخالف لنصوص القرآن الصريحة ولنصوص السنة الصحيحة وفيه مفاسد كثيرة جدا .

وقد اقتبست كل فرقة اصيبت بفتنة تأويل ما يخالف مذاهبهم وآرائهم من آيات الكتاب العزيز وفنون الأحاديث حتى انهم ليؤولون السنن العملية أو يعارضونها بروايات قولية شاذة ومنكرة ، وغلاة الصوفية أبرع الفرق فى التأويل وأشدهم اسرافا فيه بعــد الباطنية الذين يشبهونه بهم كثيرا ، ذلك بانهم لا يلتزمون فى التأويل ما يلتزمه المتكلمون والفقهاء من عدم الخروج باللفظ عن حقيقته الا الى ضرب من ضروب المجــاز أو الكتابة بل يزيدون على ذلك باب الكشف وباب الاشارة وباب الرمز ولذلك نرى كلامهم ممزوجا بالآيات والأحاديث محرفة عن معانيها الصحيحة التى تدل عليها فى اللغــة ولأجله نرى كلامهم مقبولا عنــد الجماهير من غــير تأمل أو تفكير حتى أن المتكلمين والفقهاء ما عادوا ينكرون عليهم شــيئا كما كان السلف ينكرون على كل من يخالف ظواهر النصوص . (م ١٩/٥٢) .

وقد حرص السيد رشيد رضا رغبة منه فى تصحيح مفاهيم الصوفية ان يورد ما قاله ائمة الاســلام وأعلامه فى مفهوم التصوف الصحيح فأورد نصوصا للحافظ ابن الجوزى والامام ابن تيميه — اما الحافظ ابن الجوزى فقد اشار فى كتابه تلبيس ابليس الى متصوفة الرسوم فقال : كانت النسبة الى الاسلام والايمان فيقال مسلم ومؤمن ثم حدث اسم زاهد وعابد ثم نشأ اقوام تعلقوا بالزهــد والتعبــد فتخلوا عن الدنيــا وانقطعوا الى العبادة واتخذوا فى ذلك طريقة تفردوا بها وأخلاقا تخلقوا بها .

ظهر الاســم للقوم قبل سنة مئتين ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيــه

وأشاروا عن صفته بعبارات كثيرة وحاصلها أن التصـــوف عندهم رياضة النفس ومجاهدة الطبع برده عن الأخـــلاق الرزيلة وحمله على الأخـــلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والاصلاح والصدق وأول تلبيس للشيطان عليهم أن صدهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل فلما انطفأ مصـــباح العلم تخبطوا في الظلمات فمنهم من غلا في ترك الدنيـــا وهى قوام مصالح الخلق ومنهم من أغرى بتعذيب النفس بالجوع والعرى والفقر الاختيارى ومنهم من غلبت عليه الخيالات حتى قالوا بالحلول والاتحاد . (م ٢٢/١٧٣) .

كما أورد لشيخ الاسلام أحمد تقى الدين بن تيميـــه فتوى فى الصوفية والفقراء فأشار الى صوفية الأرزاق الذين يقيمون فى الخوانك ويأكلون منها وصوفية الرسم : الذين همهم تقليدهم فى اللباس والآداب الوضعية .

وقال : ان الصوفية طائفـــة انقطعت الى الزهد فى الدنيا والعمـــل للآخره ورياضة النفس وتربيـــة الارادة بالعزائم ومحاسبة النفس وحسن النية والمبالغة فى العبادة وغايتهم الوصول الى تجريد التوحيد وكمال المعرفة بالله تعالى . وسرى الى المسلمين كثير من بدع أولئك وضلالاتهم وشعائرهم وشاراتهم ، حتى انهم اخذوا عنهم فلسفة وحـــدة الوجـــود فصارت غاية الطريق عندهم وبث الباطنية فى التصوف ضلالات أخرى شر أصولها التأويل البعيد للآيات والأحاديث وطبيعة الاذعان لكل ما يأمر به السالكين وشيوخهم وان كان منكرا وعدم الانكار عليهم فى شىء ، وكانت الباطنية تقصد بهـــذه التعاليم افساد دين الاسلام وابطاله ، وازالة ملكه بالدسائس التى وضعها عبد الله بن سبأ اليهودى وجماعات المجوس السرية التى بثت فى المسلمين دعوة الغلو فى التشيع لآل البيت والطعن فى أعظم الصحابة لافســـاد دين العرب وتقويض دعائم ملكهم بالشقاق الداخلى لتتمكن تلك الجمعيات بذلك من اعادة ملك المجـــوس وسلطان دينهم اللذين أزالهما العـــرب بالاســـلام ولولا هذا الاضلال (التاويل والطاعة المطلقة) لما راجت الضلالات والبـــدع فى هذه الطائفة لأن أصل طريقتهـــا تزكية النفس بالعلم والعمـــل الشرعيين مع الصدق والاخلاص والأخـــذ بالعزائم ومحاسبة النفس على الخواطر .

وقال الامام ابن تيميه : انه لا سبيل الى تصفية التصوف من البـــدع الا بتحكيم الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح منه قبولا وردا بعد بيان

ان الضلالات والبدع المتغلغلة فى كتب التصوف قسمان :

١ — ما أخذه الباطنية من صوفية البراهمة واليونان ودسوه فى التصوف الاسلامى وليس له أصل فى الكتاب ولا فى السنة الا ما زعموه من التأويلات المخالفة للغة والشرع وما أحدثه بعض شيوخ الطريقة من الأوراد والشعائر الدينية المخالفة للسنة فى ذاتها وأصلها أو فى صنعتها وطريقة ادائها حتى ان بعض كبار الفقهاء المتكلمين روجوا بعض هذه البدع والآراء بالتأويلات والتوسع فيما جوزه بعضهم من العمل بالحديث الضعيف فى فضائل الأعمال . ولم يراعوا فيه ما اشترطه المحققون فى هذا من الشروط فترى مثل الغزالى من اكبر ائمة علماء الكلام والفقه يرغب فى بعض العبادات المبتدعة مستدلا عليها بهذه الأحاديث الواهية ، صلاة الرغائب فى رجب وصلاة ليلة نصف شعبان ، قال النووى : صلاة رجب وشعبان بدعتان قبيحتان مذمومتان . والغزالى لم يتوسع فى علم السنة الا فى آخر عمره ، وكذلك أخذوا بالضعيف الواهى : دعاء الوضوء اذ لا اصل له .

وجملة القول فى صوفية المسلمين ان علماءهم كسائر أصناف علماء المسلمين الذين استعملوا عقولهم فى الدين من المتكلمين والفقهاء كل صنف قد انفرد بالتوسع فى علم فجاء فيه بما لم يجىء به غيره وكل منهم اخطأ وأصاب .

فالصوفية اتقنوا علم الأخلاق والآداب الدينية وحكم الشريعة وأسرارها وطرق تزكية النفس واصلاحها — وهذا غرض الدين ومقصده — غلوا وأتوا ببعض ما يخالف النصوص ودخل فى كلامهم وأعمالهم من تصوف الأمم السابقة ومن البدع ما ينكره الاسلام فالمتكلمون أيضا قد دخل فى كتبهم مثل ذلك من الفلسفة اليونانية وغيرها من البدع المخالفة للنصوص ولما كان عليه السلف وكذلك الفقهاء قد دخل فى كتبهم مثل ذلك بالرأى والقياس والأخذ بالأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وكل من فى هذا العصر من المنتحلين لطرق الصوفية هو منتم الى أحد مذاهب الفقهاء والمتكلمين .

وقال السيد رشيد رضا : ان للتصوف كتبا أكثر ما فيها منصوص

أو مستنبط من الشرع أو غير مخالف له ، وبعضها بدع تلصق به الصاقا بشبهات وتأويلات باطلة . احسن الكتب فى تصوف الحقائق واسلمها من مخالفة الكتاب والسنة فيما نعلم كتاب : مدارج السالكين .

ثم تساءل كيف تكون الحاجة الى كتاب مع وجود الكتاب والسنة وقال : جوابه ان علمى الكلام والفقه يشاركان التصوف فى هذا السؤال وجوابه فكما شعر المسلمون بالحاجة الى تصنيف الكتب فى بيان اصول العقائد التى تستند الى الكتاب والسنة للتمييز بينها وبين البدع واثباتها بالدلالة النظرية الفنية التى كانت مألوفة بانتشار كتب الفلسفة ورد شبهات المخالفين على هذه العقائد ، كذلك شعروا بالحاجة الى تدوين الكتب لبيان طريقة التربية والتأدب بالآداب المنصوصة فيهما والمستنبطة فيهما .

ذكر ابن القيم فى كتابه أعلام الموقعين امثلة كثيرة لما خالف فيه المقلدون للمذاهب المشهورة النصوص الصحيحة الصريحة المحكمة اتباعا لأقوال شيوخهم واحتجوا لهذه الأقوال بالأقيسة أو بجعل المتشابه أصلا للحكم أو بأحاديث لا تصح ولا يحتج بها بحسب القواعد الأصولية » .

الفصل الرابع

السنة والشيعة

كان موضع الاختلاف والاتفاق بين أهل السنة وبين الشيعة من الموضوعات الهامة التى أولاها السيد رشيد رضا وقد كانت دعوته : دعوة حارة ودائمة الى ضرورة اتفاقهما لمقاومة التحديات الخارجية الخطيرة التى تواجه الاسلام ، وقد عرض السيد رشيد رضا لمفهوم الشيعة المعتدل ولفرق الشيعة الغالية وفند آراءها ووجهتها وخطرها على الاسلام وناقش كثيرا من دعاة الشيعة الاثنى عشر والزيدية وكذلك ناقش غيرهما وراجع كتبهم .

يقول السيد رشيد رضا : اننى شديد الحرص على هذا الاتفاق (بين السنة والشيعة) وقد جاهدت فى سبيله أكثر من ثلث قرن ولا أعرف أحدا من المسلمين أو أظن أنه أشد منى رغبة وحرصا على ذلك ، وقد ظهر لى باختيارى الطويل أن أكثر علماء الشيعة يأبون هذا الاتفاق أشد الاباء اذ يعتقدون أنه ينافى منافعهم الشخصية من مال وجاه ، وقدتكلمت فى هذا مع كثيرين فى مصر وسورية والهند والعراق ، ومما علمته بالخبر والخبر أن الشيعة أشد تعصبا وشقاقا لأهل السنة فيما عدا الهند من البلاد الجامعة بين الطائفتين وقد نشطوا فى هذا العهد لتاليف الكتب والرسائل فى الطعن على السنة والخلفاء الراشدين الذين فتحوا الأمصار ونشروا الاسلام فى الاقطار والطعن على حفاظ السنة وأئمتها وفى الأمة العربية بجملتها . وأشار الى الخلاف مع السيد محسن الأمين العاملى فى موقفه من الوهابية وكتب السيد تقى الدين بن تيميه وما كتبه علماء شيعة ايران فى الرد على كتاب منهاج السنة لابن تيميه وأشار كذلك الى أبحاث مجلة العرفان وقال ان من مزاعم صاحب مجلة العرفان الذى أقسم عليه يمينا مغلظة أنه لولا على بن أبى طالب لقتل المشركون رسول الله ولم تقم للاسلام قائمة فى الأرض .

ويدعو السيد رشـــيد رضا الى جواز الحـــوار مع الشيعة الامامية لأنهم مسلمون ، لا من البابية أو البهائيـــة المارقين وقاعدة المنـــار الذهبية هى أن نتعاون فيما يتفق عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما يختلف فيـــه فأهل السنة متفقون مـــع الشيعة على أركان الاســـلام الخمسة وعلى تحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وعلى محبة آل البيت عليهم السلام وتعظيمهم وعلى جميع المصالح الوطنية من سياسية واقتصادية واعلاء شأن الأمة العربية ولغتها واستقلال بلادها وهم يختلفون فى :

١ — مسألة الامامة وقد مضى وانقضى الزمن الذى كان فيه هذا الخـــلاف عمليـــا .

٢ — فى المفاضلة بين الخلفاء الراشدين .

٣ — فى عصمة الأئمة الاثنى عشر .

٤ — فى مسائل أخرى تتعلق بصفات الله تعالى .

فلكل من الفريقين أن يعتقد ما يطمئن اليـــه ويعمل بما يقوم عنـــده الدليل على ترجيحه أو تصديقه ممن يثق بهم من العلماء فيجب على محبى الاتفاق أن يقنعوهم بقاعدتنا ويؤلفوا جمعية أو حزبا من الطائفتين يعمـــل بمقتضاها . اننا لا نعرف أحدا من علماء أهل السنة المتقدمين ولا المعاصرين يطعن فى أحـــد من أئمة آل البيت عليهم السلام كما يطعن هؤلاء الروافض فى الصحابة الكرام ولاسيما أبى بكر وعمر وفى أئمة حفاظ السنة كالبخـــارى ومسلم وكذا الامام أحمد امام أئمة السنة ، وشيخ الاسلام ابن تيميه والحافظ الذهبى وابن حجر وغـــيرهم فانهم يعدونهم من النواصب لعـــدم موافقتهم لجهلة الروافض على ما يفترونه من الغلو فى مناقب آل البيت وقد أغنـــاهم الله عن اختلاق المناقب لهم لكثرة مناقبهم الصحيحة الثابتة بالنقل الصحيح ، انما النواصب فهم أولئك الخوارج الذين يبرءون من على كرم الله وجهـــه . (م ٢٩٠/٣١) .

٢ — وفى موضع آخر تحدث عن غلاة الشيعة ، فقال : انهم كانوا أشـــد النقم والدواهى التى اصيب بها الاســـلام فهم مبتدعو أكثر البـــدع الفاسدة وهم الذين صدعوا وحدته واضعفوا شوكته وشوهوا جماله وانتقضـــوا كماله وجعلوا توحيده وثنية وأخوته عـــداوة وبغضـــاء

وبثوا فيه فتنة عبادة اناس لأجل انسابهم وتقديس اناس لأحسابهم وجعل سعادة الدنيـا والدين بوساطتهم عند الله وتأثيرهم فى علمه وارادته على ضـد عقيدة القرآن من كون الخالق تبارك وتعـالى لا يطرأ على صفاته تأثير من المخلوق .

وجميـع الفرق التى ارتدت عن الاسـلام من القرون السابقة كانت من غلاة الشيعة فمنهم جميـع فرق الباطنية الذين كانوا يلبسون لبـاس المسلمين ويظهرون التلبيس به لتقبل دعايتهم لهدمه بالتأويل وكانت طائفة البكداشية المنتشرة فى بلاد الترك والأرناءوط منهم ودعاوى ملاحدة الكماليين الى اللادينية ولبس البرنيطة وابطال جميع النظم الاجماعية وتفريق جماعاتها كانوا هم أول من أجاب الدعوة بسرور وارتيـاح وخـرج بعض رؤسائهم بأنهم قد وصلوا الى غايتهم من طريقتهم وهى هدم تعاليم الاسلام والتفصى من أحكامه وسلطانه .

كذلك كان غلاة الشيعة مثارا لأفظع الكوارث التى هدت قوى الاسلام وضعضعت الخلافة العباسية ودمرت الحضارة العربية التى كانت زينـة الأرض وفخار أهلها وهى كارثة التتار كما كانوا أولياء وانصارا لأعـداء المسلمين أنهم أشد عداوة لهم وفتكا بهم لاسلامهم حتى الصليبيين . وجهت العداوة الشيعية الى أهل السنة خاصة وزال ملك العرب من بلاد الفرس وصار السلطان فيه للترك فاتصل ما كان من عـداوتهم للعرب الى الترك على اختلاف طوائفهم ، وكان قد انتشر مذهب السنة فى البلاد الايرانية كلها وضعف التشيع فيها ثم زاد وقوى بتعصب الترك العثمانيين فهم الذين كانوا سبب تأسيس دولة شيعية تقابلهم لحماية التشـيع وتضطهـد السنة ، حتى صارت السنة فى بلاد ايران أضعف من المجوسية وقد ثبت شيعة ايران مذهبهم فى عرب العراق حتى كاد يكون أكثر البـدو لهم يقيمون مأتم الامام الحسين ويلعنون أبا بكر وعمر عليهما أفضل الرضوان الى أن ظهرت جماعة الوهابية .

وقد أهمل أهل السنة فى القرون الأخيرة دعوة غير المسلمين الى الاسلام ودعوة المبتدعين الى السنة الى ان حرك دعاة النصرانية بعض مسلمى الهند الى ذلك فحملتهم الغيرة والمباراة على تجديد الدعوة الى الاسـلام وقلما

يفارون من الشيعة فيدعونهم الى السنة كما يدعون هم اهل السنة الى التشيع ، فالشيعة كلهم دعاة الى مذهبهم حتى النساء .

اما الوهابية فقد شرعوا فى احياء الاسلام على مذهب اهل السنة والجماعة .

ويقول وقد اصبح من الضرورى اليوم مواجهة اللادينيين وملاحدة المتفرنجين الذين يحاربون الدين بالشبهات الفلسفية والآراء العلمية والنظريات القانونية والاجتماعية وما يزعمون من معارضة للاصلاحات العصرية ، فنحن نعالج جمود المتفقهة ، ونكافح بدع أدعياء التصوف ونناضل شبهات الملاحدة .

ويقول : ان القرامطة والحشاشين والاسماعيلية والدروز والنصيرية والبكتاشية كلهم من الباطنية الذين توسلوا بالصوفية والروافضة ومذهبهما الى بث دعوتهم .

وفى بحث مستفيض عن الفكر الشيعى والرد عليه (م ٢٩/٤٢٤) وهو فى هذا البحث يتناول معظم القضايا التى اثارها الشيعة الغالية ومنها :

١ — مسألة نكاح المتعة .

٢ — وطعنهم فى القرآن بقولهم بل حذف منه الصحابة بعض الآيات وسورة الولاية — اى ولاية على — ويزعمون أن هناك نسخة أخرى خصه النبى بها .

٣ — عصمة الأئمة ولا عصمة عند السنة لأحد من البشر الا للأنبياء وهم يعصمون أئمة أهل البيت .

٤ — مسألة الامامة العظمى ويزعمون بثبوتها بالنص بحديث غدير / قم .

وقد كشف السيد رشيد رضا زيف هذه الادعاءات جميعها وقال ان الشيعة منهم المعتدلون ومنهم الباطنية الملاحدة أعداء الاسلام ودعوة المنار الى الاستقلال فى فهم الدين من الكتاب والسنة وترك التقليد وعصبية المذاهب فيه ، وان الاجتهاد الحقيقى هو الاستقلال باخذ الدين من منابعه ، والسنة المرادة هى أهل السنة والجماعة فى مقابلة أهل البدع كالروافض . قال على لابن عباس حين ارسله لمحاجة الخوارج : احملهم على السنة

فان القرآن ذو وجوه ، يعنى أنهم يتبادلونه بغـير المراد منه ، أما السنة بمعنى الســيرة العملية فلا يمكن تأويلهـا ، وفى رسائل السنة والشيعة (م ٢٩/٦٧١) يقول :

كان مبتدع أصول التشـيع يهودى اسـمه عبد الله بن سـبأ أظهر الاسلام خداعا للمسلمين ودعا الى الكلام فى على كرم الله وجهه لأجل تفريق هذه الأمة وافساد دينها ودنياها عليها كما فعـل أمثاله فى النصرانية قديما وحديثا وسبب ذلك ما كان من العداوة والقتال بين تفرقة اليهود وبين النبى وكانوا هم المعتدين وقد ابتدع اليهودى بدعة وأعانه عليها آخرون من أهل ملتـه .

وسرت بدع التشيع وانتشرت بين المسلمين بالدعاية السرية وكانت أقوى الأسباب فى العـداوة السياسة بين كبراء الصحابة بما كان يسمى بسوء التفاهم وحسن النية ومن يراجع واقعة الجمـل فى تاريخ ابن الأثير مثلا يرى مبلغ تأثير افساد السبئيين لذات البين وحيلولتهم بالمكر والفسـاد دون ما كان يقـع من الصلح وقـد طعنوا فى على وهم الدعاة الى القول بألوهيته ، ولولا أن خلف زنادقة الفرس هؤلاء السبئيين فى ادارة الدعاية بين المسلمين بالتشيع والغلو فى على وأولاده وأحفاده الطاهرين . أحفظ قلوبهم ما قام به الخليفتين وثل عرش كسرى والقضاء على ديانتهم المجوسية وليس لدى العجز من الثار بالقوة الحربيـة الا المكايد السرية فتولى مهرة من رجال الفرس أمرها ، فمنهم من تولى السعى لافساد دين العرب الذين انتصروا بتعاليمه وجمع لكلمتهم على الفرس وغيرهم ومنهم من تولى السعى للافســاد السياسى بتحويل الخلافـة الى العـلويين ، ثم صاروا يكيدون للعباسيين ما قام به البرامكة من جعل جميع ادارة ملك الرشيد فى أيديهم ، وكان أذكى من فطن لدسائس البرامكة والحاد الشيعة الباطنية ونبه على كثير من دقائقه العلامة القاضى أبو بكر بن العربى الأندلسى كما نوه عنـه فى رحلته وفى كتابه ((العواصم من القواصم) ويليه حكم المؤرخ ابن خلدون فقد أشار اليه فى مقدمة تاريخية وكان من تعليم غلاة الشيعة بدعة عصمة الأئمة الذين استخدموا أسماءهم وشهرتهم لترويج سياسيهم وبدعة تحريف القرآن والقصص منهم بغربتهم ثم البدع المتعلقة بالقائم المنتظر محمد المهدى

وكونه هو الذى يظهر القرآن التام الصحيح الذى يزعمون أن عليا كتبه بيده بعد وفاة النبى وفتحهم ابواب التأويلات لنصوصه بما لا يتفق مع شيء من قواعد اللغة . وقول بعضهم بالوهية بعض ائمة اهل البيت الموروثة عن الاسماعيلية وغير الموروثة عن غيرهم من الباطنية وكان من بين من أطلق عليهم لقب الشيعة اناس من أهل السنة والجماعة كانوا يرون أن عليا احق بالخلافة ولكن لم يقل احد من هؤلاء ببطلان خلافة الثلاثة ، فأهل السنة سلفهم وخلفهم يعتقدون أن معاوية كان باغيا على الامام الحق امير المؤمنين وانه قدر بدهائه وسياسته على تأليف قوة عظيمة له ولكن الجمهور تأولوا بانه كان مجتهدا أخطأ فى اجتهاده .

وقد انقسم الشيعة الذين يحافظون على أركان الاسلام الى (غلاة) اطلق عليهم اسم (الرافضة) والى معتدلين وهم الذين عرفوا باسم الزيدية لاتباعهم للامام زيد بن على الذى أنكر على الغلاة البراءة من أبى وعمر فرفضوه ومن الغريب أن يشتد أمر زنادقة الباطنية على كثير من مسلمى الشيعة حتى اهل العلم بينهم والزكاة ووصف التشيع كان يطلق كثيرا على من عرفوا بالمبالغة فى حب آل البيت النبوى ومدحهم وذم الظالمين لهم ، والشيعة الامامية قوم معتدلون قريبون من الزيدية ومنهم غلاة قريبون من الباطنية وهم الذين لقحوا ببعض تعاليمهم الالحادية كالقول بتحريف القرآن وكتمان بعض آياته وأغربها فى زعمهم سورة خاصة بأهل البيت يتناقلونها بينهم .

هؤلاء الامامية الاثنى عشرية يلقبون بالجعفرية وينقسم جمهورهم الى اصوليين واخباريين . والاستعداد فى الامامية للغلو وفرت الكثير من بينهم من زندقة الباطنية ، ظهرت فيهم وراجت بينهم ، بدعة البابية والبهائية الذين يقولون بالوهية البهاء ونسخ للدين الاسلامى وابطاله لجميع مذاهبه .

كان من قواعد الاسلام التى وضعها جمال الدين وجوب السعى لجمع كلمة المسلمين والتأليف بين فرقهم التى يحميها القرآن المجيد المعصوم ورسالة محمد والاستعانة على ذلك بالسياسة التى كانت السبب لهذا التفرق الذى البس بعد ذلك لباس الدين . وقد عنيت بالسعي للتأليف بين السنة والشيعة .

واشار الى أنه لما أعلن الشاه مظفر الدين حكومة الشورى فى ايران نوهنا بعمله فى المجلد السابع والثامن من المنار وفضلناه على سائر ملوك المسلمين اذ بينا أن حكومة الشورى هى حكومة القرآن وقد أظهر الله دولة السنة باستيلاء امامها عبدالعزيز آل سعود على مهد الاسلام وقيامه باحياء السنن وهدم مبانى البدع فأيدناه وسعينا للتأليف بين الوهابية والشيعة ، والتقارب بين مذهب الزيدية ومذهب السنة لقربه من السنة ؛ واشار الى سوء أمر مؤتمر النجف لشيعة العراق وامارات نشر الالحاد في ايران .

الفصل الخامس

مواجهة الأخطار والتحديات

فى نطاق العمل من اجل توسيد خطط حركة الاصلاح عند حد تصحيح المفاهيم فى مجال تفسير القرآن أو احياء مفهوم اهل السنة والجماعة أو الالتقاء بين السنة والشيعة مضى المنار الى الغاية فى مواجهة الأخطار والتحديات فى مختلف مجالاتها فى مختلف ميادينها .

وقد ركز فى هذا البابة على الاستشراق ودعاة التغريب من اتباعه فى البلاد الاسلامية كما عرض للبهائية والقاديانية وتناول ما قدمه طه حسين ولطفى السيد وجرجى زيدان وسلامة موسى ومحمود عزمي وكتاب دائرة المعارف الاسلامية .

وفى مصطلحات تلك الفترة كانوا يطلقون على دعاة التغريب عبارة (الملاحدة المتفرنجون) ولأنهم كانوا يدعون الى التجديد فقد أطلق عليهم السيد رشيد رضا « جمعية تجديد الالحاد والزندقة والاباحة المطلقة » (م ٣٨٧/٢٧) يقول : تصدى لزعامة التحديات واحتكار لقب المجددين أفراد هدامون غير بنائين يدعوى الأمة الى ترك هداية الدين والتجرد من لبوس الفضيلة والتشرف بلبس البرنيطة واباحة ملامسة النساء للرجال فى الرقص والسباحة والخلو والسياحة ومعاقرة الخمر وما يتبع ذلك من ضروب الفسق وينعون على المرأة أن يكون جل همها فى الحياة الاستعداد للقيام بما خلقها الله لأجله حق القيام وميزها به على الرجل . وهم يغرون الشباب بالالحاد ويزينون لهم اتباع الشهوات ليتخذوا منهم ومن النساء حقدا وحسبكم من سفه الرأى التسليم لهم بأن القديم قبيح يجب تركه واحتقاره لأنه قديم » .

ولما كانت دعوة التغريبيين هى التجديد فقد وصفه بأنه « تجديد الالحاد والاباحة والخلاعة والدعوة الى الرزيلة برسم الأدب المكشوف والتنفير من الفضيلة بدعوى الحرية وتحرير المرأة الشرقية وتقليد الحضارة الغربية وكلها تعابير قديمة لا جديدة كما يعلم المطلعون على تاريخ الثنيسة

ورومية وغيرها من عواصم الشعوب القديمة وهى التى اضعفت دولها وذهبت باستقلالها :

« واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » .

وقد حاول انتحال هذا اللقب الشريف (التجديد) زعنفة من الملاحدة فى هذا البلد العظيم ، ليس لأحد منهم امتياز فيه بالعلم والحكمة . وانما كل ما أوتوا أو حملوا من البضاعة فى هذا السوق ثرثرة فى الكلام وسفسطة فى الجدل وجراة على تلبيس الحق بالباطل وسفاهة فى الطعن على من يخالفهم أو يرد عليهم ولكن بالتهتك الصريح لا بالبرهان الصحيح ، فالصدق لا حرمة له عندهم وباطراء غلاة الترك الذين نبذوا الاسلام وراءهم جهودهم حتى فى هدم جميع أركان الحرية : هذا الذى يسطرونه من غلو ملاحدة الترك ليس تجديد منهم بل نجم فى الجيل الماضى منهم ، وكان من تراثه فى هذا الجيل زوال السلطة العثمانية التى كانت أعظم سلطة فى أوربا وآسيا وافريقية وهم يريدون أن يعتدى بها فى الحادها ونبذ هداية الدين ، وهم يقلدون ملاحدة أوربا فى عداوة رجال الدين تقليدا ، فهذا التقليد الأعمى هو الذى يحملهم على الصد عن الدين بالتشكيك فى عقائده والطعن فى أحكامه وآدابه والتحقير لرجاله . ودعوى ابطال العلم والفلسفة له واتهام علمائه بأنهم عقبة كؤود فى طريق ترقى الأمة ، وبعد ذلك ما تحدث به محمود عزمى فى الجامعة المصرية عن حقوق المراة وما تحدث به فخرى فرج ميخائيل فى الجامعة الأمريكية عن وجوب مساواة النساء بالرجال حتى فى الطلاق والميراث (م ٣١) .

٣ — ويقرر السيد رشيد رضا أن جمعية تجديد الالحاد لم تقنع بصد الشعب المصرى والشعوب العربية عن الدين وتشككها فيه تمهيدا لاباحة الأعراض وعبادة الشهوات وتقليد الافرنج مما يسهل التقليد فى مجال الفواحش والمنكرات بل نراهم يعتنون بتحقير آداب اللغة العربية ليجردوا الأمة من هذا الفضل المنطقى الذى يفضلها عن غيرها من الأمم ويثبت لها استقلالا خاصا بمقومات خاصة ومشخصات خاصة . وقد بدأ هؤلاء الزنادقة بهدم الدين هدما مطلقا لا هدم تجديد كما يدعون ، وهدم الشريعة الإسلامية

لاستبدال التشريع الأوربى به ، ثم أسرفوا فى تحقير آداب اللغة برغم تحديدها بآداب لغات سادتهم الافرنج .

وقد الف طه حسين كتيبا كذب فيه نقله اللغة العربية ورواتها فيما رووه من شعر العرب فى عصر الجاهلية وزعم انهم هم الذين وضعوا المعلقات السبع وامدوها على امرئ القيس وطرفه وغيره واستطرد الى تكذيب كتاب الله وتكذيب خاتم رسالة فى اسناد بناء بيته الحرام الى ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وفى غير ذلك ، وجعل ذلك من الأساطير التى لا يثبتها العلم ، ولم يقل احد ان وقائع التاريخ يتوقف ثبوتها على عدم نفى العلم لما رواه الرواة عنها ، فخبر بناء ابراهيم واسماعيل عليهما السلام لبيت الله تعالى تناقلته الأمم العربية بالتواتر المؤيد بتقاليد دين عملية ، ثم اثبته الوحى الالهى الثابت بالآيات القطعية ولا يوجد دليل علمى يعارضه فى معنى قوله أن العلم لا يثبته .

ويقول : لقد عمد دعاة الزندقة فى هدم مقومات هذه الأمة ومشخصاتها ووصفها بالقديمة وشبهتهم عليه أن كل قديم فهو قبيح يجب تركه ومن المعلوم أن حسن الأشياء وقيمها الحقيقية فى ذاتها وفائدتها ، لا فى قدمها ولا فى جدتها ، وما من قديم الا وكان جديدا ولا جديدا الا وسيكون قديما ، ومن لا قديم له لا جديد له بل لا وجود له . وانما الأمم بتاريخها ، ومن الغريب أننا نراهم يدعون الى انتحال ما هو أقدم مما يذمون من قديم أمتهم كالأدب الاغريقى والشعر الاغريقى الذى هو دون الأدب والشعر العربى الجاهلى والاسلامى » (م ٢٧/٣٨٧) .

٣ — ويتحدث عن دعاة التغريب هؤلاء فيقول : انما حجتهم على عامة المسلمين سوء حال كثير من المعممين وتذللهم للأمراء والحاكمين وذمهم لعصبية الدين وان لهؤلاء الملاحدة لقوة على غيرهم لا من انفسهم ولكنهم يعتزون بها وان منهم من يكن للمؤمنين مكايد لا يفطنون لها ، وان المؤمنين لقوة ذاتية ولكنهم غافلون عنها ، وانما بقاء الباطل فى غفلة الحق ، فاذا قذف عليه دفعه وان بقاء الباطل لالى زوال : ((**وما كيد الكافرين الا فى ضلال**)) .

ويقول : ولقد كان ملاحدة قطرنا هذا أجبن ملاحدة المتلمين واخوفهم من اظهار الكفر على كونهم أجراهم على الجهر بالفسق ثم تجرأ أفراد منهم

منذ سنين على التصريح به أو ببعض لوازمه في الجرائد بعد طول العهد على تصريح الكثيرين بذلك في المجالس ومنهم من الف كتبا أو رسائل في ذلك ثم بلغنا في العام الماضى أنهم الفوا جمعية لأجل التعاون على تشكيك الناس في الاسلام وجذبهم الى الالحاد والطعن في عقائد الدين وأحكامه ولا سيما الآداب والأحكام الخاصة بالنساء وانشأوا لهم صحيفة لدس الدسائس (يقصد مجلة السفور) وبث الوساوس وتوجيه العناية فيهما الى نابتة المدارس وبناء دعوتهم على قاعدة التشويه للقديم والصد عنه والتنويه بالجديد والترغيب فيه ، وان لهم لأنصارا في القصور والدواوين وفى المدارس واكبر معاهد الدين وقد استفادوا من تقييد حرية المطبوعات بسبب الحرب ، ما كفوا به أقلام من تصدى لاحباط بعض دسائسهم ، من أهل الحق ، وانهم ليجتلبون الباب المتحللين من الشبان والشابات بما ينمقون من زخرف الشبهات : ((**ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام واذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد**)) (م ١٩ المنار ١٩١٦) .

٤ — وفى أكثر من موضع يتحدث عن فتنة ملاحدة الترك في سوريا ومصر الذين ينوهون بكفر الترك الكماليين ويبثون في كل خطوة من خطواتهم جريدة السياسة ومراسلها عمر رضا الذى يمدها كل أسبوع بمقال ينوه فيها بأعمالهم ويحكى كفرهم وضلالهم (م ٢٢٧/٢٩) . ويقول : يود ملاحدة الكماليين من الترك لو يقتدى بهم مسلمو العرب في العراق وسوريا ومصر ومسلمو العجم في سائر الترك والتتار والأفغان والفرس ميتركون الاسلام مثلهم ، وان ملاحدة الترك هم الذين يبثون الدعوة الى تشويه الدولة العثمانية ويبثون الدعوة الى الالحاد ويحرضون الزنادقة والمرتابين على ترك الإسلام واحتقار تشريعه وآدابه ولبس قلانس الافرنج واثارة الغيرة القومية والعصبية الجنسية ، ويقول انه قلما ثبت لهؤلاء الملاحدة نسب صحيح في الشعب التركى الذى صار عريقا في الاسلام ، بل هم أوشاب منهم الروسى والرومى والبلقانى واليهودى الأصيل وقد سلطوا على افساد هذا الشعب بدعاية العصبية الجنسية وترجمتهم للقوانين الأوربية ولبسهم البرنيطة وان السواد الأعظم من الترك يمقتون هؤلاء الكماليين أشد مما كانوا يمقتون اخوانهم الاتجاديين » (م ٧١/٢٧) .

٥ ــ ويكشف السيد رشــيد رضــا عن موقف المتفرنجين من دعوة الاصــلاح الاســلامى فيقول : انهم فريقان : أحدهما من كان تفرنجهم أثر التعليم العصرى والتربية الافرنجية ، التى حبب اليهم ما لقنوه وتربوا عليه من مقومات القــوم ومشخصاتهم قبل ان يلتفتوا ما لأمتهم من ذلك ويتربوا عليه . (ثانيهما) : من يتفرنجون تقليدا للفريق الأول من قومهم الحــكام والأغنياء تقربا اليهم ، وقد فشى هذا التفرنج فى المسلمين بالمدارس الافرنجية والمدارس الوطنية الرسمية وغــير الرسمية التى انشئت لتقليــد الافرنج فى تربيتهم وتعليمهم بغير بصيرة ولا علم بموضـــع الحاجة ، على حين كان العلم بمقومات الأمة الاسلامية ومشخصاتها قد قل وضعف بضعفها السياسى والاجتماعى وما بقى منه أمسى مشوبا بما ليس فيه من البــدع والدخيل ، وفى أثناء هوى الأمة الاسلامية فى هذه الهاوية من الحال منــذ عدة قرون كان الافرنج يصعدون فى مراقى العلم الاستقلالى والتربية الاجتماعية على علم ونظام يهتدون فيه لسنن : الله فى خلق الانسان والاكوان .

وهناك فرق بين المتفرنج المقلد والمصلح المستقل ، فالمصلحون يدعون الى الاعتبار بما أوتى الافرنج من العلوم والفنون ، وما أتقنوا من الأعمال والبحث فى أسباب ذلك وطرقه والوصول الى ما تحتاج اليــه أمتهم منه . ومن المتفرنجين من يدعو المســلمين الى هــدم أصــول الشريعة كلهــا والاستعاضة عنهــا بقوانين يضــعها حــكام كل قطر مستقل بآرائهم ، وان اســتمدوا أصــوله وفروعه من قوانين أمم أخرى مخالفــة للمسلمين فى عقائدهم وآدابهم وعاداتهم ومصالحهم ، ومنهم من يلبس على المسلمين بما يدعوهم اليه من افســاد ذمتهم وهــدم شرعهم الذى هو أعظم مقومات أمتهم الرابطة بين شعوبهم بما يلبس دعوته من ثوب الاصلاح . ان بعضهم يتكلم باسم الاسلام ويدعى امكان الجمع بينه وبين نبذ أصوله كلها استهجانا لها بزعم أنها وضعت لقوم لم يقفوا الى الكمال الانسانى الذى ارتقى اليــه هؤلاء المتفرنجون . ومن أهم أصوله اباحة السفاح بالبغاء أو اتخاذ الأخدان بكل عذراء تجاوزت الأربعة عشر ، جهر بهذا صاحب الخطــة أو الرسالة التى ترد عليها فى هذه المقالات (أحمد صفوت) .

٦ ــ ويشير السيد رشيد رضــا الى أن اللورد كرومر فى كتابه مصر الحديثة بين من فضائح المتفرنجين المصريين ما فيه أكبر عبرة لمن يعتبر منا

وقد أشار الى مذهب المصلحين الاسلاميين فيما يستحدثون فقههم من شئون الحضارة بما قاله فى أحد تقاريره عن مصر عن ذكر وفاة الأستاذ الامام وهو أن الشيخ وحزبه المعتدل يشترطون فى ذلك المحافظة على أصول الاسلام خلافا لمن لا يبالون فى هذا السبيل بالدين ولا ما دونه من مقومات الأمة ، وأشار الى غلاة المتفرنجين المارقين من الذين يحاربون أصوله وفروعه وينفثون سموم الكفر والفسق فى أهله ، وشذوذ الغلاة فى وجهة بعضهم فى انكار ما عليه الامة من العقائد والعادات ، وقال صاحب المنار : ان من المتفرنجين من يدعو المسلمين الى هدم أصول الشريعة كلها والاستعاضة عنها بقوانين يعضها حكام كل قطر بآرائهم وان استمدوا أصولها وفروعها من قوانين الأمم الأخرى المخالفين للمسلمين فى عقائدهم وآدابهم وعاداتهم ومصالحهم وان من هؤلاء المتفرنجين من يلبس على المسلمين بما يدعوهم اليه من افساد دينهم وهدم شريعتهم التى هى اعظم مقومات امتهم الرابطة بين شعوبهم بما يلبس دعوته من دعاوى الاصلاح (م ١٩١٧/٢٠) .

٧ — ويتناول السيد رشيد رضا هذا الموضوع فى موضع آخر فيتحدث عن دورهم فى الصحافة ويقول انهم ابتدعوا دعاية شرا من دعاية المبشرين وهى دعوة جمهور الأمة الى التعطيل والالحاد وما يترتب عليهما من الزندقة واباحة الأعراض والأصول وانتهاك حرمات الفضائل والآداب وحل جميع الروابط التى تتكون منها الأمة من مقومات ومشخصات ، لا يراعى فى شىء من اقتراف هذه المفاسد الا اتقاء عقاب الحكومة على مخالفة قوانينها . وحجتهم على هذا الافساد كله ان كل ما كانت به الأمة أمة فى الماضى قد صار قديما باليا ضارا يجب أن يستبدل به غيره من الجديد نقتبس من النظريات والآداب والتقاليد والأزياء الأوربية . وقال : اشتد عصف هذه الرياح المتناوحة التى تهب عليهم مما ينشر فى الصحف الضارة من المصنفات المفسدة وقلما توجد فى البلاد جريدة أو مجلة تتجنب ما يضر الجمهور فى عقائدهم وآدابهم وتتحرى ما يعتقد أنه النافع . ويقول : توجد جرائد يومية وأسبوعية ومجلات تتوخى وتتحرى وتتعمد الدعاية الى هذا الهدم والتجديد على تفاوت بينها فى التصريح والتعريض أو التفرنج وأشدها جريدة « السياسة » التي يكفلها الحزب الحر الدستورى ومعها فى ذلك بل أشد « مجلة الهلال »

المشاركة لها فى اشهر محرريها التى تدعى انها لسان حال الشبان العصريين ففى كل جزء من اجزائها عدة مقالات لدعاة تجديد الالحاد والزندقة والاباحة المطلقة وقلما تنشر لغيرهم شيئا يخالفه ، وحسبك أن (سلامة موسى) هو الركن الثابت المتين فى تحريرها وهو لا يكتفى بما ينشر له من المقالات ، فى ذلك ، بل يطبع له فى كل عام كتابا فى تأييد هذه الدعاية الهادمة للأمة المصرية ولكل أمة شرقية تعتز بفلسفة المادية الافسادية .

وقد زاد هذا الرجل على اخوانه بانه يدعو الى خلع الجنسية والوطنية والانضمام الى دولة أجنبية ، ثم انهـا تنشر مجلات اسبوعية مصورة (أى دار الهلال) تجرىء قراءها على نبذ كل عفة وصيانة وفضيلة سمعت عنها ، ثم ظهرت منذ سنين مجلة أخرى اشد جراة على هدم الدين والجهر بالطعن فيه بسخافات من النظريات الفلسفية العصرية ظهر غرور صاحبها فى دعوى العلم والفلسفة ، وفى معرفة الدين ايضا ، كما يترجمون بعض الكتب والصحف الافرنجية ويأخذونها قضية مسلمة (لعله يقصد مجلة العصور لاسماعيل مظهر) ، وقد اقتفت أثر هذه الصحف مجلة جديدة انشئت فى حلب فأنكر عليها بعض الناس ما نشرته من حكاية طعن فى الاسلام لأن اكثرهم لا يزال غافلا عما تعنيه بالجديد والحديث والاستغناء عن القديم وان المراد ترك الاسلام من أساسه (مجلة الحديث لصاحبها سامى الكيالى) ولولا جمود مقلدة الفقهاء الذين احتكروا التعليم الدينى فى بلاد الاسلام منذ قرون ولولا بدع أهل الطرق الصوفية وخرافاتهم وهم الذين كان سلفهم يعنون بالتربية الدينية ليكون الدين وجدانا عند صاحبه لا يقبل البحث والجدل فانقلبت بعدهم الى افساد لا يقبل الاصلاح لولا هؤلاء وأولئك لما كان لهؤلاء المفسدين ولا المبشرين أدنى تأثير فى اغواء المسلمين . ويرى السيد رشيد رضا اشراك هؤلاء مع الملاحدة فى هدم الاسلام من حيث لا يشعرون : « فهم يفتنون جميع المتعلمين على الطريقة العصرية الاستقلالية عن الاسلام من جانب ويقطعون الطريق على حكماء الدين الراسخين أن ينشروا حقيقته التى لا يمكن المراء فيها من جانب ثان وأن يدحضوا شبهات الماديين والمبشرين عليه من الطرق العلمية التى لا يمكن اقناعهم أو الزامهم الحجج بدونها من جانب ثالث ، وعنده أن رجال الدين قد انقطعوا فى عصورهم المتأخرة عن الكتاب والسنة وعن مهمتها على الوجه الصحيح

وهما بلا شك مصدر الحياة والقوة وعلها مدار السعادة التامة ، ومن ذلك قول الشيخ على سرور الزنكلونى : ان سبب التأخر الحقيقى هو عدم فهم الكتاب والسنة على الوجــه الصحيح لأن فهمهما كذلك يولد الايمان بهمــا ايمانا قويا والايمان بهما كذلك لا محالة يولد السعادة والقوة والعمل الصالح رغم الصوارف التى ازدحم بها الوجود فالوجود ملوث بمثل هذه الصوارف منذ بدء الخليقة والصراع قديم بين الخــير والشر وبين النــور والظلمة . (م ١١٧/٢٩) .

— ٢ —

وفى ضوء هذه الوجهة مضى السيد رشيد رضا فى نقد الفرق الهدامة والنحل الباطنية وكان الاستشراق فى مقدمة هذه الموسعات وقد بدأ الشيخ محمد عبده هذه الخطة برده على هانوتو ، وتزييف المفاهيم التى قدمهــا (فرح أنطون) صاحب مجــلة الجامعــة وقد انطلقت دعاوى المستشرقين من الخطة التى بدأها اللورد كرومر فى تهجمه على الشريعــة الاسلامية ، ووصفها بأنها صحراوية وقد رد عليه فريد وجدى ومصطفى الغلايينى وتناول جانبا من الرد عليها السيد رشيد رضا بعد صدور كتاب (مصر الحديثة) لكرومر الذى أعاد نشر هذه الشبهات .

وقد مضى هانوتو على نفس المخطط حين قال بأن الدين الاســلامى يحول دون تقدم المسلمين .

ودخلت جريدة المؤيد وجريدة اللواء الميدان وترجم أحمد فتحى زغلول كتاب (الاسلام خواطر وســوانح) من تأليف الكونت هنرى دى كاسترى وهو من أحسن الأوربيين رايا فى الاسلام واحسنهم دفاعا عنه ، ليكون عبرة فى بيان حقيقة الاسلام وكان رد الشيخ محمد عبده عليه مقحما وقد نشر الرد فى المؤيد وفى المنار بأمضاء رمزى وقد خطأ الذين كتبوا دعوته الى الفصــل بين السلطة الدينية والسياسية وقال السيد رشيد رضــا انهــا من أهم المسائل التى تطلبها أوربا من المسلمين ، وان الجرائد التى تدعو الشرقيين من المسلمين الى مدنية أوربا تجتهد فى اقامة الحجة على أن هــذا النجاح موقوف على هــذا الفصل ، وقد كتب المنار فى هــذا تحت عنوان « الدين والدولة ، والخلافة والسلطة » (م ٣٣٧/٣) وما بعدها و (م ٥٧٧/٥) .

وتابع السيد رشيد رضا كل دعاوى الاستشراق ورد عليها وفى مقدمتها كتاب مرجليوث عن النبى صلى الله عليه وسلم قال السيد رشيد رضا (م ٥٢٣/٩) :

قال فى مقدمته : انه يعد النبى محمدا من أعظم الرجال وانه حل معضلة سياسية هى تكوين دولة عظيمة فى قبائل العرب وليس من غرضه الدفاع عنه ولا ادانته وليس من غرضه تفضيل الدين الاسلامى على غيره ولا تنقيحه والطعن فيه . يقول : وترى فيما ينتقده على الدكتور مرجليوث أن السبب فى اكثر غلطه وخطأه فى هذه السيرة هو التحكم فى الاستنباط والقياس الجرىء ، وبيان اسباب الحوادث كما هو شأنهم فى أخذ تاريخ الأقدمين من الآثار المكتشفة واللغات المنسية وأقله عدم فهم اللغة » وقد أورد له مجموعة من الأخطاء ، منها قوله : كيف أتته فكرة النبوة لمحمد ذلك الرجل العربى دون سواه ، وقوله : ان النبى كان يعتقد فى نفسه انه كأحد انبياء اسرائيل ، يقول ان هذا يتناقى مع ما زعمه فى غير موضع من أنه قام بهذا الأمر عن فكر وتدبير وانه كان يتعلم ويستفيد ، ويدعى أنه ما استفاده من الناس وحى من الله » وكشف السيد رشيد رضا أن مرجليوث فى حقيقته حاقد على الاسلام حقد اليهود الدفين وذلك فى مغالطاته وشبهاته ، كذلك اشار الى أخطاء لامنس فى دعواه عن عرب الأندلس بأنه لم يكن بين المسلمين الذين قاموا بفتح الأندلس الا القليل من العنصر العربى الخالص ، وذلك ليذهب الى القول بأن أكثريتهم من البربر والافريقيين ، يقول : يريد لامنس الشيوعى انكار حقيقة العرب ومدنيتهم الأندلسية والاسلامية ليتخذها حجة على عدم أهليتهم للتمدين والتثقيف والسبق فى ميدان الحضارة التى تأتى بعكس ما يقرره المتحاملون من ان الاسلام لم يوفق حتى الآن الى تأسيس مدنية راقية .

واشار الى المستشرق فامبرى اليهودى الذى خدع المسلمين فقد كان أستاذا خصوصيا للسلطان عبد الحميد واقام فى قصر النجم (يلدز) زمنا طويلا وكان يطرى سياسة السلطان عبد الحميد فلما عزل السلطان غير رأيه وكتب مقالات فى مجلة القرن التاسع عشر على اثر خلع عبد الحميد بسط فيها آراءه فى ذلك الخلع وفى رجال الدولة العثمانية كافة وتوسع

فى نقد عادات الاتراك وسلاطينهم وطعن بهم وبوزرائهم اقبح طعن ونسب الى السلطان عبد الحميد الجهل والتعصب وفساد الأخلاق وسوء التربية وكشف عن ما أسماه رياء هذا المستشرف وخداعه الرأى العام وطعنه فى النهضة الآسيوية والحركة الاسلامية وكان سابقا يؤيد المسلمين ويتظاهر بمصادقة عموم الآسيويين قائلا بوجوب مساعدة زعمائهم المفكرين ورجالهم الناهضين فما بال يكتب الآن : « اقطعوا البرعم قبل أن يزهر ويثمر » (م ٦٢٧/١٦) .

وفى السنوات الأخيرة للمنار اتسع نطاق البحث فى كتابات المستشرقين فكتب الامير شكيب ارسلان فى المنار (م ٤٣٥/٣٣) فصلا ضافيا اشار فيه الى هدف المستشرقين الأساسى حيث يقول : انهم ما استشرقوا ولا خطوا خطوة فى هذا السبيل الا لأجل أن يتعقبوا عورات الاسلام ومثالبه ويخوضوا فى أعراض المسلمين ويبحثوا عن زلاتهم ليجسموها ويعرضونها لانظار الأوربيين بالشكل المستتبع الذى تنفر منه طباعهم وتثور حفائظهم وذلك حتى يزدادوا بغضا للاسلام وبعدا عنه ، هذه الفئة من حيث أن استشراقها هو العمل لخدمة المسيحية وتشويه الاسلام بما أمكن لا تقتصر على تجسيم العورات اذا وقعت عليها بل تبلغ بها سوء القصد ان تقلب الحقائق قلبا وان ترتكب التزوير عمدا وأن تأخذ بالحوادث الجزئية فتعممها فتجعل منها قواعد وكل شىء تعمله هذه الفئة على قاعدة أن الغاية تبرر الواسطة فالاسلام بزعمها هو شر محض فينبغى أن تنقذ الناس منه بالحق وبالباطل . ومن جملتها لامانس الشيوعى البلجيكى ومارتن هاريمان الألمانى ومرجليوث الانجليزى وفنسنك الذى ذكر عنه الدكتور حسين الهراوى انه طعن فى الرسول عليه الصلاة والسلام ، ومن المستشرقين فئة اخرى غرضهم أيضا أن يخدموا المدنية الأوربية والثقافة المسيحية وأن يبثوها بما أمكنهم بين المسلمين ولكنهم لا يستبيحون ما تستبيحه الفئة الأولى من الكذب والبهتان وقلب الحقائق واللواذ بكل غرض للتمثيل بالاسلام وأهله، هؤلاء يلتزمون فى مباحثهم الطريقة العلمية ولكنهم لا يتحرجون عند أول فرصة تلوح لهم أن يهملوها ويحملوا على الاسلام باسم العلم بزعمهم وأن يجسموا الهنات وأن يعمموا الجزئيات فى الأحايين وأن يتجاهلوا

ما عندهم من الطاقات الكبرى التى لا تقاس اليها معايب الاسـلام فى كثير ولا قليـل .

قال مهندس سويسرى لاحسان الجابرى : لقـد نشأنا من الصـغر على بغض الاسـلام ، وربانا آباؤنا ومعلمونا على مبادىء من العـداوة للاسلام ، نحن الآن نعلم بطلانها لكننا بحكم الاستمرار لا نقدر أن نتخلص منهـا » (م ٣٣/٤٣٥) .

وكتب العلامة محمد تقى الدين الهـلالى مقالا عن اخطاء المستشرقين وخطاياهم (م ٣٤/٥٣٥) قال : ان لهم اخطـاء ولهم خطيئـات ايضـا ، أما أخطـاءهم فمنشؤها القصـور فأكثر المستشرقين صحفيون فى العـلوم الشرقية (الصحفى من يأخـذ العـلوم من الصحف بدون تلق من العلماء ، والمصحفى من يتلقى القرآن من المصحف لا عن القراء والحفاظ) ولنضرب بذلك مثـلا حول جورج سايل أول من ترجم القرآن الى الانجليزية وحدث فى الجزء الأول من القرآن أربعين غلطة وله ترجمـة رسائل أبى العـلاء مشحونة بالأخطـاء ، اما الخطيئات فيرتكبها ثلاثة اخـر من المستشرقين (الضرب الأول) : القسيسـون المتعصبون كجورج سايل ومرجليـوث وزويمر ومن على شاكلتهم الحامل عليها شدة بغضهم للاسلام وللشرق كله من اجل الاسلام . (الضرب الثانى) : السياسيون المستعمرون وغرضهم معروف . (الضرب الثالث) : الأدباء الذين لا يدفعون عن الكذب وزخرف القول ليكتسبوا بذلك المـال الوافر والشهرة الواسعة واعجاب القـراء الأوربيين الذين يصدقون كل ما يفترعون عن الشرق والشرقيين ، وهنـاك قسم رابع من المستشرقين بريئون من تعمد الخطيئات منهم توماس كارليل ، وجيبون ، وكوتى .

— ٣ —

ويواجه السيد رشيد رضا أخطاء كرومر فى كتابه (مصر الحديثـة) فيقول : انه فضـل القبط على المسلمين تفضيلا من حيث دينهم وما فيـه من المرونة التى تساعدهم على مجاراة المدنية مما لا يساعد الاسـلام اهله على زعمه رفع نفسـه الى مستوى الحكم فى الاسـلام من حيث هو دين ومن حيث هو شريعة ونظام اجتماعى محكم من الحيثية الأولى له وعليـه

ومن الحيثية الأولى عليه لا له ، وانتقل من الحكم عليه الى الحكم على اهله عامة حتى فى مستقبل أمرهم ، وهو كتاب كتب بمداد الحقد والحنق وقلم الحفيظة والانتقام من المصريين بما فوقوا اليه من سهام وصوبوا اليه من اسنة اقلامهم فى وقت مفارقته لديارهم ، فهو يريد أن يستل من نفوس احرار قومه فكرة توقيت الاحتلال والخروج من مصر فى يوم من الأيام ويقنعهم ويقنع اوربا معهم بأنه لا ضمان لحفظ مصالح الأوربيين فى مصر بل ولا حفظ مصالح المصريين الا ببقاء الانجليز فى مصر ، لأن المصرى شديد التمسك بدينه الذى لا يتفق مع المدنية فان هو تركه واتبع المدنية كما يحب الأوربيون ويبغون كانت مدنيته تقليدية لا حقيقية ، وكان ذلك شرا على المسلم المتدين واشد عداوة للأوربى وللمسيحى ولو غير أوربى .

ويرى أن تصريحه بعدم استحسان ضم مصر الى أملاك انجلترا وما أظهره من الميل الى اعدادهم للاستقلال هو من التمويه وذر الرماد فى العيون والهاء المصريين بالأمانى والأحلام . (م ١١ ابريل ١٩٠٨) .

— ٤ —

ويواجه السيد رشيد رضا كتاب مصر من دعاة التغريب فيكشف زيفهم ، فهو يدحض مزاعم فرح انطون عن الاسلام التى أوردها فى دراسته عن ابن رشد فيقول : انه الخطأ اعتماد فلسفة ابن رشد على تلخيص مثل صاحب الجامعة من كلام رينان أو من الكتب الغربية ، فان صاحب الجامعة شاب لم يتعلم الا مبادىء علوم المدارس فى مدرسة كفتين فهو لا يفهم هذه الفلسفة ولا هو حسن القصد فى بيان ما يفهم كما علم وتعلم مما ينشره فان دين الاسلام مبنى على العقل كما صرح القرآن الكريم ، وقد زعم صاحب الجامعة أن الامام الغزالى وابن رشد يقولان بخلاف ذلك أى بخلاف ما يتفق به كتاب الله ، حاش لله » .

ويعارض فكرة الشيخ مصطفى عبد الرازق فى محاضرته التى القاها فى احتفال الجامعة المصرية بذكرى « رينان » المفكر الفرنسى الذى هاجم الاسلام يقول السيد رشيد رضا (م ٢٤) : لقد طعن رينان فى الاسلام بأنه عدو العلم والعقل وطعن فى العرب بأن عقولهم قاصرة بطبعها غير مستعدة لفهم الفلسفة وما وراء الطبيعة وما ذكر فى المحاضرة من تلخيص

كلامه يدل على أنه لم يكن يعرف من أصول الاسلام شيئا الا بعض كلام دعاة النصرانية فى الجزائر ورجال السياسة الفرنسية ، وقال انه اخطأ فى تصوير العقائد المنسوبة الى الاسلام وانه فضل البربر على العرب فى العلم والمدنية بدعوى أن أصلهم من برابرة الشمال الأوربيين لا من همج الساميين ، وقال : ان ثناء رينان على جمال الدين وقومه الافغان يرجع الى أنهم من الأرومة الآرية ذات العقل الراقى المستعد للفلسفة العليا التى تستعصى على عقول العرب » .

كذلك فقد عارض دعوى محمود عزمى فيما أسماه : « مدنية القوانين » (مجلد ٤٣٥/٢٣) حين دعا الى وضع قانون مدنى للأحوال الشخصية يسمح للمسيحى بأن يتزوج بالمسلمة ، وقال السيد رشيد رضا : ساء بعض المتفرنجين أن دين الدولة المصرية الرسمى « الاسلام » وساءت ملاحدة المتفرنجين المقلدين لاعداء الأديان من الافرنج فى الدعوة الى التقصى من روابط الدين ولا سيما السياسية والاجتماعية منها فقام منهم من يقترح من الاصلاح لمصر فى عهد الاستقلال والدستور أن توحد قوانينها فتجعلها كلها مدنية لوضع قانونى مدنى للأحوال الشخصية من زواج وطلاق وغير ذلك ويعنون بالمدنى ما يقابل الدينى وأصبح المقترح على رأيه بأن الشريعة الاسلامية غير عادلة لأنها تبيح للمسلم أن يتزوج يهودية أو نصرانية ولا يبيح أن يتزوج غير المسلم امرأة مسلمة » .

وقد رد عليه كثيرون فى جريدة الأهرام (مايو ١٩٢٢) ومن ذلك السعى لالغاء المحاكم الشرعية (م ٤٣٥/٢٣ ، ٥٣٩ ، ٦٢٥) من سعى المتفرنجين والافرنج لابطال الشريعة ، وقال السيد رشيد : ان النص القطعى فى القرآن انما ورد بالنهى عن نكاح المشركات ونكاح المشركين ويحل نكاح المحصنات من أهل الكتاب ولم يصرح بتحريم انكاحهم .

كما وقف السيد رشيد رضا وقفة حاسمة بالنسبة لكتاب الاسلام وأصول الحكم للشيخ على عبد الرازق وعرض لفساد رأيه ولحكم هيئة العلماء عليه وقال انه جعل الشريعة الاسلامية شريعة روحية محضة لا علاقة لها بالحكم والتنفيذ فى أمور الدنيا وان الدين لا يمنع من أن جهاد النبى كان فى سبيل الملك لا فى سبيل الدين ولا لابلاغ الدعوة الى العالمين

وان نظـــام الملك فى عصر النبى كان موضـــع غموض وابهـــام واضطراب وكان موجبا للحيرة وان مهمة النبى صلى الله عليه وسلم كانت بلاغا للشريعة مجردا عن الحكم والتنفيذ وانكر اجماع الصحابة على وجوب نصب الامام وعلى انه لابد للأمة ممن يقوم بأمرها فى الدين والدنيا وانكار أن القضـــاء وظيفـــة شرعية وان حكومة ابى بكر والخلفاء الراشدين من بعـــده كانت لا دينيـــة » .

وهاجم ســـلامة موسى فى مطالع حيـــاته وفى أول مؤلفاته (مقدمة السبرمان) مجلد ١٣ ، وقال اننا راينا المؤلف يتحمس لآراء نيتشى وبليك وشوبنهور وغيرهم من اصحاب الفلسفة الشاردة التى روحها وملاكها حمل الناس على التفلت من جميع القيود الدينية والأدبية وتقوية الحياة الحيوانية فهم يجب ان يكونوا متسلطين جبابرة اقوياء بدل أن يكونوا عادلين مهذبين رحماء وكان لمثل هذا المؤلف الجديد أن يريد أهل الشرق على التمسك بتلك المذاهب الشاذة ولو انه رأى لها اثرا قائما بتلك البلاد التى نبت فيها اولئك الفلاسفة أنفسهم ولا يمنع أن يكون لكل ناعق متبعون فان الشذوذ واختلاف المناحى كان ولا يزال داب البشر ولكن المتفرنجين منا يريدون تعميم ما يرون لهم فى كل بقعة من بلاد الشرق ناصبين أنفسهم من امتهم منصب المصلحين النافعين وانما هم من المقلدين المســـاكين الذين لم تقو عقولهم على تمييز الغث من السمين (م ١٣) .

وعرض لكتاب اميل درمنخيم (حياة محمد) وترجمة الدكتور محمـــد حســـين هيـــكل له ، وقال ان درمنخيم من أقرب المستشرقين الى الصحة فى الرواية لأنه اعتمـــد على المصـــادر الاسلامية واوسعها عنده ســـيرة ابن هشام وأجدرهم بحسن النية فيما أخطأ فيه فان حاول الجمع بين اعتقاده واعتقاد المسلمين والتقريب بينهما بقدر ما تعطيه بلاغته الفرنسية فى مدح النبى صلى الله عليه وســـلم وتصوير فضائله واشـــار الى خطأ درمنخيم فى القول بالوحى النفسى للنبى صلى الله عليه وسلم « ويعنون به انه نابع من نفس النبى وصادر من استعداد فيه وهو ما يعبرون عنه فى هذا العهد بالعقل الباطن ونعنى به الروح الغيبى المعبر عنه بقوله تعالى : ((**ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربى وما اوتيتم من العلم الا قليلا**)) .

ويقول ان ما نقله هيكل عن درمنخيم من الكلام عن بدء الوحى المحمدى ومقدماته قد جمع فيه الشبهات التى يمكن الاحتجاج بهما على أن هذا الوحى « نفسى » .

وقال انه رد عليه فى كتابه (الوحى المحمدى) وأثبت ان وحى القرآن من عالم الغيب بما بسطه من كليات مقاصد القرآن العشر واستحالة كونها من عقل محمد واستعداده واستحالة أن يكون ما دونها من العلم والفهم والعمل مما وقع أو يقع مثله لأحد من البشر فى سن الكهولة . ويقول : لما قرأت مقدمة (بدء الوحى) عجبت لمؤلفه كيف اقر درمنجم مؤلف الأصل على مزاعمه فيها بعد تفنيدى لها فى كتاب الوحى المحمدى وقد اطلع عليه وذكره فى الكتب التى استمد من مباحثهما فى وضعه فان أدرى أغفل عن تفنيدى لشبهاتها العشر واثبات الوحى الالهى بكليات ومقاصد القرآن العشر أم ماذا ، ؟ فهذه المسألة أنكر المنكرات فى أصل الكتاب ولم يفطن لها الجمهور فيه ولا لفروعها المنكرة وهى كثيرة وقد أنكروا ما هو دونها » .

ونشر السيد رشيد رضا بحثا للأستاذ محمد محمد زهران فى نقد كتاب « حياة محمد » للدكتور هيكل فقال ان الناس استبشروا به عندما بدأ يكتب عن السيرة ، ولكن بدا لهم ما لم يكونوا يحتسبون من تشويهه للحقائق القطعية والاغراق فى الباس الباطل ثوب الحق وصوغ الخيالات فى قالب الحقائق واقرار ما ليس بثابت عن أئمة الدين وانكار ما هو معلوم للخاصة أو جلها الا وهو انكار جميع المعجزات المحمدية سوى القرآن ولو أنه اقتصر على مجرد هذا الانكار لتأولنا وقلنا لعله أراد أن القرآن هو المعجزة العظمى التى تتضاءل فى جنبها سائر المعجزات ولكن قد علل الانكار المذكور بان تلك المعجزات بأسرها مخالفة لسنن الله عز شأنه وأن تجويز شىء منا مناف لما نطق به القرآن من أن تلك السنن لا تتبدل وزعم أن أحاديث المعجزات كلها موضوعة اما لمحاولة أن يجعل له صلى الله عليه وسلم من الآيات مثل ما لموسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام واما لتشكيك من يؤمنون بقوله تعالى : **((ولن تجد لسنة الله تبديلا))** فهذا نص لا يحتمل تأويلا فى أنه لا يدين بشى من المعجزات الكونية فانه قرر أن وقوع شىء منها تبديل للسنن الالهية وانه محال ، ويا ليت شعرى ماذا يصنع بالآى القرآنية والعامة من المسلمين . وقال انه هناك أمر واحد أساسى لجميع أخطائه المتضمنة لمعجزات الانبياء من نحو انقلاب العصا حية وفلق البحر لموسى

وابراء الأكمه والأبرص واحياء الموتى لعيسى عليه الصلاة والسلام .

واشار الباحث الى ان الدكتور هيكل انكر :

١ — قصة ابراهيم والكعبة .

٢ — أسطورة شق الصدر .

٣ — بدء الوحى .

٤ — ما نسبه الى السيدة خديجة .

٥ — ما قال فى الاسراء .

٦ — ما عقب به على معجزة الغار .

٧ — تلبيسه فى قصة سراقة .

٨ — دعواه بأن النبى صلى الله عليه وسلم اقر المنكر .

٩ — عزوه الى عائشة ما لا يليق .

وقال السيد رشيد رضا معلقا على ذلك بقوله : ان أكبر خطأ رأيته تبعا لأصله الفرنسى من شبهات الوحى النفسى يخفى على أكثر قرائه أو على من لم تتمكن هذه الشبهات من نفسه من قبل قراءته . فان درمنجم نفسه ينقل رواية رؤية النبى صلى الله عليه وسلم لملك الوحى والتلقى عنه .

والدكتور هيكل زاد هذه المسألة بسطا وان أخطأ كل منهما فيما ذكرا من مقدماتهما باجتهادهما وما اعتمد عليه فى رواياتها الباطلة لقلة اطلاعهما وعدم اضطلاعهما بالتمييز بين الراجح والمرجوح فيهما وأن ابن هشام واستاذه ابن اسحق أخذا بالرواية المرسلة فى حديث بدء الوحى وأن قوله أنها رؤيا منامية مخالفا رواية الصحيحين المسندة المرفوعة الى النبى صلى الله عليه وسلم » .

ثم هون السيد رشيد رضا من المسائل الأخرى .

كذلك فقد اهتم السيد رشيد رضا بصدور دائرة المعارف الاسلامية المترجمة (م ٣٤/٣٨٦) فقال ان هذا المعجم باللغة العربية كما كتبه واضعوه بدون تعليق على ما فيه من الاغلاط والمطاعن ومخالفة الحقائق هو أخطر من نشر كتب دعاة النصرانية المبشرين وصحفهم لأن هذه قلما تخدع أحدا من عوام المسلمين بما فيها من الباطل اما هذا المعجم فانه يخدع أكثر القارئين له فيه ولعل فيهم من يعلم ان مؤلفى هذه الدائرة ممن يتربصون بهم

الدوائر (عليهم دائرة السوء) وكان الأمير شكيب ارسلان قد علق على هذه الدائرة فاشار فى (م ٣٣/٤٣٩) فقال ان دائرة المعارف الاسلامية لا تخلو من تحاملات منكرة على الاسلام ، ومن غلطات وخبطات علمية فى مباحثها التى تولاها بعض الفئة الأولى المتحاملة على الاسلام وعلى لجنة الترجمة العمل لتصحيح تلك الأغلاط ، وتستدرك ايضا على فوات المتن ، والا يكون قد ادخلنا فى عقول ناشئتنا الجديدة ضلالات لا تخفى باسم العلم والفن وحرية الفكر والاستنتاج التحليلى . وقال : ان « دائرة المعارف » اسم خادع كسور له باب ظاهره منه الرحمة وباطنه من قبله العذاب وهو معجم لفقه طائفة من علماء الافرنج المستشرقين لخدمة دينهم ودولتهم المستعمرة لبلاد المسلمين بهدم معاقل الاسلام وخصومه بعد ان عجز عن ذلك دعاة دينهم بالطعن الصريح على كتاب الله العزيز ورسوله خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم وبعد أن عجز عن ذلك الذين حرفوا القرآن بترجماته الباطلة والذين شوهوا تاريخ الاسلام بمفترياتهم ذلك بأن هؤلاء الملفقين لهذا المعجم الذى سموه دائرة المعارف الاسلامية لم يتركوا شيئا من عقائد الاسلام ولا فضائله ولا من تشريعه ولا من مناقب رجاله الا وصوروه لقراء معجمهم بما يخالف صورته الصحيحة من بعض الوجوه وان اتقان الافرنج للكذب والافك قد فاق اتقانهم لغيره مما اتقنوه من علم وعمل . هذه الدائرة من عيوبها أنها لم تكتب لتحقيق المسائل التاريخية والعلمية لذاتها بل لأجل بيان آرائهم واهوائهم والاعلام بما سبق لهم ولعلمائهم منها من بحث وطعن فى كتبهم ورسائلهم المتطرفة وقال ان التذييلات والتصحيحات والانتقادات التى تقدمها النسخة العربية غير كافية فى موضوعها وان هناك مواد كثيرة نشرت بغير تعليق .

وعارض السيد رشيد ترجمة القرآن وعرض لها فى مناسبتين الأولى عام ١٩٠٩ فقال : ان ترجمة القرآن ترجمة حرفية تطابق الأصل متعذرة كما يعلم والترجمة المعنوية عبارة عن فهم المترجم للقرآن فهم من عساه يعتمد هو على فهمه من المفسرين وحينئذ لا تكون الترجمة هى القرآن وانما هى فهم رجل للقرآن يخطىء فى فهم ويصيب ولا يحصل بذلك المقصود المراد من الترجمة ، ان القرآن هو أساس الدين بل هو الدين كله اذ السنة ليست دينا الا من حيث انها مبينة له ، فالذين يأخذون

بترجمته يكون دينهم ما فهمه مترجم القرآن لهم لا نفس القرآن المنزل من الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم والاجتهاد بالقياس انما هو فرع من النص والترجمة ليست نصا من الشارع والاجماع عند الجمهور لابد أن يكون له مستند والترجمة ليست مستندا فعلى هذا لا نسلم لمن يجعلون ترجمة القرآن قرآنا ان من يعرف لغة القرآن وما يحتاج اليه في فهمه كالسنة النبوية وتاريخ الجيل الأول الذى ظهر فيه الاسلام يكون مأجورا بالعمل بما يفهمه من القرآن وان اخطأ فى فهمه اذا بذل جهده في الاهتداء بما انزله الله هداية له . ان القرآن ينبوع الهداية والمعارف الالهية لا تخلق جدته ولا يفتأ تتجدد اسراره ما لم تظهر لمن قبله تصديقا لعموم حديث « فرب مبلغ أوعى من سامع » وترجمته تبطل هذه المزية اذ تقيد القارىء بالمعنى الذى صوره المترجم بحسب فهمه ، وقد ذكر الغزالى ان ترجمة آيات الصفات الالهية غير جائزة » .

ولما تجدد الكلام عن ترجمة القرآن في تركيا بعد الانقلاب عرض السيد رشيد لموضوع الترجمة مرة أخرى (م ٢٦/٤٨١ ، ٥٦١ ، ٦٤١) ومما قاله ان ملاحدة الترك ودعاة العصبة الجنسية فيهم قد بثوا في قومهم فكرة الاستغناء عن القرآن المنزل من الله تعالى باللسان العربى بترجمته باللسان التركى قبل عهد الحرية الدستورية بسنتين وقد أنكرنا عليهم ذلك قولا وكتابة ودحض السيد رشيد رضا قولهم ان غير العرب من المسلمين يمكنهم الاستغناء في دينهم عن معرفة اللغة العربية وعن القرآن المنزل من عند الله آية للعالمين معجزا للبشر على مر السنين بترجمته الى التركية والفارسية وغيرها من اللغات . وقال : « ان الترجمة لا يمكن أن يتحقق فيها الاعجاز كالقرآن المنزل من عند الله تعالى ولا يصح التعبد بتلاوتها . ولا يتحقق منها غير ذلك من خصائص القرآن . ولا يهتم الاهتداء بالكتاب والسنة الا بالعناية باللغة العربية ولا شيء أضر على الاسلام في هذا العصر ممن يدعو الى ترجمة القرآن الى اللغات المختلفة ليستغنى المسلمون بالترجمة عن القرآن المنزل من عند الله تعالى بلسان عربى مبين ، فالغاية هى هذه المفسدة واذا وقعت فان الأعاجم من المسلمين يكونون عرضة لترك الدين » .

كذلك فقد واجه سموم طه حسين : ومفتريات طه حسين وتابعه متابعة متصلة منذ صدور كتابه « فى الشعر الجاهلى » وما تبعه من أفكار شعوبية وتغريبية ، وقد طاردت حركة اليقظة هذا الخطر حتى سقط ، ويصور السيد رشيد رضا هذه المحاولة (٣٢/٢٩٩) فيقول لقد كان هدف الاختلاط هو السيطرة على المدارس وتخريج نشء جديد لا هم لهم فى الحياة الا التمتع بالذات الجسدية والزينة فى اللباس والأثاث والرياش والتنافس فى خدمة الحكومة والتوسل الى ذلك بالشهادات المدرسية ، والتملق للرؤساء المسيطرين من الانجليز . واهم ما عنى به المسيطر على وزارة المعارف منهم ألا وهو القسيس مستر دنلوب أن يطمس كل اثر كان للدين الاسلامى فى المدارس الأميرية والا يدع للتربية الاسلامية ولا للتعليم الدينى منفذا يشرف منه على القلوب بنشر الالحاد والاباحة بان ينفثا سمومهما فى افساد الأخلاق وعبادة الشهوات وعدم الخضوع لأى سيطرة اجنبية أن تتمكن من الأذهان وتغلغل فى أعماق الوجدان والهاء للمعلمين والمتعلمين عن ذلك بمظاهر التربية الوطنية الاقليمية التى تفصل بين مسلمى مصر ومسلمى سائر الأقطار ولاسيما العربية . وقد نجح دنلوب فى سياسته أتم النجاح وشغل المدارس بالرياضة الجسدية عن ترويض الأرواح ، وكان ان طبع وزارة المعارف بطابع سياسته ووجهها شطر مقصده ، حتى جاء الاستقلال المقيد وصار أمر التعليم فى ايدى الوطنيين ، كان بعض وزراء المعارف من بعده شرا على التربية والتعليم مما كان فى عهده بل لم ينهض وزير منهم لاصلاح التربية الدينية ومقاومة نزعات التفرنج وصد تيار الاباحية والالحاد الذى يقترف بالأمة فى فوضى الأخلاق والفساد . واعجب من هذا اننا لم نر من حزب من احزاب البلاد السياسية ولا من تقاليد الحكومة طريقة متبعة فى اختيار وزير المعارف من رجال الاصلاح الملى والأدبى الذين يهمهم حفظ دين الأمة والدولة ووقايتها من الفساد والفوضى . وكان مثار العجب ان جعل الأستاذ أحمد لطفى السيد المحامى وزيرا للمعارف ، حتى اذا ما تولى هذا المنصب مراد سيد أحمد القاضى الأهلى زال ذلك العجب واعتقد كل غيور على الدين أن الحكومة المصرية متعمدة القضاء على هداية الدين فى الأمة بتربية بنيها وبناتها على الالحاد والاباحية المطلقة . لئن كان الدكتور طه حسين من سيئات الأول بتغذيته بمبادىء الالحاد فى نفسه وتجرئته على بنيها بعلمه أولا وفى دروسه

فى الجامعة أخيرا فان الثانى قد ابتدع فى وزارة المعارف من فنون التربية على الاباحية والقاء جلاليب الحياء والصيانة من تشجيع التهتك والخلاعة وتصوير الشبان والشواب مجردين ومجردات من الثياب ما يتضاءل أمام ذلك الافساد القولى .

ليس بكثير على مراد سيد احمد أن يفترض ارتقاءه الى منصب وزارة المعارف فيبتدع فيها تعليم النابتة المصرية من البنين والبنات لتمثيل الاباحى والرقص التوقيعى وتربيتهم على التجرد من الثياب بحجة الترقى فى صناعة التصوير وهو هو الذى كان قاضيا فرفعت اليه قضية رجل يطلب فيها عقاب أستاذ فى المدارس على التصدى لتحبيب امرأته وافسادها عليه بمخاطبته اياها فى الطريق بعبارات التصبى والاستمالة فحكم القاضى الذى ارتقى من كرسى القضاء الى كرسى الوزارة بأن ما وقع من الأستاذ المعلم المربى هو مظهر من مظاهر حب الجمال وهو فضيلة من الفضائل وأن القانون يعاقب على الرذائل فحكم ببراءة الفاسق المتصدى لافساد نظام الزوجية وكفى به افسادا للأمة . والغريب المريب أن يجعل مثل هذا القاضى المجدد الاباحى وزيرا للمعارف ولقد ظننت ان الحكومة المصرية قد اجمعت أمرها على القاء هذا الشعب المتدين فى فوضى الاباحة المطلقة وقذفه فى نهور الالحاد والزندقة . وقد أبطل حلمى عيسى البدعتين الاباحيتين متضمنا أن ابتداعهما كان بسوء رأى الوزير ثم أن هذا الرجل جعل طه حسين عميد كلية الآداب فى الجامعة مفتشا للغة العربية فى الوزارة فأخرجه من الجامعة التى كان يبث فيها الالحاد فكان لاخراجه ضجة شديدة وقدم الدكتور عبد الحميد سعيد استجوابا فى مسألة طه حسين واستنكار بقائه فى وزارة المعارف واستقال أستاذه ومربيه أحمد لطفى السيد .

لقد خدم طه حسين دعاة النصرانية بالصد عن الاسلام وبغيه عوجا وقلد بعض فلاسفة الافرنج فى الشك والتشكيك وهو ضرب من السفسطة قديم ، ولعل سبب تأييد بعض كبار الملاحدة لهم أنهم رأوه مستولغا مستهترا لا يبالى فى سبيل الشهرة بالالحاد والاباحة ذما ولا عارا وهم حريصون على نشر هذه الدعوة فى الجامعة المصرية ليهدموا بمعاول المتخرجين بها كل ما بقى للاسلام فى مصر من هداية دينية وجنسية عربية

فهم أرادوا جعل الجامعة حربا على الأزهر والمعاهد الدينية وعلى دار العلوم وخرجوا بأن ثقافة الجامعة المصرية ستحل محل ثقافة الأزهر الدينية فى مصر وكان اظهر الأسباب لعناية اولئك الملاحدة يبث دعايتهم فى الجامعة هو اعتقادهم أن الشعب ما زال يغلب عليه الدين ».

كذلك فقد كتب (الشيخ رشيد) مقدمة كتاب الشيخ محمد عرفة « نقض مطاعن فى القرآن الكريم» الذى فصل الرد على شبهات طه حسين. فقال السيد رشيد رضا : « حذق فى صناعة الكتابة فكان ذا رشاقة وخلابة وألف كتبا وانشأ مقالات دس فى بعضها سموم الالحاد وفى بعض آخر مخدرات الاباحة والاغراء بالشهوات فنهد للرد عليه فريق من العلماء والأدباء . سر جميع اهل الغيرة على الدين باخراجه من الجامعة واليوم يسمعون من الأزهر الشريف صوتا جهوريا فى نقض ما اذاعه مجلس النواب من طعن هذا الكاتب على القرآن العظيم ، هذه المطاعن التى القاها فى دروسه كانت بعد تلك الكلمه التى كانت سببها تحقيق النيابة العامة معه فى مطاعن كتابه فى الشعر الجاهلى . وقال السيد رشيد : ان موقف الأوربيين من الطعن فى الاسلام مقيده باعتبارين : دينى وسياسى ذلك أنهم راوا ان الاسلام قد غلب النصرانية على امرها فى الشرق وكاد يغلبها فى الغرب ايضا بعد اعتزاز دولها واستبحار ثروة كنائسها فلم يجدوا وسيلة لصد تياره من بلادهم وسلبه لمسلكهم وتغريبه لشعوبهم الى محاربته بالافتراء عليه والطعن فيه ، وقتال اهله بالسلاح ثم بالسياسة فأحكموا نظام الحربين بعد التمهيد لها بتربية الشعوب النصرانية على بغض المسلمين وتلقينهم فى البيوت والمدارس أن الاسلام هو العدو الأكبر للمسيحية وما هو فى الحقيقة إلا أخو المسيحية وصديقها والمدافع عن حقها والمتمم لاصلاحها والمبرىء لنبيها من طعن المفترين وشطط المغالين ».

وقوم آخرون رأوا من معجزات القرآن ما أنزل عليه القرآن فى العلم وهداية البشر واصلاح شئونهم ما يلجئهم الى الايمان والاذعان ان لم يجدوا لهذه المعجزات تاويلا ينظمونها به الى سمط السنن الكونية فتكلفوا التأويل لها لابطال كونها من خوارق العادات والآيات الالهية فهذه أسباب طعن الافرنج ومريديهم وتلاميذهم من النصارى والملاحدة (م ٣٣/١٩٣) ».

وعرض السيد رشيد رضا لآراء الدكتور طه حسين فى مسألة الحروف المفردة فى أوائل السور فقال : ان هذه المسألة ما كان ينبغى لمسلم أن يقلد دعاة النصرانية فى تشكيك طلاب العلم فى القرآن بها وجعلها من مباحث النقد التحليلى فى الأدب كما فعل طه حسين وقد فند الأستاذ الناقض لمطاعنه رايه فيه وذكرنا فيما علقنا عليه فى حاشية ما سبقه اليه بعض المستشرقين وقال ان المختار عندنا فى حكم افتتاح هذه السور (الم ص) وغيرها بأسماء وحروف ليس لها معنى مفهوم غير مسمى لتلك الحروف التى يتركب منها الكلام هو نبذ السامع الى ما يلقى اليه بعد ذلك الصوت من الكلام حتى لا يفوته منه شىء ، وانما خصصت سور معينة بهذا الضرب من الافتتاح لأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتلوها على المشركين بمكة لدعوتهم الى الاسلام واثبات الوحى والنبوة وكلها مكية الا الزهراوين (البقرة وآل عمران) وقد علمت ان الدكتور طه حسين تكلم فى القرآن بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ولا باخلاص فى النقد التحليلى الذى يعلو القرآن على مدارك أهله وعقولهم وعلمهم باللغة والدين والشريعة ، واذا كان القرآن اصل الدين فلا ينبغى لمسلم أن يأخذ علم بلاغته وآدابه ولا علم هدايته وتشريعه الا من خواص العلماء بتفسيره ويجب عليه أن يرجع اليهما فما عسى أن يقراه أو يسمعه لغيرهم من نقد أو طعن أو راى فيه يخفى عليه .

وقال : ان الأسلوب العصرى فى النقد الذى عرفنا بحسنه فى جملته فهو قديم ايضا واول واضع لأصوله حكيمنا ابن خلدون وجرى عليه شيخنا الأستاذ الامام فى رده على هانوتو وجرى عليه فى مقالات الاسلام والنصرانية فى العلم والمدنية ، أما ما يكتبه هذا الرجل وأمثاله فى مسائل الأدب اللغوى والتاريخى فمنه الصحيح المقبول ومنه الزائف المردود . (٣٣/٢٠٧) .

كذلك فقد كشف السيد رشيد رضا عن اخطاء جرجى زيدان فى رواياته وفى أبحاثه بما كتبه الأستاذ أحمد السكندرى عن تاريخ آداب اللغة العربية وما كتبه السيد شبلى النعمانى عن تاريخ التمدن الاسلامى ، أما هو فقد كان يعرض لروايات الهلال كلما صدرت حلقة منها .

فيقول فى نقده لروايتى فتاة غسان وفتح الأندلس (م ٦/٣٩١) :

يحتج هؤلاء بأن فى هــذا القصص اغلاطا تاريخيــة حتى فى الأمور المشهورة ومثل هذا لا يســلم منه كتاب منها قوله ان امير العرب على فتح العراق هو سعد بن مالك وهو اغراب فقد كان يدعى سعد بن أبى وقاص وان كان اسم أبيه مالكا .

ويعدون عليه مسائل كهذه جزئية منها ما يستند هو فيه الى نقــل صحيح كهذا او ضعيف فمن الأول قوله ان أبا ســفيان حيا هرقل بقوله : ابيت اللعن ، وهم ينكرون ذلك محتجين بأنها تحية الحميريين للملوك دون المضريين وله أن يحتج هو باطلاق بعض علماء اللغة والتاريخ أنها تحيــة الملوك فى الجاهلية .

ومن الثــانى نص كتاب النبى صلى الله عليــه وســلم الى هرقل فانه نقلها من الأغانى فقد أنقص منها قوله : يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) .

ولا شك أن المؤلف قصر فى اعتماده على كتاب أدبى دون كتب الحديث وكتب السير فى أهم شيء فى موضــوع قصته . كما ذكر فى آخــر الكتاب صورة خاتم النبى صلى الله عليه وسلم نقلا عن الواقدى وهى أن لفظ محمد فى السطر الاول ولفظ رسول فى السطر الأوسط ولفظ الجلالة (الله) فى السطر الأدنى والمشهور العكس .

أما ما ذكره المؤلف عن أبى سفيان مع سيرة النبى صلى الله عليــه وسلم فابو سفيان لم يقله ولا هو ينقله عنــه بالرواية وانما جمــع المؤلف أقوالا من الكتب والفهــا مع بعض آرائه واسندها الى أبى ســفيان لأنهم يحبذون ذلك فى القصص لان العبرة عندهم بالمسائل لا بالرواية وان سمى أهل العربية هــذه القصص روايات كذبا ومينا ، والمعــروف فى الصحيح أن أبا سفيان لم يتجاوز أجوبة اسئلة هرقل ومن المسائل الباطلة التى حكاها المؤلف عن ابى ســفيان مسألة الغرانيق رآها فى الطبرى فنظمها فى سلك الحكاية والسبب فى ذلك اعتياد القوم على التساهل فى النقــل ويحسبون هذا التساهل هينا حتما فى الأمور الدينية وهو عند الله عظيم » .

كما نقـــد قصة فتح الأندلس فقال : انتقد غيرنا من نبهـــاء المسلمين على هذه القصص . انها تصور للقارىء أن انتصار المسلمين فى الفتوحات لم يكن الا لسبب ما الم بالأمم التى فتحوا بلادها كالرومان والفرس والمصريين والبربر والقوط من فساد الأخلاق وهذا غمط لحقوق المسلمن وعدم اعترافة بشجاعتهم وعناية الله بهم وقد حمل المؤلف عليها التعصب الدينى .

وبالنسبة لرواية الحجاج بن يوسف يقول : وقد رأيت من المسلمين من ينتقد هـــذا الوضع من وجهتين : احداهما ان من شأن القصص أن تكون فيها أخبار كاذبة فيشتبه على القارىء الحق بالباطل ، وثانيهما : استثقال نسبة العشق والغـــرام الى رجال سلفنا الكرام وقد كان بعض المتقدمين كتب رأيه فى جريدة المؤيد ورد عليه المؤلف بأن الحوادث الغرامية لم تسند الى أحد من رجال السلف العظام والأئمة الذين يجلون عن الاشتغال بغرام».

كما عرض لكتاب تاريخ التمدن الاســـلامى الذى الفه جرجى زيدان (م ١٤٩/٧/٥١٤) وقد راجعه فى كثير من آرائه التى انحرف فيها كما أنه أشار الى أنه يضـــع أرقام توهم القارىء أن ذلك الأمر كله من ذلك الكتاب وربما كان المراد بعضه وهناك أخطاء عن مال الزكاة فى الخيل والصواب أنه لا زكاة فيها ومثل هذا الغلط لا يسلم منه من يأخذ العلم الدينى من الكتب التاريخية من غير تلقى أحكامه من أهله .

وبالنسبة للجزء الثالث من كتاب التمدن الاسلامى اشار جرجى زيدان الى مسألة دينية تحت عنوان (المأمون والاعتزال) وهى مسألة الخـــلاف فى القرآن هل هو مخلوق أم غير مخلوق ، فانه حرفها بظنه وفسرها برأيه حيث قال بعـــد أن نوه بفطنـــة المأمون وميله الى البحث العقلى ما نصه : (فتمكن من مذهب الاعتزال واخذ يناصر أشياعه وصرح بأقوال لم يكونوا يستطيعون التصريح بها خوفا من غضب الفقهاء ومن جملتها القول بخلق القرآن اى أنه غير منزل) فنستلفت نظرك الى قوله : انه غير منزل بل الى الكتاب كله وقوله ان الاســـلام نهضة عربيـــة ولذلك أمر عمر بن الخطاب باخراج غير المسلمين من جزيرة العرب ويقول ان هذا غلط سرى للمؤلف من استعمال الأجانب له من عهد بعيد فاطلقه والصواب أن المسلمين فى صدر الاســـلام كانوا يطلقون كلمة العرب أحيانا فى مقابلة المسلمين فيعنون بهم

المشركين ولم يكن اللفظان مترادفين عند المسلمين فى وقت ما على الاطلاق بل كانوا يطلقون لفظ المسلم والمسلمين على كل من دخل فى الاسلام واذا أطلق على العرب خاصة كان تجوزا بصرف القرينة ولم يخرج عمر غير المسلمين من الجزيرة اجتهادا منه لهذا بل عملا بأمر النبى صلى الله عليه وسلم فقد أوصى بذلك فى مرض موته .

وكذلك فقد حاول القول بأن القرآن دعا الى سيادة العرب ، قال رشيد رضا : ليس فيه ما يدل على أن العرب يجب أن يكونوا ممتازين على غيرهم بل يقول :

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » نعم ان تاثير العرب له تاييد لهم اذ لولاه لم يخرجوا من ظلمة جاهليتهم ولكن فتح بلاد الروم والفرس لم يزد الصحابة اعتقادا بما ذكره .

ونظرا لظروف اشتراك السوريين النصارى فى العمل الصحفى فقد كان الشيخ رشيد حريصا على مجاملتهم خاصة صاحب الهلال وصاحب الأهرام ، ومن أجل ذلك نشر مقالات النقد لكتاب التمدن الاسلامى التى بعثه بها السيد شبلى النعمانى واعتذر بأنه كان غائبا فى الهند ابان نشرها وانه لو كان حاضرا لأزال منها بعض العبارات غير أنه بعد أن توفى جرجى زيدان كاشف قراءه بحقيقة الرجل فقال :

« ظهر بعد الانقلاب العثمانى نزعة جديدة تقذفها نزعة عبرية احياء لمذهب الشعوبية ذلك بانه — أى جرجى زيدان — زار الاستانة ولقى فيها بعض زعماء جمعية الاتحاد والترقى ثم عاد متشيعا بالنهضة التركية مستنكرا مجاراة العرب لاخوانهم الترك بالقيام بنهضة عربية مستصوبا خطة الاتحاديين الأولى فى تتريك العناصر وادغام العرب فى الترك وقد كتب فى الهلال ما يشعر بهذه النزعة فهاج عليه قراءه . وقال ان لجرجى زيدان مطاعن فى العرب وأودعها فى تاريخ التمدن الاسلامى فطن لها أخيرا من لم يكن يحفل بها وزادهم التفاتا اليها ترجمة جريدة (اقدام) التركية لتاريخ التمدن الاسلامى ونشره بالتتابع .

— ٥ —

كذلك فقد واجه السيد رشيد رضا الدعوى الى القاديانية والبهائية وكشف فى فصول متعددة على سنوات متصلة اخطار هاتين النحلتين ولقد اتصل الحديث عن القاديانية منذ المجلد الثالث من المنار حتى المجلد الواحد والثلاثين :

فقد كشف ان غلام احمد القاديانى رجل مضلل ادعى أنه هو المسيح عيسى بن مريم وان الله تعالى قد أوحى اليه بذلك وقد نسخ من أحكام الشريعة الجهاد وكان يستدل على صدق دعوته بقصيدة نظمها وادعى انها معجزة كالقرآن وبكتاب فى تفسير الفاتحة سماه اعجاز أحمدى وأكثره لغو لا يفهم واستنباط معان لا تدل عليها الألفاظ بحقيقتها وقد رد عليه علماء الهند وفندوا دعوته وقد مرن اتباعه على المناظرة والجدل وانصرفوا الى دعوة الأسر فى الهند وانكلترا والولايات المتحدة (م ٣) .

وفى فصل آخر مطول تحت عنوان (المسيحية الاسلامية القاديانية الملقبة بالأحمدية) يقول : ظهرت بدعة القاديانية فى مصر بعد أن كانت محصورة فى الهند فصارت كالبهائية ذات دعاة واتباع يبثون تعاليمها فى رسائل يطبعونها ويوزعونها وقد ادعى ميزرا غلام احمد القاديانى فى الهند انه المسيح المنتظر وان الوحى نزل عليه بذلك وقد رددنا عليه فى عصره وضل كثير من المسلمين بدعوى البهائية والقاديانية فلهذا كانت الدولة البريطانية مؤيدة ومساعدة لهما فى الهند وايران وفلسطين ومصر وكلهم مخلصون لها مؤيدون لسياستها . وقد نسخ وجوب الجهاد ثم علمنا أنهم يدعون باستمرار الوحى والنبوة فى أتباعه اى فى زعيم القاديانية بعده ميزا بشر الدين محمود أحمد زعيم الحركة الأحمدية (م ٥٧٨/٤) .

وعاود السيد رشيد رضا الحديث عن القاديانية فأشار فى المجلد ٣٩١/٣١ أنه قد طبع فى سوريا رسائل متعددة فى الدعوة الى نحلتهم فانخدع بها شاب دمشقى عنده هوس اسمه منير الحصنى جاء مصر متمنيا لو يلقانا لنتكلم معه . وأشار الى أن أخطر ما يدعو اليه مسيح الهند القاديانى الدجال : نسخ الجهاد وخدمه للانجليز وادعاء النبوة وقد خالف القاديانيون فى ذلك اجماع المسلمين فيما هو قطعى معلوم من دين الاسلام بالضرورة فخرجوا بذلك من الملة الاسلامية ، وقال ان أخطرها مسالة نسخ الجهاد

وما فيها من اطراء الانجليز بالمدح والحكم بوجوب شكرهم على حماية المسلمين وتحريم جهادهم ومن قوله أن الجهاد انقطع بطبعه بظهور المسيح اذ زالت غربة الاسلام وضعفه وانتصر أهله على النصارى .

***

وأولى السيد رشيد رضا اهتماما بالغا للبهائية فقد استكشفها فى مطالعها الأولى ١٨٩٩ وتحدث فى السنوات التالية عن البابية فقال انهم قوم ارتدوا عن الاسلام واحدثوا لأنفسهم دينا وضعيا مؤلفا من أمشاج الوثنية والمدنية وهم يستخفون به ويظهرون من مظاهر النفاق ليتمكنوا من تشكيك كل أهل دين فى دينهم ولا يزال دينهم سريا ولذلك يتمكنون من مخادعة اهل دين ولاقناعهم بانهم منهم ولكنهم يريدون اصلاحهم ولا يطلعون أحدا على كتبهم الأساسية (م ٦/٢٣٢) .

وواصل السيد رشيد رضا مواجهة البابية والبهائية بعد أن كشف عن البابية وزيف دعواها فى مقالات متعددة متصلة فى المجلد السابع (٣٣٨/٣٤٤/٣٥٣) فقد أورد اقوالا للباب التى يدعى انها منزلة ليحكموا حكما صحيحا . ولما كانت البابية هى باب البهائية فقد أخذ يكشف زيف البهائية والاعتقاد بربوبية والوهية البهاء وانه هو الذى بعث الأنبياء والرسل وقد ظهرت البابية والبهائية فى ايران .

وأشار الى كتاب تاريخ البابية ومفتاح باب الأبواب لمؤلفه ميزا محمد مهدى خان كما عرض تاريخ البابية ومناظرات العلماء للباب (ميرزا على محمد الشيرازى) الى أن قتل ثم ذكر مزاعم البابية وما جرى لأصحابه من بعده من الفتن والتفرق والنفى ، الى أن قام منهم حسن على الملقب بالبهاء واستمال أكثرهم ونقح لهم دين الباب وادعى أنه الأصل .

ثم جدد السيد رشيد رضا دعوته فى المجلد الثالث عشر فقال : ان هؤلاء الباطنية قد قصدوا من وضع تعاليمهم الأولى محو الاسلام وازالة سلطانه من الأرض ، وضعها بعض مجوس الفرس لما فتح المسلمون بلادهم وازالوا ملكهم واستعانوا عليها بالشيعة وهم حزب سياسى يرى أن الحكومة يجب أن تكون (أرستقراطية) للاشراف من آل بيت النبى صلى الله عليه

وســــلم فصاروا يبثون دعوتهم فى هذا الحزب لحمله على الغلو فى بغض عمر بن الخطاب (الذى فتح بلادهم) وابى بكر وجمهور الصـحابة الذين كانوا اقرب الى القول بحكومة الشعب (الديمقراطية) وقـد وجد هـذان الحزبان فى الاسلام ووجد فيهم حزب الفوضوية أيضا وهم الخوارج كمـا وجد ذلك عند غيرهم . وخلق الغلو طبعى فى البشر ، ولذلك نجح الباطنية فى دعوة غلاة الشيعة الى تكفير جماهير الصـحابة ورميهم بكتمان بعض القرآن ولم يدروا أن ذلك يعد طعنا فى أئمة آل البيت الذين يتعصـبون لهم لأن رئيسـهم عليا كرم الله وجهه كان يحفظ القرآن كله فلماذا لم يظهـر المكتوم على أنه كان يمكن أن يبث ذلك سرا فى أهل بيته وأشار الى أن غرض الباطنية اخراج الشيعة من الاسلام ، ولما ظهر غلاة المتصوفة توسـل الباطنية بهم الى مقصدهم أيضا فأضلوا كثيرا من الناس ولكن الاسلام ظل غالبا على أمره فى الصوفية أيضا الا من كان من أنصار الباطنية . .

وقال انهم يعبدون البهاء عبادة حقيقية ويدينون بألوهيته وربوبيتـه ولهم شريعة خاصة بهم ، وقد جاء الاسـكندرية ١٩١٠ وهاجم المؤيد الذى تحدث عنه بتقدير كأنه مصلح عظيم .

وفى المجلد الرابع عشر واصل السيد رشيد رضا حديثه عن البهائية فقال ان الباطنية هم سلف البهائية وأشار الى عباس أفندى وسـعيه الى نشر البهائية فى امريكا وكان سبب دخول الملايين فى هـذا الدين وقال أنه اجرى مع داعيتهم مناظرات متعددة وثبت عندى أنهـم من الباطنيـة الذين كانوا يظهرون للمسلمين وكذا لغيرهم أنهم منهم وعلى ملتهم ، هؤلاء البهائية اذا دعوا النصارى فى امريكا مثلا الى نحلتهم قالوا لهم انا نصـارى مثلهم نؤمن بألوهية المسيح وبمجيئه يوم الدينونة وقد جاء المسـيح كما وعد فى ناسوت البهائية وكذلك يقولون للمسلمين انا معكم ونطلب اصلاح حالـكم باتباع المهدى المنتظر والمسـيح الموعود بل يقولون ان دين برهما ودين زردشت حق وان ربنا وربكم هو البهاء أو بهاء الله دفين عكا فى بلاد الشام ولا يفصحون عن عقيدتهم كلها لأحد دفعة واحدة وانما يرتفعون به درجـة بعد أخرى وقد وضع سلفهم هذه الدرجات وجروا عليها وقلدهم الماسون

فيها (اى الدرجات فقط) وقصارى دعوتهم الرجوع الى نوع من الوثنية ملون بلون جديد من الوانها .

ويقول السيد رشيد رضا : اذا كان عباس افندى مسلما فليكتب لنا مقالة ينص بالنص الصريح على أن سيدنا محمد بن عبد الله هو خاتم النبيين والمرسلين ولا دين بعد دينه ولا شرع ينسخ شرعه وأن القرآن هو آخر كتب الله ووحيه لأنبيائه ورسله وأن معانيه الصحيحة هى ما دلت عليه مفرداته واساليبه العربية . نكتفى منه بهذا ولا نكلفه أن يتبرأ مما سمعناه من اتباعه فى القول بالوهية والده ونسخ للشريعة الاسلامية كجعل الصلوات اثنين بدل خمس بكيفية غير كيفية صلاة المسلمين وان كان لا يكتب من تلقاء نفسه فاننا نكتب له أسئلة ونطالبه بالجواب عليها .

وفى معرض الحديث اورد نصا للشهرستانى تحت عنوان الاسماعيلية فى دين الباطنية الاسماعيلية الذين كانوا يخادعون الناس زاعمين أنهم مذهب اسلامى وان اهله هم الفرقة الناجية وكانوا يستدرجون الضعفاء بهذه السفسطة الموهة ويستدلونهم بما يحملون اليهم من حجج العقل فيستدنوهم به عن العقل ويسترضونهم بالخضوع الأعمى لكل ما ينقلونه من امامهم وقد هدم سفسطتهم العلماء الاعلام كالغزالى فى كتابه القسطاس المستقيم وغيره .

واشار السيد رشيد فى المجلد الخامس عشر (٩٠١/٧٣١/٢٢٣) الى كتاب جديد صدر بعنوان (الحراب فى صدر البهاء والباب) لمحمد فاضل كتبه بعد مجىء عباس افندى زعيم البهائية الى القطر المصرى كشف فيها عن زيف هذه النحلة وواصل صاحب المنار حملته عاما بعد عام ففى المجلد ٧٠٨/٣٣ اشار الى « هذا الدين الجديد الذى هو طور عصرى لضلال الباطنية القديم » وكان عباس افندى اوهى مؤسسيه وناشريه حتى انه حظر الى اليوم اظهار كتابهم الذى يسمونه (الكتاب الأقدس) لأنه اذا تناولته الأيدى يتعذر نشر الدعوة فى كل شعب وقطر بما يناسب أفكار أهله وعقائدهم ومشاربهم وقد خدع كثير من عقلاء المسلمين واذكيائهم بنشاشتهم ودهاء عباس افندى الذى كان يدعى أنه من المسلمين المصلحين

فانخدع غيرهم لهم . وان منهم (احمد صفوت) الذى اقترح على المسلمين هدم نصوص القرآن والسنة والاجماع والأخذ بمقاصد القرآن دون دلالة لفظه فى الأحكام .

* * *

ولم يتوقف السيد رشيد رضا عن مهاجمة كل منحرف فى هذا الطريق ومن هؤلاء الشيخ محمد الوزير الذى الف كتابا جحد فيه معجزات الرسل عليهم السلام وحاول تفسير القرآن بالقرآن دون اللغة والسنة ، وأباح مخالفة الرسول بمحض الرأى وتقرير النزعة المادية فى انكار ما وراء المادة المدركة بالحس ، (م ٣١) .

الفصل السادس

شبهات التبشير والتشكيك فى حقائق الاسلام

لقد اقتحم السيد رشيد رضا فى نطاق دعوته الى الاصلاح وتحرير العقيدة الاسلامية من زيف الجمود والدعوات الهدامة ، هذا المجال الجديد فى الدعوة الاسلامية فى العصر الحديث ويمكن القول بأنه من رواد مقارنات الأديان التى بدأها تحت تأثير التحدى الخطير الذى وجهته كتابات المبشرين فى الهجوم على الاسلام ، فكان لابد من تعرض واضح للكتب القديمة والكشف عن أخطائها من خلال كتابات الغربيين أنفسهم عنها ومن أقلام أناس اهتدوا الى الاسلام حديثا وكان لهم المام بهذه الكتب وما تحويه وقد صادف ذلك الوقت الذى بدأت فيه اوربا تهاجم الكتب القديمة وتعرضها على المنهج العلمى الحديث وتتهمها بأنها بشرية وأنها ليستمنزلة كذلك اتسع نطاق البحث بعد ان كشفت الكنيسة الكاثوليكية عن مخططاتها فى التبشير والتبصير بين المسلمين على طول هذه المنطقة من جاوة الى الجزيرة العربية . كذلك فقد استعلن الحق عندما عثر على انجيل برنابا الذى كتبه احد حوارى السيد المسيح والذى أنكرته المجامع المقدسة لأنه يكشف حقيقة واضحة هو أن السيد المسيح نبى مرسل وليس الها . كل هذا ، عنى السيد رشيد رضا به وتابعه فى جدارة وبراعة خلال حياته كلها .

ولقد واجه السيد رشيد رضا هذه المعركة بذكاء وحنكة شديدين ، ذلك أنه فى نفس الوقت الذى كانت قوى الاستعمار توجه حملات التبشير الى بلاد المسلمين كان هناك فى أوربا زلزال يواجه النصرانية وتتكشف أبحاث علماء اللاهوت على حقائق جديدة بالنسبة للكتب المقدسة ، وللتوراة والانجيل ، كما ظهرت فى نفس الوقت آراء لأعلام أمثال تولستوى عن حقيقة الانجيل كذلك فقد أعلن لكثير من المفكرين الغربيين موقفهم من الاسلام أمثال اللورد هدلى وعبد الكريم جوجسو فكان ذلك كله من العناصر التى آزرت الشيخ فى دعوته ورجحت كفته .

تحدث المنار من التبشير الغربى لأول مرة فى المجلد الثالث (١٩٠٠) واشار الى مقال نشر فى المؤيد عن انتشار النصرانية فى أفريقيا وما يتصل بمهمة المبعوثين المسيحيين الى مستعمرة السنغال ومستعمرة الكونغو البلجيكية وأوغندة ، (كاثوليك وبروتستانت) ثم توالت الأحداث فنشرت الجمعية الانجليزية المكلفة بالدعوة الى النصرانية كتابا اطلقت عليه « تنوير الأفهام فى مصادر الاسلام » .

سلك الكتاب فى الرد على الاسلام المسلك الذى جرى عليه بعض علماء أوربا فى هدم الديانتين اليهودية والنصرانية اذ الفوا كتبا بينوا فيها مصادر كتب العهد العتيق المسمى بالتوراة وكتب العهد الجديد المسمى بالانجيل أو الأناجيل ورسائل الرسل .. وقد بين العلماء مصادر اليهودية والنصرانية وبينوا بالدلائل التاريخية والأثرية واللغوية مصدر عقائد هذه الكتب ومآخذ احكامها من ديانات الأولين وتقاليدهم وأثبتوا أن الأسفار المنسوبة الى موسى قد كتبت من بعده ، كذلك سائر الأسفار قد كتبت بعد من نسبت اليهم .

واشار الى أن شريعة حمورابى قد ظهر أن معظم التوراة الحاضرة مأخوذة منها ، وقال انهم ارادوا أن يحاربوا الاسلام بالسلاح الذى حوربوا به فقد أخذ مؤلف الكتاب الفاظا وردت فى الكتاب والسنة مما كان مستعملا عند العرب أو غيرهم من الأمم والفاظا اعجمية أخرى ولكن لم يعرف أن العرب نقلوها عنها وجعلوا هذه وتلك دلائل على أن دين الاسلام نفسه مأخوذ عن الأمم التى وجد فى الفكر العربى ما هو معرب عنها أو يشبه أن يكون معربا ، ومن ذلك زعمه أن الاسلام أخذ حكم توحيد الله تعالى من العرب لأنه ورد اسم « الله » واسم « الاله » فى أسفارهم قبل البعثة ، فقد جهل المؤلف المسكين أن كل الأمم تعتقد بالله تعالى ولكنها تشرك به وتزعم أن له أبناء أولياء يعمل بواسطتهم فهو غير مستقل بارادته تمام الاستقلال ولا يقدر أن يكفر خطيئة آدم مثلا بدون خطيئة صلب المسيح .

وقال السيد رشيد رضا : ان الكلمة التى اهدم بها هذا الكتاب هى أن محمد النبى الأمى بعث ليهدى الناس الى صراط الفطرة السليمة باصلاح ما افسدوا من دين الأنبياء واقامة الدين على اساس الاستدلال

والعلم دون التقليد للرؤساء . وهـــذا الكتاب يثبت للنبى الأمى الاطـــلاع على جميع أديان الأمم وتقاليدها وعاداتها ولغاتها واســــــتخراج قواعد الاسلام وأحكامه منها (م ٧/١٠١) .

٢ — وأشار الى ما نشرته صحيفة كبرى لأحد المشتغلين بقراءة الكتب التى نشرتها البعثات النصرانية فى الطعن بدين الاســـلام يسأل فيها كاتبها كشف شبهات علقت فى ذهنه من مطالعة تلك الكتب ، يقول السيد رشيد رضا : ومن الواجب أن نجيب عن هـــذه الشبهات لأن المدافعـــة عن الدين أهم ما أنشىء له المنار ، ولكن سنتنا التى جرينا عليها من أول يوم هى مسالمة المخالفين لنا فى الدين ولاسيما المسيحيين بل السعى لازالة الأحقاد والاتفاق على ما فيه نجاح البلاد ونود الا يطعن أحـــد فى دين الآخر لا قولا ولا عمـــلا ولا كتابة ، ولكن المسيحيين لا يوافقوننا على هـــذا كما يوافقنا المسلمون ولذلك نراهم يعقدون الجمعيات للطعن اللســانى فى الاسلام وينشر فى الجرائد (كراية صهيون) ويؤلفون الكتب للطعن الكتابى واننـــا نصبر على هـــذا المعتدى ونكتفى بكشف شبهات الســائلين من أهـــل ديننا مع مراعاة الأدب فنقول : المطالع لكتب المسيحيين كيف اكتفى بمطالعتها من غـــير أن يطالع الكتب الاسلامية التى يقابلها بالمثل وتدفع شبهاتها وردت عليها ما لا دافع له ككتاب (اظهار الحق) وكتاب (السيف الصقيل) وغيرها ، على أن يطالع تلك الكتب وبعد مطالعتها يقوم بالموازنة بينها .

وشبهاته تنقسم الى ثلاثة أقسام :

١ — مخالفة بعض نصوص الدين الاسلامى لما ورد فى كتب اليهود والنصـــارى .

٢ — ورود أشياء فى القرآن لم ترد فى تلك الكتب .

٣ — ورود أشياء فى الكتاب والسنة مخالفة للواقعـــة والتى تثبت فى العلوم الحديثة بزعم من تلقى عنهم .

والتوراة التى يشهد لهـــا القرآن هى كتاب شريعة وأحكام لا كتاب تاريخ مقتبس من ميثولوجيا الأشوريين والكلدانيين وغيرهم فيتأتى بتكذيب علم الجيولوجيا وعلم الآثار العادية له أو موافقة هذا لبعض ما ورد فيـــه ما لا يليق نسبته الى الله كقوله : انه تعالى ندم على خلق الانسان ، فالتوراة

حق وهى الشرائع والأحكام التى كان يحكم بهـا موسى ومن بعـده انبياء بنى اسرائيل عليهم السلام واحبارهم ، ولم يشهد القرآن لهذه الكتب الكثيرة التاريخية التى منها ما لم يعلم مؤلفه وكلها كتبت بعد موسى صاحب التوراة بزمن طويل وبهذا تصح شهادة القرآن وتبطل أسئلة المشتبه فى الخلاف التاريخى من القرآن وكتاب حزقيال واشعيا ودانيال لأن هذه الكتب لم يشهد لها القرآن ولا تقترن بسمة القدم لجميع كتب العهد بالتوراة فذلك اصطلاح جرى فى سبيل التغليب بل اننا نرى من النصارى كثيرا ما يسمون مجموع كتب العهدين العتيق والجديد التوراة عندما تكون مجتمعة .

أما الانجيل فهو فى اعتقاد المسلمين ما أوحاه الله تعالى الى السيد المسيح عليه الصلاة والسلام من المواعظ والأحكام والحكم وكان يعظ به ويعلم الناس ، وما زاد على ذلك من هذه الكتب التى يسمونها فهو فى نظر المسلمين من التاريخ ان كان خبرا وان حكما أو عقيدة فهو لمن قاله والنصارى يسمون مجموع كتب العهد الجديد انجيلا ويعترفون بأنها كتبت بعد المسيح بأزمنة مختلفة . والقرآن يشهد على النصارى بأنهم لم يحتفظوا جميع ما وعظهم به المسيح من الوحى المسمى بالانجيل حيث قال : ((**ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به**)) والانجيل يطلق على بعض ذلك الوحى لما يطلق لفظ القرآن أو قرآن على بعضه .

(م ١٧٩/٤) .

٣ — ولم يلبث السيد رشيد رضا أن كشف عن مواجهات للنصرانية فى أوربا فكتب تحت عنوان زلزال النصرانية فى أوربا (م ٩٤/٦) فقال :

أنس النصارى واليهود بما فى كتبهم من الدلائل على عدم الثقة ، بنقل التوراة والانجيل ، وكابروا انفسهم والناس بدعوى تواترهما مع أن شرط التواتر أن ينتهى سند الرواة الذى يسجل تواطؤهم على الكذب لكثرتهم الى ما جاء بالكتاب كان ينتهى تواتر التوراة الى موسى نفسه لا الى عزرا الذى لا يعلم احد من أين جاء بما جاء به . ولكن القيامة قائمة فى أوربا لاكتشاف شريعة حمورابى (ملكى صادق) وبيان أنها توافق هذه التوراة فى أحكامها وتخالفها بعض المخالفة فى تاريخها لأنهم لم يرو محلا فى هذا للمكابرة والمواربة . خطب العلامة اللاهوتى الأثرى (دليتشي) خطبـة

مطولة فى برلين حضرها قيصر الألمان وقال فى خطبته على رءوس الأشهاد ان شرائع التوراة منقولة عن الشرائع البابلية وليست وحيا من الله واستنتج من ذلك أنه لا حاجة الى دين وراء وجدان الخير المغروس فى الفطرة . وقد فزع هذا العالم النصرانى بهذه القارعة فى ذلك الملأ العظيم فتزلزلت هى ولم تزلزل مكائد من نفوس القوم ، وقد عجب الناس أن رأوا غليوم الثانى الذى اقام أوربا واقعدها ثم دعى الى محاربة الصين ، يلاطف عالما لاهوتيا اثريا بعد أن قضى على هذا الدين القضاء المبرم . بعد هذا اجتمع القيصر بهذا الخطيب ليضع للنصرانية مذهبا جديدا يستبقى به كونها الهة سياسية تنتفع بها أوربا فى مقاومة الشرق ، ذلك أنه رأى أن يخطو فى هذا السبيل خطوة بعد خطوة وان يختص بهذه الآراء رضفاءه اللاهوتيين ويودعها كتبهم . وقال السيد رشيد رضا انه (أى الامبراطور) لا يعتقد بلاهوت المسيح ويرى أن ليس فى التوراة شىء من الوحى والنبوة عن يسوع انه المسيح وقال : ان محمد رسول الله الذى جاء عن الله تعالى بعلوم وعمل بعناية الله تعالى اعمالا لم يسبق ما يقاربها لغيره ولن يلحقه بما يقارنها غيره فشريعته أعدل من شريعة التوراة ولا يمكن أن يوجد اكتشاف يظهر أنها مستقاة من شريعة اخرى والوحدة التى كونها بنفسه احوج الى المعونة الالهية المحضة من الوحدة التى كونها بسمارك وغليوم الأول .

٤ — وتابع السيد رشيد رضا ما ينشر فى الغرب من دراسات للاستفادة بها فى دفاعه وفى تأييد ما جاء به القرآن من فساد نسبة التوراة التى فى ايدى الناس الى الوحى ، ومن ذلك ما ذكر من أن الكلمات التى مازجت لغة هذه الكتب العبرية لم تكن معروفة على عهد موسى عليه السلام واستنتج من مباحثه أن هذه الكتب الفت بعد أن سبى البابليون بنى اسرائيل بازمنة مختلفة بعد هذا ظهر من علماء الألمان نبأ أخطر من هذا وهو أنه وجد فى الآثار التى اكتشفت الى عهد قريب فى خرائب سوس من بلاد بابل شريعة حمورابى أو ملكى صادق منقوشة على عمود حلم الصفا (الصوان) .
(م ٦/٩١)

وكان قد تناول هذا فى المجلد الرابع واضاف الى هذا ما ذكره صاحب كتاب (بسلامة الأدلة السنية على صدق الديانة المسيحية) صرح بفقدها

وانقطاع عبادة الله الحقيقية بين الاسرائيليين فى مدة ملك منســا وآمون ة وقال الأمر مستحيل أن ينفى نسخ موسى الأصلية فى الوجــود الى الآن ولا يعلم ماذا كان من أمرها والمرجح أنهــا فقــدت مع التابوت لما ضرب بختنصر الهيــكل .

ومن مجموع ما كتب فى هذا الشأن يمكن تقرير النقاط الآتية :

خلاصة ما يقوله علماء أوربا هو أن شريعة حمورابى التى وجد أنهــا توافق التوراة فى أحكامها وتخالفها بعض المخالفة ، هذه هى التى نقلهــا ابراهيم عليه السلام من بابل الى فلسطين عند قدومه اليها ، وان موسى قد اقتبس منها كل ما رآه يصلح لسياسة بنى اسرائيل وبذلك تكون الشريعة التى يفخر اليهود والنصارى بأنها الهية ، مقتبسة من الشرائع الوثنية ويكون موسى مزورا بادعاء أنها أوحيت اليه من الله (حاشاه حاشاه) .

ويعلق السيد رشيد رضا على هذا فيقول : ان هذه التوراة لا خلاف ولا نزاع بين أهل الكتاب فى أن التوراة التى لقنها موسى عليه الســلام قد فقدت ثم وجد عندهم غيرها والأخبار فى ذلك معماه ، يستدلون على أن عزرا كتب التوراة بعد فقدها لما اذن لهم ملك بابل ارتجشنا بالعودة الى بلادهم أمر كاهنهم عزرا أن يضع لهم قضاة وحكاما يعملون بشريعته وقد كتب لهم عزرا هذه التوراة الحاضرة وأودعها ما كان لا يزال يحفظــه من وصــايا الرب وأضاف اليه ما حفظه من شريعة الملك فجاءت هذه التوراة مزيجا من الشريعتين كما تبين الاكتشافات الجديدة وكتب العهد العتيق الذى يسمون مجموعها التوراة تؤيد كون الاسفار الخمسة المنسوبة لموسى قد كتبت بعده بزمن طويل .

٥ — كذلك فقد نشر المنار مقدمة كتاب الأناجيل للفليسوف تولستوى (م ٢٢٦/٦) وقال ان تولستوى الف كتابا أرجع فيه الأناجيل الأربعة الى انجيل واحد حذف منهــا ما لا يوثق به من الأقوال التاريخيــة والخوارق الكونية .

كما أشار الى مناظرة عالم مسلم لدعاة البروتستانت فى بغداد (السيد هبة الدين صاحب مجلة العلم فى النجف) حول قضايا عديدة منهــا تقديس الانجيل والمسيح النبى ، ورجعة المسيح ونزول عيسى .

كما نشرت المنار مذكرة عن اعمال المبشرين فى السودان ومساعدة الحكومة الانجليزية لهم وقد جاء فيها ان المبشرين يعمدون فى حمل الأهالى الى ارسال أولادهم الى مدارسهم الى الآباء والتودد اليهم واعطائهم الطعام والأقمشة ، ويعلم المبشرون فى مدارسهم أصول الدين المسيحى والقراءة والكتابة وبعض العلوم الضرورية .

٦ — فى هذه المرحلة كان الدكتور محمد توفيق صدقى الطبيب الذى دخل فى الاسلام قد بدأ ينشر فى المنار جملة مقالات مستفيضة حول القضايا المثارة وموقف الاسلام منها تحت عنوان [الدين فى نظر العقل الصحيح] (المجلد الثامن) من المنار وقد تناولت هذه الفصول شبهات الماديين وشبهات النصارى وقضايا النبوة ومسائل مختلفة حول السيدة مريم اخت هارون والسامرى ، وآزر أبو ابراهيم وجبل الجودى ..

كذلك فقد بدأ السيد رشيد ينشر فصول انجيل برنابا التى طبعها فى كتاب مستقل بمقدمة قال فيها (م ١١) :

نرى مؤرخى النصرانية قد أجمعوا على أنه كان فى القرون الأولى للمسيح اناجيل كثيرة وان رجال الكنيسة قد اختاروا منها أربعة اناجيل ومن الاناجيل المرفوضة : انجيل برنابا وبرنابا حوارى من انصار المسيح الذى يلقبهم رجال الكنيسة بالرسل صحبه بولس زمنا بل كان هو الذى عرف التلاميذ ببولس بعدما اهتدى ورجع الى أورشليم ومقدمة الانجيل قاطعة بأن بولس انفرد بتعليم جديد مخالف لما تلقاه الحواريون عن المسيح لكن تعاليمه هى التى غلبت وانتشرت واشتهرت وصارت عماد النصرانية ويذهب بعض علماء الافرنج الى أن انجيل مرقس وانجيل يوحنا من وضعه كما فى دائرة المعارف الفرنسية .

وأشار السيد رشيد رضا الى أن تولستوى كان يتطلع الى ظهور انجيل برنابا واشار اليه فى كتابه فقال أنه من تلك الاناجيل الى رفضتها الكنيسة وقد بقى تحت حجاب الخفاء حتى لم يطلع عليه الا بعض الباحثين من العلماء وان هؤلاء الباحثون لا يصدهم شىء عن احياء الآثار القديمة وهم يتوقون الظفر بنسخ من هذا الانجيل لينشروها بين الناس .. »

وقد ظفروا بنسخة باللغة الايطالية كانت قد سرقت من مكتبة الفاتيكان (م ١٠/٣٨٥) .

٧ ـ ويتابع المنار حملته فى مجال ارساليات التبشير فينشر فصول الكتاب الخطير الذى عثر عليه السيد محب الدين الخطيب وأذاعه فى جريدة المؤيد سنة ١٩١٢ وهو الكتاب الأشهر (الغارة على العالم الاسلامى) أو فتح العالم الاسلامى ، يتحدث عن جهود جمعيات التبشير الكاثوليكية والبروتستانتية فى مصر والهند والبحرين ، عربتها المؤيد عن مجلة العالم الاسلامى التى تصدرها فى فرنسا (الارسالية العلمية المراكشية) وكانت هذه المجلة قد أنشئت منذ خمس سنين وبعد احتلال مراكش ودخول بلاد فارس تحت النفوذ الروسى الانجليزى واعتداء ايطاليا على طرابلس المغرب ظهرت بمظهر جديد تجلت فيه خطتها فى التوسل بالعلم الى المقاصد السياسية والدينية ، ويرأس تحريرها المسيو شاتليه ويكتب فيها لويس ماسنيون المستشرق الذى أقام فى بغداد سنين عديدة وكان فى مصر منذ سنين وقد كان لنشر هذا الكتاب فى المنار بعد المؤيد أثر كبير ولا يزال (م ١٥) .

وفى مواجهة هذا أخذ ينشر الدكتور محمد توفيق صدقى صفحات تحت عنوان بشائر عيسى ومحمد فى العهدين العتيق والجديد بها حديث طويل عن اليهود والسبى البابلى وافساد اليهودية للمسيحية وتحريف كتب النصارى والتثليث . وابطال ما يستدل به النصارى على الوهية المسيح فى العهد القديم .

كما نشرت حديث طويل عن الأناجيل وبشارتها بنبينا وعن لغتها ونسخها القديم وغلطها وتحريفها ، كما عرض المنار للرد على كتابات المبشرين والمستشرقين فى قولهم بأن القرآن ليس سوى مجموعة اقوال مقتبسة من التوراة والانجيل وبعض تعاليم المجوس بقلم هنرى جونستون ، يدعو قومه الى مقاومة كل تعليم دينى على القرآن لئلا يرتقى المسلمون به فيخرجون من العبودية التى يريدها لهم .

ونشر المنار فصولا أخرى منها دخول عبد الكريم يوسف جومنو الفرنسى فى الاسلام وتأليف كتابه الذى ت̈رل مقدمته :

« وجدت فى الاسلام دينا سمحا ســـــهل المأخذ بين العقيدة واضح البرهان مجردا من الغموض لا يفتقر اتباعه فى عبادة خالقهم الى واســطة فارتضيته لنفسى والحمد لله فقد مكثت عشرين سنة أبحث عن الدين الحق لأكون من شيعته (م ١٧/٢٣١) ».

وأورد السيد رشيد رضا عرضا لكتاب سلامة موسى (نشــوء فكرة الله) عن خلاصة كتاب لجرانت اشار اليه الكاتب الانجليزى فقال : شاب قبطى الجنس مادى الاعتقاد يعنى باقنــاع الناس بأن الأديان أوضـــاع مخترعة ينبغى لهم تركها والعمل بقواعد الانتخاب الطبيعى واصول الاشتراكية وهى من آراء غلاة المادية من الافرنج أن يعمل الاقوياء باهلاك الضعفاء ومنعهم من الزواج وقد اثار هذا الكتاب جدلا شديدا وكتبت عنه جريدة مصر القبطية بحثا تم رد عليهم السيد رشيد رضا مطولا (م ١٧/٢٢٣/٤٧٨) .

٩ ــ وعرض المنار لما اشار اليه الباحثان الأوربيان : جورج سيسل والكربوكراميين والنربينيين فى ترجمة القرآن الشريف وغيرهم من اقدم فرق النصارى الذى قالوا ان المسيح نفسه لم يصلب وانما صلب واحد آخر من تلاميذه يشـــبهه شـــبها تاما ، وفى انجيل برنابا صرح بأن هذا التلميذ الذى صلب هو يهوذا الاســـخريوطى وهو الذى قالت عنه كتبهم أنه انتحر يوم الصلب لأنهم لم يجدوه والظاهر أنهم لم يعرفوا حقيقة ما حدث ولذلك اخفيت تفاصيل قصته فى سفر الأعمال .

وتولى الدكتور محمد توفيق صدقى هذا الباب بوصفه كان مسيحيا ثم حسن اسلامه ، وأجرى عديدا من البحوث حول عقائد النصرانية وكتب العهد الجديد كما نشر فى تفســـــير القرآن فصلا مطولا عن عقيدة التثليث (م ١٦) .

كما نشرت المنار مقالا مطولا فى الرد على ما نشرته مجلة الشرق والغرب من الطعن على السنة وصحتها والشريعة ومقاييسها فقد طعنت فى السنة النبوية وزعمت أن طعنها يوجب الريب فى الشريعة وترك العمــل بها وانها لا قيمة لها فى نفسها (م ١٩/٩٧) .

٩ ــ واليك نموذج مما كان ينشره صـــــمويل زويمر كبير المبشرين فى البلاد العربية فى الصحف الأمريكية من اكاذيب وأباطيل اســـتدرارا لأموال

الأمريكيين بحجة أنهم سيحصلون على نصر قريب فى بلاد المسلمين وهى خدمة معروفة تقوم بها الارساليات المسيحية فى كل مكان وعصر .

قال : ان الجاحدين من أهل الاسلام أصبحوا الآن مبشرين فى الشرق الأدنى وأن دور الأولياء والكهنة قد انقضى فأصبح المسلمون يرحبون بالانجيل المسيحى وقال ان اللورد رادستوك ألقى فى جمعية الشبان المسيحيين عدة مواعظ وجدت ترحيبا وحفاوة ، فدل ذلك على أن الفرصة سانحة للتبشير بين طبقات كافة المسلمين الذين يمثلون المجموع الأعظم خاصة وان الأبواب التى كان مستعدة أن تفتح ، أصبحت الآن مفتوحة على مصراعيها لقبول الدعوة وقال أنه مما يشجع على ذلك أننا نرى اقبالا لم يسبق له مثيل على تعاليم المسيح من تلاميذ المدارس الابتدائية وحتى معلمى الجامع الأزهر .

فقد جاء فى مؤلف لأحد علماء الاسلام فى القاهرة فصل عن السيد المسيح يبين فيه جلال المسيح وتأثيره العظيم فى التاريخ ، ان الاسلام لا يعترف رسميا بصلب المسيح ولا آلامه فأصبحت خشبة الصلب هى العثرة فى سبيل ايمانهم ولكن هذه التعاليم لم يعد يستغربها عقل المسلم . لقد غلب الاسلام فى ساحة الحرب فأصبح مخدوعا فى مظاهره مضطربا فى برامجه ، وعليه فانه أصبح ناضجا مستعدا لقبول التعاليم المسيحية ، اذ بات يفهم أن الله لم يعد يحارب لأجل الاسلام كما كان يحارب قبلا وان تلك الخطط التى كانوا يلبسونها ستارا من الوطنية لاذلال غير المسلمين من الشعب لم تجدهم نفعا فان اليهودى يرجع الى فلسطين وأصبح المسيحى فى مصر وسوريا يرفع رأسه بعد أن كان ذليلا مهانا . ان الطلاء الأبيض ابتدأ يزول فالمتعلمون من المسلمين يقررون الكتب الافرنسية والانجليزية على الاخص كتابات (لامنس ، كانياتى ، موير ، ملكوليوت) وغيرهم ثم ان خدايجشى من كلكتا ترجم مؤخرا كتاب الدكتور ويل فى تاريخ الاسلام ونشره باللغة الانجليزية منتقدا الديانة الاسلامية اكثر مما كان ينتقدها فى خطاباته وعليه فان الفرصة سانحة للتبشر وبث تعاليم المسيحية » يقول السيد رشيد رضا معلقا :

قد يرى المستشرقون فى هذا الجهاد انتصارا لهم من الفئة المتعلمة من المسلمين الذين أصبحت ميولهم وأفكارهم غير متجانسة مع ديانة آبائهم ،

وقوله ان الطعن قد قضى عليه بكسر الدولة العثمانية واقتسام البلاد العربية هو خطأ محض ، وان أوربا قد جنت بهذه الحرب الوحشـــية ومعاهدات الصلح على المسيحية وعلى المدنية الأوربية أقبح جناية (م ١٩٢١/٢٢ م) .

١٠ — وأشار المنار الى أن مجلة المشرق (الجزويتية) بدأت تصرح بالطعن فى الاسلام اذ زالت الحكومة العثمانية التى كانت تمنعها من التصريح فتتوارى احيانا وراء ما يحتمل التأويل ، هذا وان دعاة البروتستانية فى مصر وغيرها لا يزالون ينشرون النشرات والرسائل الكثيرة فى الطعن فى الاسلام والتنفير منه والدعوة الى دينهم حتى مللنا من النظر فيها . هذه المطاعن من أشد ما ينفرهم من النصرانية ويزيد العارفين بدينهم اعتصاما به ومحافظة عليه .

وأشــــار الى أن مســـألة الوهية المســـيح اصبحت فى بلاد الا نجليز موضوعا لأهم المباحثات والمناقشات بين المفكرين المشتغلين بالمســـائل الدينية والفلسفية ولاســيما رجال الاكليروس الانجليكانى ، على ما نشرته جريدة الديلى تلغراف (م ٢٦٧/٢٣) .

وأشــــارت المنار تحت عنوان (بعثة تنصير المحمدين وبرنامج كيدها للاسلام والمسلمين) قال : فى المانيا أرمنى اسمه الدكتور لسيوس ، قـــدم شهادة ضد الاسلام فى رســـــائل بعث بها مصدر النشرة المدعوة بالشرق المسيحى ، فقد حصلت على مجموعة كاملة للسنة الأولى من مجلة المشرق المسيحى سنة ١٩٠٠ التى تصدرها البعثة الدينية فى ستة مراكز عمـــل فى بلاد الدولة العثمانية واثنان فى بلاد فارس واثنان فى بلغـــــاريا وفى مقال بعنوان (واجبات البعثة المحمدية ومهمتها) وصف قدر الدين الاسلامى وقال ان الاسلام من أشأم ما ظهر فى تاريخ الانســــــانية فهو خليط من الصدق والكذب وهو لذلك أشد خطرا من الوثنية وان الدين المســـــلط على مائتى مليون رأس ليس من السهل التغلب عليه فيجب تحضير خطة دقيقة تكون كأحكم الخطط الحربية وضعا ، لمهاجمته وانفاذ هذه المهاجمة بانجح وسائل التنفيذ . مع ضرورة مراعاة اختلاف أنواع المسلمين ، ولا ننصح بالكف عن العمل لتنصير المسلمين فى البلا دالاسلامية المستقلة ونوصى بالحذر دائما فى

للوسائل لانقاذ من يؤتى بهم الى المسيحية واستخدام الجرائد والنشرات للحملة على الاسلام والترغيب فى المسيحية (م ٧٨٥/٢٤) .

١١ — أشار المنار الى أن القس المحترم الفريد نلسن الدينماركى المقيم فى دمشق وجه أسئلة الى المنار يقول فيها : انه من الواجب على كل متنور أن يعرف الكتاب المقدس الذى أسس عليه تمدن الغرب ، ويقول : هل الأحسن من يتمسك بدين من الأديان بعد الامتناع ويطبق حياته عليه أم الذى يبقى فى دين آبائه بدون اعتقاد داخلى ؟

قال السيد رشيد رضا : ان المبشرين فى مدارسهم الأمريكية وغيرها يشككون الطلاب المسلمين فى دينهم ولا يقنعونهم بالنصرانية فيخرج الكثيرون منهم ملحدين أو منافقين فضلا عن خدمة المدارس ومستشفياتها لمطامع السياسة الاستعمارية حتى قال لورد سالسبرى الوزير الانجليزى المشهور عن مدارس المبشرين انها أول خطوة من خطوات الاستعمار لأن أول تاثيرها احداث الشقاق فى الأمة التى تنشأ فيها فينقسم بعضهم على بعض باختلاف الافكار والشك فى الاعتقاد فتمكن الأجنبى من ضرب بعضهم ببعض وينتهى ذلك بتمكن المستعمرين من نواصيهم وسلب استقلالهم واذلالهم وسلب ثرواتهم .

وقال : ان بناء تجديد الغرب على المسيحية دعوى ممنوعة على اطلاقها وباطلة بالصفة التى يدعيها المبشرون فى هذه الأيام لاستمالة المفتونين بالمدنية الأوربية الى النصرانية بها ، فقوانين الغرب أبعد شرائع الأمم عن شريعة التوراة الا فى القسوة على الضعفاء والمغلوبين ، وآداب أهله أبعد من آداب جميع البشر عن آداب الانجيل من كل وجه ، فمدنية الأمم الغربية مادية شهوانية قوامها الكبرياء والتعالى وعبادة المال والطمع والرياء والاسراف فى الزينة والشهوات فأين هى من أصول آداب الانجيل المبنية على التواضع والزهد .. أما العلوم والفنون وشكل الحكومات المقيدة فلم يكن أثرا من آثار انتشار تلك المجموعة فى بلاد الغرب بل كان من آثار العرب والاسلام ، فما انتقل الى أوربا من الأندلس العربية الاسلامية وما حمله غزاة الحروب الصليبية اليها من سوريا ومصر الاسلاميتين . ثم قال : ان نشر هذا الكتاب كان نقمة ومصيبة على أهل

البلاد التى نعرفها بما احدث من الشقاق والتعادى بين اهلها ، وفاقا لما قرره اللورد سالسبورى وان جميع أهل العلم والبصيرة من أهلنا فى البلاد السورية يعلمون اليوم حقد القوم وأنه ما أفسد ذات بينهم وفرق كلمتهم وحرمهم نعمة الاخوة الوطنية الا مدارس المبشرين ونزعاتهم (م ٢٥×١٨٨)

ولما كان السيد رشيد رضا ملما ومتابعا لكل ما يظهر فى البلاد العربية الاسلامية فقد كان قادرا على الاحاطة بالتيارات المختلفة ، وخاصة ما يتصل بالشـــام ، ذلك أنه ما لبث أن كتب تحت عنوان الاغراء بين النصارى والمسلمين حيث ورد كتاب جديد من بيروت ألفه أحد نصارى لبنان لتأريث العداوة والبغضاء بين أهل وطنه جمع فيه من كتب التاريخ أحاديث جعلها مما ينقمه النصارى من حكومات المسلمين وخاصة ما يتصل باضطهاد أسبانيا لمسلمى الأندلس ويهودها (م ٧٠٩/٢٥) كما أشار الى أن القس بولس مسعد القى عدة خطب ومحاضرات فى مصر وســوريا وفلسطين لدعوة المسلمين فيها الى النصرانية وجمع ذلك فى نسخة .. وزعم أن القرآن يثبت عقيدة التثليث وانها عين التوحيد الذى يدعو اليه وفند المنار كذب هــذه الفرية (م ٧٩٧/٢٥) .

١٢ — وكان من أخطر ما اثير فى هذه المرحلة (عام ١٩٢٧ تقريبــا) ما أذيع عن مشروع بريطانى جديد لتنصـير جزيرة العرب (م ١٤٠/٢٨)

فقــد ترجم المنشـــور الذى أذاعته جمعية تبشيرية فى لنــدن تحت عنوان (يسوع المسيح لبلاد العرب الآن) .

وهى دعوة الى تنصير بلاد العرب التى فيها من أربع ملايين الى اثنى عشر مليونا ولم يدخلها التنصير بعد ، ولم تبلغهم دعوة الانجيـــل ، بلاد العرب ، هى مهد الاسلام وفيها مكة التى هى القبلة لزهاء مائتين وعشرين مليونا من المسلمين يتوجهون نحوها) وقال النداء :

من يذهب الى هناك من حجاج المسيح ويهدى أولئك الحجاج الذين لا يحصيهم عد هداية بنعمة الله حتى يصيروا حجاج المسيح وحده . هــذه دعوة الى أبناء اسرائيل أن يتقدموا الى الأمام الى بلاد العرب . ان الحاجة شديدة الى مائة مبشر يذهبون الى قبائل بلاد العرب المهملة التى لم تبلغها الدعوة بعد ، هناك نحو مائة قبيلة فى بلاد العرب يمكن تبليغهم الدعوة وهم

يسكنون بلادا غير انجيلية مساحتها ثلثا مساحة الهند . « القس باركلين » .

احمل الكتاب المقدس الى العرب . اذهب أنت بنفسك . ارســـل غيرك لا تقطع صـــلاتك لأجل بلاد العرب ، ادع بلاد العرب والعرب الى المســـيح .

« الجمعية العالمية الصليبية للتنصير فى العالم وبلاد العرب (لندن) »

وفى نفس الوقت الذى كان السيد رشيد رضا يدحض الدعوة الضالة، يتحدث عن : (تحول الكنيسة الانجليزية عن التقاليد النصرانية) من جريدة الديلى اكسبريس (٢١ نوفمبر ١٩٢٥) .. حيث قالت ان القس انج ينكر المعجزات : وان هذه قنبلة مصوبة الى قلب الكنيســـة حيث قال القس انج :

« ان مسألة ان المسيح نزل فى جوف الأرض ثم قام من قبره فى اليوم الثالث وصعد الى السماء بجسده ، أليس من اللائق بالكنيسة أن تفـــكر فى هذه المشكلة التى ظلت نحوا من أربعمائة سنة وهى ترغم الناس عـــلى الاعتقاد بهـــا » .

ويشير القس انج فى كتابه تحت اسم (العلم والدين والحقيقة) الى قول اللورد بلفور : ليس بين القراء من يعتقد أن الكتاب المقدس ليس الا كتابا تاريخيا ومرجعا للعلوم الكونية لا يمتاز على غيره الا بأنه موصى به ، والقس انج يسلم بأنه موحى به اما مسألة تنزيهه عن الخطأ فينكرها البتة ويقول : ان بعض العقائد المسيحية أصبحت لا يمكن التصديق بها علميـــا فلا يمكن التصديق بها دينيا . ان معرفة أن الأرض ما هى الا كوكب يدور حول الشمس وهى واحدة من ملايين الأجرام السماوية : ذلك الاكتشاف قد مزق النظرية المسيحية التى تقول بأن الأرض هى مركز العالم وانها كطبق يحدده غطاؤه وقال القس انج : ليس امام المسيحيين الا أن يعتبروا أن هذه الأساطير الدينية لا تتمشى مع روح العلم ولكنها تحمل على أنها رموز عن حقائق أزلية ، وأن تعترف بأن كل التقاليد اللاهوتية المؤسسة على النظرية التى تقول بأن الأرض هى مركز العالم يجب أن تنبذ ما دامت لا تتفق مـــع النتائج العلمية الصحيحة .

١٣ — ولا يلبث اللورد هدلى رئيس الجمعية البريطانية الاسلامية أن يدحض مطاعن المبشرين فى صاحب الرسالة الاسلامية ، فقد نشرت المجلة الاسلامية (اسلاميك رفيو) التى يصدرها خوجه كمال الدين مقالا مطولا بقلم اللورد هدلى الذى اعتنق الاسلام منذ عشر سنين ردا على مفتريات المبشرين حيث قال : انى أشعر بالأسف وانا أقرأ كتابات الارساليات المسيحية عندما أجد أن أحد رجال وطنى يضطر الى الأخذ بالرياء والتمويه والتحريض لكى يقرر آراءه نحو الدين وانه ليذهل أن يرى القارىء الى أى مدى تسير العصابات الدينية المسيحية .

وانظر الى وجه الصورة الآخر : ألا تدهشك رؤية مظاهر روح التسامح والحسنى التى يقررها القرآن وذلك الهدوء الذى يلاقى به المجتمع الاسلامى الحملات القوية العديمة القيمة التى تحمل عليه وعلى ديانته باسم عيسى الكريم أحد أنبيائه ، واذا كانت هناك كلمات شديدة يدافع بها المسلمون عن كرامتهم الا أنهم لم يلجأوا الى مثل هذه التهم الملفقة كى يكون فيها أهم أسلحتهم التى يهاجمون بها خصومهم (م ٢٩) .

كذلك فقد نشرت المنار فصلا مطولا عن أزمة الصلاة فى انجلترا وهو فصل كتبه الأمير شكيب ارسلان . عن موقف البرلمان البريطانى برفضه التعديل المقترح فى كتاب الصلاة مراعاة للتطور الاجتماعى والدينى والسياسى فى الأمم النصرانية وتقريبا للبروتستنتينية من الكاثوليكية أبها وقرر ابقاءه كما هو بالرغم من الوف طلاب التجديد وذلك فى مجال الرد على الدعاوى التى كانت تثار فى البلاد الاسلامية عن أن حكومات الغرب منفصلة عن الدين وأن الدين منفصل عن السياسة وأن أوربا لم تبلغ هذا المبلغ من الرقى الا بفصل السياسة عن الدين وان الحكومات الأوربية لا تتدخل فى المسائل الدينية فى بلادها بل تعدها خارجة عن اختصاصها وقال ان الشرقيين المساكين يصدقون هذه الأقاويل لعدم اطلاعهم على الحقائق . وقد انحصر الطعن الجديد فى كتاب اسمه الصلاة العامة ، وهو كتاب قداس وكتاب مزامير وطقوس ويمتاز بأمور كثيرة عن كتب الكنيسة الرومانية وكان المطلوب أن تلغى الاوراد وطلب الشفاعات والاستغاثات بالقديسين وبمريم العذراء (م ٢٩/٢٠١) .

كذلك اشارت المنار الى دعوة الانجليز لاحياء ذكرى غردون فى السودان بتنصير مسلمى السودان فقد وجه نداء بمناسبة ذكرى مقتل غردون للاكتتاب بمبلغ ٦٠ الف جنيه لتخليد اسمه بعمل هو اشادة كنيسة من أكبر الكنائس التى تنشىء فى بور سودان وعطبرة ووادى مدنى تسمى كنيسة غردون التذكارية (م ٢٩/٧٦٥) .

وقد أنشأ السيد رشيد رضا فصلا مطولا فى العام الثالث والثلاثين بعد أن رفعت الرقابة فى مصر عن تاريخ التنصير والتبشير ومساعدة الحكومة له فقال : ليس فى مصر من الحملة الدولية الصليبية على الاسلام ، كل ما فى المستعمرات الأوربية منها ، ليس منها مسألة كمسألة البربر فى المغرب ، ومسألة العلويين فى سورية . ولا كمسألة التخنيس فى افريقيا الفرنسية كلها ولا كمسألة الجلاء والابادة فى طرابلس الغرب وبرقه اذ لا مجال فيها لهذه الحملات وهى ذات حكومة اسلامية مستقلة بنفسها ، معترف باستقلالها فى جميع الدول ، وما كانت سيادة الدولة العثمانية السياسية عليها الا مزيد حضانة لها ووقاية من هذا النوع من الحرب الصليبية . ثم قال : لقد اعتدى على استقلالها الفرنسيين ثم الانجليز ، وقد اعتدى على استقلالها الفريقان وغيرهما بالتعليم الالحادى وبجميع وسائل التنصير من دعاية لسانية وكتابية وتعلم وتطبيب واغراء واغواء بالمال والشهوات وغير ذلك ، وقد وجدوا من حكومتها المتفرنجة كل مساعدة مالية وادارية على جميع ذلك وكان نجاحهم فى التعليم الالحادى أتم من غيره فهو الذى جعل نفوذهم السياسى والأدبى والاقتصادى يعلو ولا يعلى ويحطم كل ما تحته من نفوذ الحكومة المصرية ومن حرمة للأمة المصرية واشتد هذا النفوذ من عهد اسماعيل باشا الى اليوم فكانت مدارس الأجانب الالحادية والتنصيرية تساعد من الحكومة المصرية بالمال وبهبة المبانى والأراضى وباعفاء ما دبر لها من بلادها من الكتب المراد بها هدم الاسلام وغيرها من رسوم المكس (الجمرك) وكان الوزراء والكبراء ثم الأوساط فالفقراء ما زالوا يعلمون أولادهم ذكرانا واناثا فيها ويفضلون تربية القسيسين والرهبان والراهبات والمبشرين والمبشرات على تربية المدارس المصرية الأميرية وغيرها ، ولم يكن أحد ممن يقدمون بأولادهم فيها يبالى عاقبة هذا التعلم فى جنايته على الدين والدنيا ، أما الدنيا فلأن زمامها فى أيدى هؤلاء الافرنج فصارت تطلب

بالزلفى عندهم وقال لورد سالسبورى : ان مدارس المبشرين أولى خطوات الاستعمار فان اول عملها احداث الشقاق فى الأمة التى ينشر فيها اما الدين فلأنه لم يعد مما يراد فى مصر من التربية والتعليم اذ قررت الحكومة المصرية جعل ما كان واجبا من تعليم والعمل به أمرا اختياريا لا شأن له ولا يطالب التلاميذ به فصار الدين فى مدارسها كالشىء اللقاء (اللقاء بالفتح ما يلقى ويطرح لعدم الحاجة اليه) وهى تعلم ان أمما من الافرنج يجعلونهما من الفرائض القطعية التى لا هوادة فيها يجمعون عليها كل من ابناء دينهم ومن المسلمين . وتعليم الازهر وملحقاته للدين اصبح عقيما فى هذا العصر كما بيناه بالبرهان مرارا واقمنا الحجج اللسانية به على شيخ الأزهر لهذا العهد والخرافات الدينية فاشية فى الأمة من جهة ونزعات الالحاد والتفرنج من جهة ثانية فخلا الجو للمبشرين فى التعليم الدينى بالأساليب العصرية الموافقة لأذهان التلاميذ ومبدأ الدين فطرى فى انفس البشر فان لم توجد من يلقنه من النشء دين الفطرة المعقول قبلوا من يلقنهم اى دين كان قبل الرشد واستقلال العقل . ذلك ولم توجد فى مصر هيئة دينية حكومية ولا اهلية تتولى أمر التربية الاسلامية العامة ومراقبة سيرها فى الأمة والعناية ببث التعليم الدينى السهل والوعظ العام فى طبقات الأهالى ولا سيما تعليم البنات وارشاد الأمهات كالهيئات البطركية والحاخامية عند النصارى واليهود ولم يوجد منها جمعيات اسلامية تتولى ذلك بنظام عام الا ما تجدد فى السنين الأخيرة من الجمعيات الوعظية الضيقة النطاق . وكان اول من فطن من المسلمين بأمر تنصيرهم فى مصر المصلحان العظيمان الأفغانى ومحمد عبده فى القرن الماضى وكانت اول حادثة أن طغمة التبشير الأمريكانية نصرت فتى مصريا وصارت تعرضه للوعظ العام الذى يحضره كثير من المسلمين بكنيستهم فى حى الأزبكية فكبر ذلك على السيد فعهد الى جماعة من الايرانيين بخطفه من الكنيسة ووضعه فى مكان خفى ففعلوا وذهب هو وتلميذه الأكبر الى ذلك المكان واستتابا الفتى واقنعاه بأن الاسلام هو دين الله وسعيا لتلافى هذا الأمر لدى الحكومة فلم يسمع لهما أحد ، وكان الشيخ محمد عبده أول من فكر فى خطر المدارس الأجنبية فى مصر فاقترح على مجلس المعارف الأعلى الذى الف فى مصر بسعيه ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م أن تقرر جعل جميع مدارس الأجانب فى القطر المصرى تحت مراقبة الحكومة ، ثم نكبت

البلاد بالاحتلال الانجليزى اثر الثورة العرابية ففقدت حكومتها كل سلطان لها على التعليم وغير التعليم ، والقيت مقاليد وزارة المعارف المصرية فى يد قسيس انجليزى (ميشر) جعل سكرتيرا لهـا فمستشارا ثم اعترفت مصر بعد الحرب الأولى بالاستقلال مقيدا بتحفظات لا تمس التعـليم الحكومى ولكن الدين الاسلامى لم يزدد بذلك الا ضعفا فى مدارس الحكومة والأوقاف العامة والخاصة وتعارضه قوة دين النصرانية فى جميع المدارس الأجنبية . وبلغ من مساعدة الاحتلال البريطانى لدعاية المبشرين بسيطرتها على الحكومة ان أمر اللورد كتشنر وزير الأوقاف بالغـاء المستشفى الذى بنته الوزارة فى مصر القديمة بجوار مستشفى هرمل التبشيرى لأنه يصرف كثيرا من فقراء المسلمين عنه فيحرمون من التبشير بالنصرانية .

وجرت محاولة لاغلاق المنار لأنه يتصدى بالرد على أراجيف التبشير النصرانى وحاول اللورد كتشنر اغلاق المنار وقال رشيد رضا انه لن يدع الرد على المبشرين ما داموا يطعنون فى الاسلام ويدعون المسلمين الى دينهم لأن الرد عليهم وتفنيد شبهاتهم فرض من فروض الكفاية لا أرى فى البـلاد مجلة أو جريدة تقوم بها فان تركتها كنت آثما كجميع القادرين عليها ، وقالوا ان الدكتور محمد توفيق صدقى شديد اللهجة ويكتب ما يعد طعنا صريحـا فى الديانة المسيحية لا بيانا لعقائد الاسلام ولا مناظرة المبشرين .

ويعود السيد رشـيد رضا بالذاكرة الى المجلد السادس من المنـار (١٩٠٤) حيث قدم عرضا لأخطاء التبشير فقال : لدعاة النصرانية المبشرين عدة مدارس ومستشفيات وصحف فى مصر لا غرض لها الا تنصير المسلمين وقد ساعدتهم الحكومة المصرية على انشاء مدارسهم ومستشفياتهم باسـم نشر العلم وعمل الخير ثم انهم ينشرون فى كل سـنة عـدة كتب ورسائل فى الطعن فى القرآن والنبى عليه الصلاة والسلام وتنفير المسلمين من الاسلام بالاضافة الى النشرات والأوراق الصـغيرة التى ينشرونها فى المستشفيات والخطب التى يلقونها فيها وفى سائر معاهد التبشير . وقد عز عليهم أن يكون للمسلمين فى هذا القطر الاسلامى كله صيحفة اسلامية واحـدة ترد عليهم وتدافع عن الاسـلام فسـعوا بواسطة بعض قناصلهم الى لورد كتشنر

ورغبوا اليه أن يأمر الحكومة المصرية بالغاء مجلة المنار وابطال صدورها ومحاكمة صاحبها هو والدكتور محمد توفيق صدقى .

وقد سألنا فقلنا : اننا اقدمنا على هذا العمل مدافعين لا مهاجمين وان هؤلاء المبشرين قد كتبوا فى الطعن فى ديننا أضعاف ما كتبنا وان هذا الرد واجب علينا شرعا بل هو من فرائض الكفاية اذا لم يقم به بعض المسلمين اثم الجميع . وكما جرى العمل على تعطيل المنار ففى السودان صودر واحرق واستمر المنع حتى عام ١٣٤٥ .

وقال : حدث هذا كله والأزهر لا يبدى ولا يعيد حتى صار القس زويمر يدخل الأزهر ويزور بعض علمائه فى بيوتهم داعيا الى النصرانية حتى كاد يبطش به صديقنا الشيخ على سرور الزنكلونى فى الأزهر واشتهرت الحادثة .

ومما ذكره السيد رشيد رضا فى الرد على كتاب نقولا عبريل فى الدعوة الى النصرانية والطعن فى الاسلام : ان عقائد المسيحيين التى هم عليها من عهد بعيد ماخوذة من عقائد الوثنيين وان ما يسمى التوراة ليست هى التوراة التى شهد لها القرآن الشريف وانما توراة القرآن هى الأحكام التى جاء بها موسى عليه السلام .

الفصل السابع

ما حققته حركة الاصـــلاح من نتائج

— ١ —

توفى الشيخ محمد عبده عام ١٩٠٥ وعاش السيد رشيد رضا بعــده حتى عام ١٩٣٥ وصدر المنار خلال هذه الفترة لم يتوقف عن الاشارة الى حركة الاصلاح التى قام بها الأستاذ الامام ولا عن متابعتها فى جميع ميادينها وتنميتها ودفعها الى الأمام من خلال الأعلام تلاميذ الشيخ المفتى وكان منذ بدأ المنار يشير اليها على أنها « النهضة الاسلامية فى مصر » أو حزب الشيخ المفتى كما وصفها اللورد كرومر — يقول فى المجلد الثانى من المنار :

كان مبدأ هـــذه النهضة فى مصر رجل أعجمى الوطن علوى النسب وهبه الله من ذكاء العقل وذكاء الفطرة ما يندر منه فى الأجيال الكثيرة والقرون الطويلة الا وهو الحكيم الاسلامى الشـــهير السيد جمال الدين الأفغـــانى نور الله مرقده ، قرأ العلوم الاسلامية وأساليبها ومقاصدها وبرع فى الفنون العقلية كالحكمة القديمـــة والكلام والأصـــول ثم نظر فى الفنون الرياضية والفلسفية على طريقة أوربا الحديثـــة وسلك طريق التصوف سلوكا كاملا وأضاف الى علمه الواسع فى التاريخ الاختيـــار بالسياحة ، وعنى أشـــد العناية بدراسة أحوال الاسلام وتعـــرف أمراض المسلمين الاجتماعية التى أرجعتهم عن مقدمة الأمم الى ما وراءها ووقف نفسه على تنبيـــه المسلمين من غفلتهم وارشادهم للقيـــام بواجب شئونهم حتى تلحق الأمة الاسلاميـــة بالأمم العـــزيزة ، ولجأ جمال الدين الى عالم السياســـة وحاول أن يكون الاصلاح من جانب الملوك والأمراء وكان أن سلك فى مصر طريقة الاصـــلاح الملى وهو التربية والتعليم فانبرى له علماء السوء الذين وضعوا فى طريقه الأشواك والعوائر وحاربوه بسلاح الدين فى شبهات ثلاثة :

١ — انه كان يعرف الفلسفة ومتوغلا فى العلوم العقلية .

٢ — عدم التقيد بالعادات التى ألفوها ولونوا الكثير منها بلون دينى .

٣ — ان كثيرا من المترددين عليه والملتفين حوله كانوا لا يبالون أمر الدين .

ثم قال : ان أمثل من اتصل بالسيد من الذين تربوا فى مهد الدين علما وعملا العلامة المفضال الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية وهو الرجل المفرد الذى تشبه نظرته الذكية نظرة السيد جمال الدين وتماثل تربيته تربيته ... الخ .

وفى خلال حياة الشيخ محمد عبده عمدت المنار الى تسجيل رحلاته وخطواته (رحلاته الى الجزائر وتونس) ورسائله الى العلماء والكبراء وتقارير اصلاح التعليم واصلاح المحاكم الشرعية والرد على الطاعنين والحديث عن هجرته الى أوربا واخراج مجلة العروة الوثقى مع جمال الدين ورحلته الى سوريا ودروسه ، والرد على فرح أنطون وعمله فى انشاء الجمعية الخيرية ودراسات عن اتصالاته بفكرة توحيد الأديان وصلته بالمستشرق بلنت وبكرومر . واشار الى أن كرومر فى تقريره عام ١٩٠٥ الذى نشره المنار (م ١٠) قد أطلق على هذه الحركة عبارة « حزب الشيخ محمد عبده : حزب الاصلاح الاسلامى » كما أن المنار كشف فى هذه السنوات وجهة نظر الشيخ محمد عبده فى كل أمور السياسة والاجتماع فكان للمنار موقف مع مصطفى كامل وكان له موقف مع اللواء بشأن العصبية الجنسية ، ومعارضته للشيخ محمد بخيت ومعارضته للمتصوفة واخبار نازلى فاضل (صاحبة الصالون المعروف) الذى كان يضم (سعد زغلول وقاسم أمين ومحمد عبده وغيرهم من المتطلعين الى الحكم فى مصر) كما أنه عرض لموقف كرومر من الجامعة الاسلامية (أبريل ١٩٠٧) وكان فى تقرير لكرومر الأخير قبل استقالته كلام عن الشريعة الاسلامية فحواه أنها لا تصلح لهذا الزمان (وقد رد عليه كثيرون ، منهم فريد وجدى ومصطفى الغلايينى وعلى يوسف) وكلام عن الجامعة الاسلامية وعن دنلوب وموقفه من اللغة العربية واذا كان السيد رشيد رضا لم يعرض لهذه الأمور فى وقتها الا أنه بعد خروج كرومر استفاض فى الكشف عن أخطائها (المنار م ١١) كما نشر كثيرا من تراث الامامين « الأفغانى وعبده » ومنها كتابان سياسيان لهما (م ١٠) .

كما عرض لما أورده كرومر فى كتابه مصر الحديثة عن مصر وعن الشيخ محمد عبده (المجلد ١١) .

وقد أشار فى (المجـلد ٦) بالتفصيل الى رحلة الشيخ محمـد عبده الى الجزائر وتونس وكيف أنها كانت من أجل رعاية حركة الاصـلاح بهما وقد دعا فيها الى الجد فى تحصيل العلوم الدينية والدنيوية من طريقها القريب والجد فى الكسب وعمران البلاد عن الطريق المشروع (الشريعة مع الاقتصاد فى المعيشة) ومسالمة الحكومة وترك الاشتغال بالسياسة . وقال ان الشيخ محمد عبده القى درسا أو خطابا فى تونس على ملا عظيم من العلماء والفضلاء وقال : « قصدت هـذه الديار للتعرف ببعض المسلمين والنظر فى أحوالهم وأمور دينهم من حيث العـلم والتعليم والاعراب عما فى ضميرى مما اتمناه لاخواننا المسلمين من التقدم فى العلم » .

وفى حياة الشيخ محمد عبده اخذ المنار فى نشر تفسـير الشيخ الامام للقرآن بداه فى المجلد الثالث وكانت المنار قدمت فصلا مطولا فى المجلد الأول عن القرآن وارشـاده الى علم الاجتماع وعن السنن الكونيـة فى القرآن وارشاد القرآن الى علم الاجتماع .

كما عرض المجلد الثالث من المنـار لقضية جماعة الصوفية واعتبرها جزء من قضية الاصـلاح الاسلامى فهاجم البـدع والضـلالات والأحاديث الموضوعة عن التبرك وشفاء الأمراض والرقص والتمايل .

كما أورد ما يتصل بتقرير اللورد كرومر عن الشيخ محمد عبده ١٩٠٥ (م ٩) الذى أشار فيـه الى أن الشيخ أفتى المسلمين بما أوجد لهم بابان يحل لهم بهما تثمير أموالهم فى صناديق التوفير من غـير أن يخالفوا الشرع الاسلامى فى شىء . وقال : ان الفئة التى ينتمى الشيخ محمد عبده اليهـا من رجال الاصلاح فى الاسلام معروفة فى الهند أكثر مما هى معروفة فى مصر ومنها الشيخ الجليل السيد احمد خان الشهير الذى أنشا كلية عليكره فىالهند منذ ثلاثين عاما والغاية القصوى التى يقصدها رجال هذه الفئة هى اصلاح عادات المسلمين القديمة من غير أن يزعزوا أركان الدين الاسلامى أو يتركوا الشعائر التى لا تخلو من أساس دينى فعملهم شاق لانهم يستهدفون دائما لسهام نقد الناقدين وطعن الطاعنين من الذين يخلص بعضهم النية فى النقد ويقصد آخرون قضاء أغراضهم فيتهمونهم بمخالفة الشرع وانتهـاك حرمة الدين ، أما مريدو الشيخ محمد عبده فهم بالنظر الى النهضة الملية بمنزلة

الجيروندست فى الثورة الفرنسية فالمسلمون المتنطعون المحافظون فى كل قديم يرمونهم بالضلال والخروج عن الصراط المستقيم ، وان السبيل الذى أرشد اليه الشيخ محمد عبده هو السبيل الذى يؤمل رجال الاصلاح من المسلمين الخير منه لبنى ملكهم اذا ساروا فيه فأتباع الشيخ محمد عبده حقيقون بكل ميل وعطف وتنشيط من الأوربيين .

وقد اشار السيد رشيد رضا من بعد الى موقفه الصريح من هذه الأمور بعد أن اصدر كرومر كتابه « عباس الثانى » قال : وآملت منه ما شف عما كان منطويا عليه من التعصب الدينى الذى كان يخفيه بالرياء الفرنسى الذى يوصف به البريطانيون واظهر للناس أن من اصول سياستهم ظلم كل مسلم تربى تربية اسلامية وتخلق بأخلاق الاسلام بابعاده عن مناصب الحكم فى بلاده وحصر هذه المناصب فى المتفرنجين بالتربية الأوربية الذين رماهم اللورد نفسه فى كتابه « مصر الحديثة » بأقبح النعوت ونبذهم بشر الألقاب حيث قال (١) : « من الواضح أن المسلم غير المتخلق بأخلاق الأوربيين لا يقوى على حكم مصر فى هذه الأيام ، ولذلك سيكون المستقبل الوزارى للمصريين المتربين تربية أوربية » ، هذه السياسة قد لقنها المسيطرون البريطانيون للموظفين المصريين بالعمل فصار يعرفها كل واحد .

وأشار السيد رشيد رضا فى هذا المجال الى أن سعد زغلول (الذى رباه الاستعمار وكان أول وزير معارف مصرى فى عهد كرومر والذى مدحه كرومر فى خطاب الوداع) يقول رشيد رضا ان سعد زغلول هذا — وهو يراه من أكبر تلاميذ الشيخ محمد عبده — قد اشتهر بالتساهل الدينى بما لم يشتهر به غيره من الوزراء وكان هو الوزير الذى أدخل تعليم الدين المسيحى فى مدارس الحكومة فى عهد وزارته للمعارف والقبط يعرفون انه اذا تم الاستقلال لمصر على يده وكان صاحب النفوذ اللائق فان حظهم منها سينيلهم ما لم ينالوا فى عهد الاحتلال (المنار ٢٢) وكان الانجليز آمنين من انقلاب سياسى فى البلاد بسعى الذين يتربون على الطريقة الافرنجية

---

(١) أشار اللورد كرومر الى أن تجربة تولى رياض باشا للوزارة قد فشلت لأنه رجل مسلم وقال ان فشل تجربة رياض باشا لقنتنى درسا هو أنه لا فائدة فى محاولة قيادة الراى الاسلامى فى مصر بواسطة رجل مثل رياض باشا .

ولاسيما الانجليزية لاعتقادهم ان هؤلاء لا يهمهم غير اهوائهم وشـــهواتهم الشخصية .

واشار رشيد رضا الى ان الشيخ محمد بخيت كان من اقوى انصار الاحتلال فى عهد الحماية وانه حين ولى منصب افتاء الديار حزم الســلطة المحتلة الى خدمته فقد حذفوا اسم السلطان العثمانى من خطبة الجمعة ، وكان الشيخ بخيت ضـــد اشراك الأزهريين فى الحركة الوطنية وقد اتفق مع السيد عبد الحميد البكرى شيخ مشايخ الطرق وايدوا سعدا » ا . هـ .

هذا وقد تابع السيد رشيد رضا فكرة الاصلاح وعمل على اخراجها الى حيز الوجود فى صيغة جماعة الدعوة والارشاد التى انشاها عام ١٩١١ (م ١٤) وضمت محمود سالم ، حسن والى ، محمود انيس ، احمد زناتى ، عبد الوهاب النجار ، محمد سعودى ، محمد لبيب البتانونى ، محمد توفيق صدقى ، محمد المهدى واعلن ان مقصد الجماعة انشاء مدرسة كلية باسم دار الدعوة والارشاد لتخريج علماء مرشدين قادرين على الدعوة الى الاسلام والدفاع عنه والارشاد الصحيح وارسالهم الى البلاد الشديدة الحاجة اليهم على قاعدة تقديم الأهم على المهم ، وقد اثار هذا المشروع خلافات واسعة بين السيد رشيد وبين المؤيد والحزب الوطنى ، واتهموه بانه عرض مشروعه على المندوب البريطانى فى مصر ، وكان قد حاول تنفيذ هذا المشروع اولا عن طريق الدولة العثمانيــة فى أول حــكم الاتحاديين ١٩٠٩ ولكنهم ردوه فى اسلوب لم يكشفوا فيه عن خصومتهم للاسلام وكان السيد رشيد قد كشف خصومته للحزب الوطنى (وجريدة اللواء) وخاصة بعد وفاة الشيخ محمد عبده ونقد ما كتبوه عنه بعد وفاته وكان مما يبدو ان الخلاف مع السيد رشيد متصـــل بجماعة السوريين الذين يصـــدرون الصحف (المقطم والأهــرام والهــلال) .

— ٢ —

ويمكن القول بان حركة الاصلاح حققت هدفها تماما من حيث جمع كلمة المسلمين على قاعدة أهل السنة والجماعة واحيت مفهوم الاسلام الصحيح ونشرته المنـــار من المغرب الى جاوة وكونت انصـــارا للفـــكرة الاسلامية السلفية لم تتوقف عن الاتصال بالمنـــار وارسال فتاويها واسئلتها والكشف

عن تحديات القوى التغريبية والمضللة وانها صنعت المسلم الغيور على دينه الراغب فى أن يكون الاسلام هو منهج حياة امته ، المدافع عنه امام التيارات الوافدة ، وانها كشفت عن تحديات النفوذ الأجنبى ازاء حقيقة الاسلام عن طريق التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة (البهائية والقديانية) وانها وضعت فى ايدينا جميع خيوط التحديات التى ما زلنا نواجهها حتى اليوم وبعد أن توقف المنار باكثر من خمسين عاما (١٩٨٢ م) (١٤٠٢ هـ) بحيث يمكن القول بأن دراسة هذه القضية فى العصر الذى نعيش فيه وفى أوائل القرن الخامس عشر لا يمكن أن تنفصل عن جذورها منذ عام ١٣١٥ هـ يوم صدور المنار وخلال عقوده الثلاث .

٢ — كذلك فقد أحيت المنار مفهوم اهل السنة والجماعة بعرض الفكر الأصيل للاسلام وكشفت زيف المفاهيم الفلسفية والباطنية والتصوف الفلسفى وجمع كلمة المسلمين على قاعدة السنة والجماعة وقد أشار السيد رشيد رضا (المجلد ٢٢) الى قواعد بناء الاصلاح الاسلامى فاجملها فى عدة نقاط :

١ — الاعتراف باسلام كل مذعن كما اجمع عليه المسلمون فى أمر الدين .

٢ — بث الدعوة للعمل بهداية الكتاب والسنة الصحيحة وسيرة السلف الصالح منها كما اثبته علماء الحديث بالأسانيد المعتمدة وترك ما خالفه من افكار المتكلمين وآراء الفقهاء .

٣ — عدم التعصب لبعض المذاهب على بعض وذلك بأن نعذر كل متبع لامام من ائمة السلف المجتهدين فى حكم من الأحكام من ائمة آل البيت كزيد بن على والصادق والباقر وائمة فقهاء الأمصار كأبى حنيفة ومالك والشافعى واحمد وائمة الصوفية كالجنيد وعلماء الصحابة والتابعين بالأولى ولا يكفر مسلما مذعنا بذنب ولا بدعة ارتكبها بجهل أو بشبهة اتباع امام أو تأويل ، ومتى زال التعصب تكون المناظرة بين المختلفين فى ذلك بالدليل الشرعى مع الأدب والاقرار واتقاء الشقاق والتفرق بين المسلمين .

٤ — الاستعانة بارشاد الكتاب والسنة على الاصلاح الدينى مع تحصيل العلوم والفنون التى ترتقى بها الزراعة والصناعة والتجارة .

(م ٢٢) .

ويقول السيد رشـــيد رضا : ان المنار فى جمعه وتفصيله دعوة الى الاصلاح الاسلامى المبنى على أساس اتباع جمهور السلف الصالح فى امور الدين رواية ودراية وعملا بلا زيادة ولا نقص واتباع ما تقتضيه المصلحة ويثبته العلم والاختبار فى أمور الدنيـــا .

ومن اهم اعمال المنـــار فى هذه الوجهة احياء كتب ابن تيميه وابن القيم والشوكانى والنقل منهـــا والاستشهاد بها يقول : ان كتب هؤلاء العلماء الأعلام من افضل ما اطلعت عليه من كتب علماء الاســـلام من حيث انهم جمعوا بين العلم بالكتاب والسنة رواية ودراية وبين الاطـــلاع على كتب مذاهب علماء الأمصار الذين يقلدهم الناس وغـــيرهم ولم يلتزموا التعصب لامام معين ولا لأهل مذهب بل محصوا الأدلة ورجحوا ما كان اقوى فكتبهم أحق بالاستفادة منها من كتب المقلدين لمذهب معين يتمسكون بأقوال اهله ، وان خالفت النصوص الصريحة والأحاديث الصحيحة واكثرها خلو من الادلة مطلقا أو ادلة المخالف وانما ينهى بعض المقلدين للمذاهب المشـــهورة عنها كما ينهون عن العمل والفتوى بمذاهب الصحابة والتابعين بغير حجـــة ، ولو خرج احد الأئمة الأربعة من قبره ورأى هذه الكتب لفضلها على جميع كتب المقلدين له لأنها قلما تخالف غيرها الا بترجيح حديث صحيح على ضعيف أو على قياس وهذا أصل مذهبهم كلهم رضى الله عنهم .

ولكن المنتمين الى مذاهبهم اتخـــذوا اقوالهم واقوال كبار اصحابهم أصولا فى التشريع ودلائل على حكم الله ويوجبون تقليدهم فى كل ما روى عنهم وان خالف نصوص الشارع أصولهم التى بنوا عليها مذاهبهم وكلهم يبـــدأ من ذلك . ويقول : السنة وآثار الصحابة قد نقلت نقـــلا اصح من نقـــل المذاهب بالأســـانيد التى وضعت لها كتب الجرح والتعديل وعلل الحديث وشروحه وهى أصل هذه المذاهب كلها بعد القرآن ، فلماذا لا يكون العمل بها هو المقدم على كتب الفقه التى تكثر فيها ادلة الأقيسة والرأى التى اختلف علماء السلف فى الاحتجاج بها ولا سيما قياس السنة وما فيه من مسالك العلة التى يتعذر اثبات شرعيتها .

وثانيا : انهم قالوا ان اختلاف العلماء رحمة للأمة فلماذا يضيق باب هذه الرحمة عليها بحصر الاستفادة بواحد يحرم الاستفادة من غيره بتسميته

تلفيقـــا وتخالف السلف الصالح الذين كان عوامهم يستفتون كل عالم يوثق بعلمــــه » .

وفى موضع آخر أشـــار الى مؤلفات ابن تيميه وابن القيم فقـــال : « انها من أفضل ما كتب علماء الاسلام هداية وتحقيقا وانطباقا على الكتاب والســـنة بل لا نظير لها فيما نعرفه من كتب المسلمين فى مجموع مزاياها ، فانها ألفت بعد نشوء البدع فى الأمة وتعدد العلوم وكثرة التأليف فى المعقول والمنقول . وكان أكثر العلماء مقصرون فى علم السنة وآثار السلف الصالح وأكثر الحفاظ وعلماء الرواية مقصرون فى العلوم العقلية فبعـــدت الهـــوة بين الفـــريقين وكثر الخلط والخبط فى علوم الشرح حتى جاء أول هـــذين الشيخين (ابن تيمية) فكان ممن جمع الله لهم من ســـعة العلم والتحقيق فى جميع العلوم النقلية والعقلية من شرعية وروحية ولغوية وعقلية مع جودة الحفظ وقوة الاستحضار وملكة الاستنباط ولا نعرف له نظير فى هذا الجمع ، وقد خرج علماء كثيرين كان الوارث الكامل له منهم « ابن القيم » ولا سيما فى العلوم الشرعية فكانت كتبهما كتب اصلاح وجمع بين المعقول والمنقـــول واقوى رد على من خالف السنة وسيرة السلف الصالح لا يعرف لها نظير فى ذلك فلو اهتدى المسلمون علما وعملا لأماتوا البدع وأحيوا السنن ولكنهما غير معصومين من الخطأ ، فقد أنكرنا عبارة للأول تابع فيهـــا غيره من غير أن يتنبه الى حاجة الى الاستقلال فى الاستدلال علما وخالفنا الثانى فى مسألة اهداء ثواب الأعمال الى الموتى فى تفسير آخر سورة الأنعام (م ٢٤) .

وعاود السيد رشيد الحديث عن ابن تيمية وهل هو أعلم من الأئمة الأربعة (م ٢٨) فقال : ان لأئمة الفقه الأربعة فضلا على الشيخ أحمـــد تقى الدين بن تيمية لأنه لم يصر فقيها الا باطلاعه على فقههم ، كما أن لأئمة الحديث كأحمد والشيخين وأصحاب السنن الأربعة وغيرهم فضـــلا عليه فانه لم يكن يتحدث الا بكتبهم ، ولقد كان مثل مالك والشافعى وأحمد أصح فهما للكتاب والسنة فيما أعتقد ، وقد حدث بعد الأئمة الأربعة بدع خلع عليها مبتدعوها ثيـــاب زور غريب عن الدين ، فاتبعهـــا خلق كثير من المسلمين منها ما جاء فى شبهات الفلسفة ومنها ما جاء فى تصوف الهنود ومنها ما كان من وضاع غلاة الشيعة الظاهرية والباطنية وكان شيخ الاسلام ابن تيمية

من أعلم الناس ان لم يكن أعلمهم بمثارات هـذه البدع وشبهاتها ومنتحلتها ومن اقدرهم على بيان وجوه مخالفتها للدين الاسلامى والاستدلال على بطلانها ولم يكن الأئمـة يعرفون ذلك لأنه لم يكن فى زمنهم الا بعضـها ، فالأمـة الاسلامية محتاجة الى شىء من علوم ابن تيمية لا تجـده فى شىء مما روى عن الأئمة رضى الله عنهم ، واهمه بيان حقيقة التوحيد وهدم قواعد الشرك والبدع ورفض شبهات أهلها وقد نفع الله بعلمهم وهديهم اضعاف من انتفعوا به وهذا أمر عظيم مثاله فى المتأخرين الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأولاده واحفاده الذين يظهر من كتبهم ان الشيخ عبد اللطيف كان اوسع علما بفنون العربية واصول الفقه وفروعه ومصطلح الحديث من جده شيخ الاسـلام ولكن جده هو الذى هدى الى العلم الواسـع الدقيق بتوحيـد الله تعالى الذى هو اساس الاسلام وقام بالدعوة وهدى الله به الألوف ومئات الألوف .

— ٣ —

كذلك كان من أهم ما حققته حركة الاصلاح من ثمار هو : دفع الأزهر الى الأمام فى مجـال التربية والتعليم واخراجـه من الدائرة المغلقـة التى كان يعيش فيهـا فقـد سـعى الشـيخ محمـد عبـده الى اصـلاح الأزهـر وانهاضـه ودعا الى اصـلاح التعـليم وادخـال العلوم والفنون الطبيعية والرياضـية التى تدرس فى مدرسـة القضـاء الشرعى فى الأزهر ، وكان الأستاذ الامام قد وضـع أساس نظام مدرسة القضاء الشرعى بعد اضطراره الى ترك الأزهر ويأسه منه باضطهاد الأمير ومقاومته وجمود شيوخه وبغضهم وعجزهم (م ٢٩) . قال السيد رشيد : ان محاولة الشيخ الامام بجعله عضوا عاملا تشعر الأمة والحكومة بالحاجة اليه وعدم الاستغناء عنه بل كان يطمـع فيما فوق ذلك ان يجعله عضـوا رئيسيا فى بنية الأمة الاسلامية لا فى بنية الشعب المصرى وحده .

وقد نشأ من حزب الاصلاح من استطاع تحقيق ما طمح اليه الشيخ محمد عبـده عندما جاء الشيخ محمد مصطفى المراغى كما يشـير الى ذلك السيد رشيد رضا فيقول : « توجهت همة الشيخ المراغى الى الاصـلاح بقسميه الدينى والدنيوى وقبول خريجى الأزهر اساتذة للتعليم فى مدارسها وغير ذلك من وظائف الحكومة التى كانوا محرومين منهـا ففتح لهم أبواب العمل بالشرف والكرامة ، كما فتح لهم أبواب خدمة الدين بالوعظ والارشاد

والدعوة الى الاسلام ، وقال ان من آثار ذلك ارسال بعثات من عشرين طالبا الى الجامعات الاردية وانشاء مكتب لتعريب الكتب التى لها ارتباط بالتعليم فى الأزهر وانشاء مجلة دينية وجوائز لتاليف كتب فى العلوم التى تدرس فى الأزهر » .

وفى هذا المجال اشار السيد رشيد رضا الى ما حدث عام ١٩١١ (م ١٤) من الحاق الأزهر بالحكومة ، فأصبح من المصالح التابعة للحكومة كسائر مصالحها وهذا ما كان يتقيه ويحذره الأستاذ الامام .

— ٤ —

كذلك فقد كشفت حركة الاصلاح عن زيف القانون الوضعى وحملت لواء الدعوة الى احياء الشريعة الاسلامية واعادة تطبيقها ، وقد كان هذا العمل يجرى فى دقة وتسلسل ضعيف نتيجة ظروف النفوذ الأجنبى المسيطرة ، فقد عرض السيد رشيد رضا كتاب على أبو الفتوح « الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية » باستفاضة واهتمام كبير (م ٨) : لا يظن كثير من الناس حتى من المسلمين انفسهم أن المبادىء المقررة فى الشريعة الغراء لا توافق هذا الزمان الذى بلغ فيه الانسان من التمدن والترقى درجة رفيعة ويتوهمون أن الأحكام والروابط الموجودة فى القوانين الحديثة الوضعية لا تقابل لها فى الأصول الاسلامية وانما هى بمثابة الاختراعات المادية الجديدة التى أنتجها فكر علماء الغرب لم يسبقهم بها أحد ولكن الباحث فى الفقه الاسلامى لا يلبث أن يغير هذا الظن ، ويتحقق من أن أسلافنا وصلوا الى الرفاهية فى تقرير المبادىء العمرانية والاجتماعية والقضائية ، شأوا قلما يجاريهم فيه أحد الا أن صعوبة كتب المتأخرين وكيف تاليفها ، وما هى عليه من التعقيد قد أوصدت الباب فى وجه من يريد الوقوف على حقيقة الشريعة الغراء غير المتعشطين لدراستها ولذلك أشير على من يسلك هذا الطريق أن يقصد التآليف القديمة لأنها أسهل موردا وأغزر مادة مع خلوها من التعقيد ، وبعدها عن المشاغبات اللفظية ، اذكر ذلك على اثر مطالعتى لكتاب « الخراج للامام أبى يوسف — ١٨٢ هـ » عثرت فيه على درر كثيرة لا ابخل بنظمها فى هذه المقالة حتى يرى المسلمون وخصوصا المشتغلون بالقوانين الافرنجية أن المتقدم لم يترك شيئا للمتأخر ، ولعلهم

ينكبون على دراسة الشريعة والآداب الاسلامية لأنهما لا ينافيـــان العصر الحاضر وما أجـــدر الحكومات الاسلامية باستنباط قوانينهـــا وأحكامها من الشريعة مع اختيار القول الأكثر مناسبة للزمان والمكان لتكون هذه القوانين والأحكام أكبر احتراما فى النفوس وأكثر موافقة لأخلاق وعوائد من صنعت لهم . وقال : ان مجلة الأحكام العدلية التى ألفها جماعة من المسلمين أحسن من القانون المدنى الفرنسى وقد أمر السلطان العثمانى بالعمل بها وابطل به الامتيازات الأجنبية، فلماذا لم تتبعه الحكومة الخديوية بل اختارت على أحكام الشريعة الاسلامية قانون الحكومة الفرنسية ، كلنا يعرف السبب هو طمع اسماعيل باشـــا بالاستقلال والانفصـــال عن الدولة بمساعدة أوربا التى يتزلف اليها باتباع خطوات مدنيتها » .

كذلك فقد اشار الى كتاب الشيخ رضوان شافعى المتعافى : الجنايات المتحدة فى القانون والشريعة حيث حاول فيه بيان مقدار المماثلة بين قانون العقوبات الأهلية وشروحه وبين الشريعة الاسلامية وقال المؤلف : قلما يوجد فى قانون العقوبات حكم لا يوجد له نظير فى كتب الفقـــه مثله أو خير منـــه فلا عذر اذاً لحكومة اسلامية كحكومة مصر أن تســـتمد قانونها من كتب الافرنج دون كتب الفقه الاسلامى وهى تجد كل ما يحتاج اليه لحفظ الأمن وتأديب المعتدين فى كتب الشرع الدينى الذى ينسب اليهـــا دولتها وتدين الله به .

وفى هذا الصدد نشرت المنـــار محاضرة الشيخ على سرور الزنكلونى عن نسخ الشريعة المحمدية لما قبلها (م ٣١) حيث أشار الى حقائق الشريعة الاسلامية وضرورة تطبيقها .

— ٥ —

الكشف عن مفهوم الجامعة الاسلامية التى كان يخشاها اللورد كرومر ويحذر منها ويشير السيد رشيد رضا الى أن تاريخ الجامعة الاسلامية يعود الى انشاء العروة الوثقى ، حيث دعت المسلمين الى الوحـــدة الصحيحة وأن يجعلوا امامهم الأعظم « القرآن الكريم » وأرشدت العلماء الى اقامة البدع واحياء السنن كما أرشدت الملوك والأمراء ولا سيما المختلفين فى المذهب كأهل السنة والشيعة الى الاتحاد والاتفاق وأن لا يجعلوا الخلاف الفرعى

فى الدين من أسباب التفرق والانقسام . وان العروة الوثقى لهـا أثر كبير ماهتز لها العالم هزة لو طال عليها العهد لزلزلت لها الأرض زلزالا ولنفر المسلمين الى الاتحاد خفافا وثقالا . قال الأستاذ المفتى محرر الجريدة : حدثنى بعض أهل العلم من بغداد اذ قال : كنا نقرأ العدد من العروة الوثقى فى مجلس السيد سليمان أفندى نقيب الأشراف فيتفق رأينـا على أنه لابد أن يظهر فى العالم الاسلامى عمل كبير قبل أن يصدر العدد الذى بعد هذا ، ولو طال الأمد على جريدة العروة الوثقى لحدث فى العالم انقلاب مهم ولهب المسلمون من رقادهم ونشطوا لاسترجاع مجـد آبائهم وأجدادهم . كانت العروة الوثقى قبسا من نور القرآن ونفحة من روحه وجدولا من ينبوعه ، خافت الدولة الانجليزية يومئذ مغبة الأمر ولم تكن أقدامها قد استقرت فى مصر فحملت حكومة مصر على منعها من دخول البـلاد المصرية كما منعتها هى من البلاد الهندية ، وكان هـذان القطران أهم موارد امدادها . ثم أنشأ نابغة الخطباء والكتاب « عبد الله نديم » المصرى مجلة الأستاذ ١٣١٠ هـ وكتب فيها المقالات الطنانة الرنانة فى تنبيه المسلمين الى الأخطار المحدقة بهم ولسائر الشرقيين وتنشيط هممهم لتلافيها ، ولكن أخرج النديم من مصر لأن جريدته تنفـخ روح التعصب الدينى ، وفتر الـكلام الذى يرمى الى « الجامعـة الاسلامية » حتى أنشأ المنـار لاحياء تعـاليم العروة الوثقى فوضعنا قاعدته على أساسها وأضـأنا قمته بنبراسـهـا الا ما كان فيها من السياسة التى تتعلق بالمسألة المصرية والتحريض على الانجليز أن المنار وافق العروة الوثقى فى تعاليمها الاجتماعية وقواعدها التى وضعتها للوحدة الاسلامية وخالفها فى وجهة السياسة المصرية وزاد عليها البحث فى جزئيات البدع وتفصيل القول فى التعاليم الفاسدة والعقائد الزائفة والتربية المقيدة.

قال صاحب الأهـرام : ان فى طريق هـذه الخدمة خطرا عظيما ، وهو مقاومة أوربا للمسلمين اذا هم حاولوا الترقى من جهة الدين ، وقد كاشف برأيه هذا بعض أكابر علماء الاسـلام العارفين بالسياسة (يقصد الشيخ محمد عبده) فراجعه العالم القول وكتب يومئذ صورة هذه المذكرة فى اجتماع واطلع عليه كاتب هذه السطور بعد ذلك وكنت فى صحبة الأستاذ صاحب المؤيد ولم نتفق على نتيجة واحدة . وفى هذه السنة كثرت الكتابة فى تنبيه المسلمين فنشر المؤيد كثيرا من المقالات لكتاب من المسلمين فى الشرق والغرب

وكتبت الأهرام والمقطم عن الجامعة الاسلامية وناقشهما المؤيد فيما كتبا .

وأنشأ اسماعيل عصبرنسكى فى بلاد روسيا جريدة أسماها «ترجمان» جعل جل مباحثها فى الشئون الاسلامية وأنشأ مدرستين لتربية أبناء المسلمين .

وقال : ان الأهرام والمقطم متفقتان على أن الدعوة الاسلامية باسم الدين مضرة وغير موصلة الى الغاية وأنه لا سبيل الى ترقى الأمة الاسلامية الا باتباع خطوات أوربا كما فعلت اليابان ، وقال المؤيد ان مسلك الكتاب المسلمين فى الدعوة الدينية مفيد كما أن الأخذ بالفنون والصنائع الأوربية مفيد واقترح عقد مؤتمر اسلامى فى دار الخلافة العظمى : وتعميم التربية والتعليم وانشاء الجمعيات والشركات والمنتديات وتكثير الجرائد باللغات التى ينطق بها المسلمون ، والعناية بالقوة الحديثة وتعليم النساء بخصوصهن .

وقال صاحب المنار : ان من يدعى « مسلم حر الأقطار » كتب فى المقطم يأسف لبناء الدين الاسلامى وزعم ان الدين والدولة أمران متباينان يجب أن ينفصل أحدهما عن الآخر ، وأبلغ قول يشير الى أحكم رأى لمحو السلطة الاسلامية من لوح الوجود فقاتل الله قائله ... (المنار ١٨٩٩) .

وعاود السيد رشيد رضا قضية الجامعة الاسلامية مرة أخرى يونية ١٩٠٠ (م ٣) فأشار الى أن جريدة التيمس قالت ان السبب فى هذه الحركة الاسلامية هى شدة تحامل الأوربيين على المسلمين وذكرت من هذه الجزئيات مقالات هانوتو — والرسالة التى نشرها القسيسون فى مصر وسموها : أيهما المسيح أم محمد ، وأشارت جريدة التيمس بوجوب كف الأوربيين عن التعرض للدين الاسلامى وقالت انهم عادوا بعد ذلك للكلام عن الجامعة الاسلامية ومزج السياسة بالدين وقال : وتعلم التيمس كما يعلم جميع ساسة أوربا وعلمائها أن المسلمين لا وطنية ولا جنسية الا فى دينهم . وان الذين تربوا فى مدارس الأوربيين حاولوا اقناع المسلمين بأن نجاحهم وسعادتهم فى الرابطة الوطنية وشقاءهم فى الرابطة الملية التى يطلقون عليها عند الذم فقط : لفظ التعصب الدينى .

وفى فصل آخر عن (أوربا والاصلاح الاسلامى) قال : يظن الأوربيون

ان الأمة الاسلامية قد قضى عليها فلا يرجى لها حياة اجتماعية فلما رأوا بعض اعضاء هذه الأمم تحركوا ، ذعروا ودهشوا ، انهم يروعهم اسم الاسلام والجامعة الاسلامية والاتحاد الاسلامى ويظنون أن وراءها غارات تشن وحروب تشن وتعصبا يدمى .

***

ويصور السيد رشيد رضا خطوات الاصلاح فى المجلد العاشر من المنار فيتحدث عن اجتماع الشيخان فى باريس حيث أصدرا العروة الوثقى حيث كان تطلب سياستها دعوة علماء المسلمين وعقلائهم الى النظر فى أحوال المسلمين العامة وارشادهم الى ما ينهض الى مجاراة الأمم العزيزة ، وكان من رايهما أن يشتغل بذلك اهل كل قطر فى قطرهم بالتعاون بينهم وأن يكون لهم مجتمع عام فى الحجاز .

يقول : ولما انشأت المنار اقترحت على مقام الخلافة تاليف جمعية اسلامية فى مكة المكرمة يكون لها شعب فى كل قطر اسلامى ، وما تقوم به هذه الجمعية من الاصلاح فى العقائد والتعاليم الدينية والأحكام القضائية والمدنية ومن تلافى البدع والتعاليم الفاسدة (وان ابراهيم بك نجيب قد اخذ من هذا ما أودعه فى مقالاته التى كان ينشرها فى جريدة اللواء تحت عنوان حماة الاسلام) ثم ان عبد الرحمن الكواكبى قدم الى مصر ١٣١٨ ونشر بها كتاب سجل جمعية أم القرى الذى صور فيه انعقاد تلك الجمعية المقترحة خفية دون علم الحكومة العلية فى مكة فى موسم ١٣١٦ ، كل هذا كان الاصلاح الدينى ممزوجا بالاصلاح السياسى على المنهج الذى جرى عليه المسلمون من اشتمال الدين على كل شىء . وجه الامام ذهنه بعد مفارقة السيد جمال الدين فى أوربا دعوته هو الى سوريا ثم الى مصر يحاول الوصول الى اصلاح حال المسلمين باقناع الحكومة بسلوك الطريقة المثلى لتربية المسلمين فكتب ثلاثة لوائح (١) احداها لاصلاح المملكة العثمانية عامة قدمها الى شيخ الاسلام بالاستانة ١٣٠٤ ليقدمها للسلطان (٢) والثانية لاصلاح التربية الدينية والتعلم فى مصر ولم تعمل الحكومة العثمانية ولا المصرية بما اقترحه عليهما ولو عملت احداهما به لعملت ما يعجز عنه كل جمعية ومؤتمر لاصلاح الدين . وفى السنين الأخيرة استقر

رأيه على اليأس من حكام المسلمين وحصر الرجاء فى عقلاء أهل العلم والفضل يدعون الى الاصلاح حيث يجدون حرية مع تجنب السياسة ظاهرا وباطنا ، ومسالمة أهل السلطة سرا وجهرا والرضى منهم بعدم معارضة الاصلاح فى العقائد والأخلاق والآداب وروابط الاجماع الأهلية والقومية ، وكان يرى أن هذا ميسر للمصلحين العقلاء من حكام المسلمين الأوربيين ، وجاء مصر بعد ذلك اسماعيل عصبرنسكى صاحب جريدة ترجمان التركية (بلاد القرم) واقترح تأليف مؤتمر اسلامى ينعقد فى مصر للبحث فى الأسباب التى كان بها المسلمون متأخرون عن غيرهم من الأمم وشرط ألا يطرق باب السياسة بل تحصر فى الأسباب الاجتماعية والاقتصادية .

(٦)

ويمضى صاحب المنار فى طريقه عاملا على القواعد التى قررها فى هذه المجالات جميعا ، غير أنه لا يلبث بين آن وآخر أن يذكر مريدى الاصلاح بما يجب عليهم لدفع عجلة حركة الاصلاح الى الأمام فيقول فى المجلد ١٣ من المنار : المنار يذكر مريدى الاصلاح بوجوب التعاون فبادروا الى اغتنام فرصة الزمان وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان وما ذاك الا أن يجتمعوا على حتهم ويوحدوا طريق التربية والتعليم فى الجمع من علوم الدنيا والدين قبل أن يغلبكم على الأمة أهل التربية المادية المضطربة ، والتعاليم التقليدية المذبذبة التى تحولهم عن التقاليد الاسلامية الى التقاليد الافرنجية فهم يدحرجون الأمة من تقليد الى تقليد . ان الاسلام نائم فى قلوب العامة فيحتاج الى الايقاظ وقد كثرت صيحات الموقظين ، على أننا لا نجالد أعداء الاصلاح بسيف ولا سنان ، وانما نجالدهم بالحجة والبرهان ونحاكمهم الى السنة والقرآن ونصبر على ما أذونا ونحسن اليهم وان أساءوا الينا ولكن لا نترك أمر الأمة فى التربية والتعليم يتنازعه التفرنج الحديث والجمود القديم .

ثم يقول : يا أهل القرآن : ان القرآن كان حجة لكم فصار اليوم حجة عليكم ، أخبركم الله فيه ان الأرض يرثها عباده الصالحون وان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، وأن حقا عليه نصر المؤمنين وأن الله تبارك وتعالى وعد الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم فى الأرض وقال : ولن

يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا فما بال الناس يرثون أرضكم ويخلفونكم فى ملككم ، وانتم لا ترثون أرضا بل ولا تحفظون ارثا . لقد غيرتم ما بأنفسكم فغير الله مابكم ، فتنبه الوثنيون وانتم غافلون واجتمع اليهود وأنتم متفرقون وسبق النصارى وانتم متخلفون ، اعتبروا بتاريخ من قبلكم وبأحوال الأمم فى عصركم ، وتدبروا القرآن وما يبينه من سنن الله فى نوع الانسان .

ولم يتوقف عن الانذار والكشف عن كل محاولات التآمر على حركة الاصلاح ففى (المجلد ١٩) (١٩١٦/١٩١٧) فصل مطول هاجم فيه الملاحدة المتفرغون الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون وقال ان حجتهم على عامة المسلمين سوء حال كثير من المعممين وتذللهم للأمراء والحاكمين . قال : بلغنا أنهم الفوا فى العام الماضى جمعية لأجل التعاون على تشكيك الناس فى الاسلام وجذبهم الى الالحاد والطعن فى عقائد الدين وآدابه وأحكامه ، وانشأوا لهم صحيفة لدس الدسائس (ربما يقصد مجلة السفور) لهذا وجب على أهل الاصلاح اخذ الأهبة لجهاد جديد هو أشد من جهاد أصحاب الخرافات والتقاليد ، فان أصحاب الخرافات عزل وهؤلاء الملاحدة مسلحون . ان هؤلاء الملاحدة لا يخافون من الأزهر وما يتبعه من المعاهد الدينية ما داموا يدعون الاسلام بالسنتهم ، بل لا يعدمون هناك أولياء وانصار لهم فتعذر علينا ما كنا نريد هدمه بدعوى أنه عقبة فى سبيل ترقيتنا فى دنيانا (١) لما بين نفاق الاعتقاد ونفاق الأعمال من رابطة التناسب والاتصال . قال احدهم مفاكها الأستاذ الامام وهو فى مرض موته . (٢) ان طريقتك فى تفسير القرآن قد احدثت أشد الضرر قال الأستاذ لماذا قال لانها أبانت للناس ان الدين موافق للعقل والعلم ويقال ان لجمعية الالحاد الجديدة ركنا فى الأزهر ركينا . انهم لا يخافون من الأزهر ولكنهم يخافون من رجال الاصلاح لأنهم اقدر الناس على اظهار عوارهم وتقليم اظفارهم ولأن كل ما يزعمونه ويتقربون به الى الأمة من السعى الى ترقيتها وتحديثها قد سبقهم اليه طلاب الاصلاح الاسلامى مع المحافظة على مقومات الأمة وتمدينها وشخصياتها ، وانما أركانها الدين واللغة والعادات والازياء وهم يحاولون هدم ذلك كله بلا استثناء .

وقال ان محاولة الشيخ محمد عبده فى التفسير بأن الدين موافق

للعقل والعلم وركن من اركان المدنية ، كانت حائلا بين رجال التغريب وبين القول بأن الاسلام عقبة فى سبيل ترقية دنيانا .

وقال ان هذه الجماعة معروفة (ولتعرفنهم فى لحن القول) فمنهم من يحاول هدم الاسلام بالدعوة الى استبدال لغة العوام بلغة القرآن ومنهم من يبتغى التشكيك فيه بنشر آراء الماديين من القدماء والأوربيين ، ومنهم من يصد عن محجته بتفصيل ما عرفوا من القوانين على ما جهلوا من شريعته .

وقال : اننا بعد أن فرحنا بنصر الله تعالى لحزب الاصلاح على المبتدعة والدجالين فقد ابتلينا بتكوين حزب الملاحدة المارقين وأشار الى جهاد المنار فى طريق التصوف والجمود والجبرية ، وقال انه يتوالد افراد من غرار الشبان وكهول المنافقين ، ولو سكت لهم أهل الحق على ما ينفثون من سموم أباطيلهم لعظمت جراتهم ، وانتشرت دعوتهم وليس الاستظهار عليهم بالأمر العسير فان حجتهم داحضة وغوايتهم متناقضة ، وغاياتهم متعارضة، ويخافون الردة الصريحة ، وان ما يتوخاه هؤلاء من نباهة الذكر عند الأوربيين ، والتشبه بما ناهضوا الكنيسة ورجال الدين ، ليس بالعرض الصحيح ، فهم لا يجدون فى الاسلام ولا فى رؤسائه تلك الأسباب التى حملت بعض كتاب أوربا على مجاهدة الكنيسة ورجالها والطعن فى نص النصرانية فالاسلام نفسه أرشد البشر الى العلوم الكونية وأوجب الفنون ، والصناعات المدنية ، واخراج البشر من رق رؤساء الدين والدنيا الى فضاء الحرية ، ولهذا وجب على أهل الاصلاح أخذ الاهبة لجهاد جديد هو أشد من جهاد أصحاب الخرافات والتقاليد ، فان أصحاب الخرافات عزل وهؤلاء مسلحون (انا لننصر رسلنا) (ولينصرن الله من ينصره) .

(٧)

لفت نظرى أحد الباحثين الى عامل خطير كان وراء حركة جمال الدين ومحمد عبده ورشيد رضا هى أنها من حيث لا تدرى يمكن ان تحقق للنفوذ الأجنبى (انجلترا أساسا) ما يرغب اليه فى تقويض الدولة العثمانية سواء أكان هذا الهدف واضحا أمام العاملين أم خفى عليهم ، ولذلك كان الشيخ محمد

عبده يقول ان الدولة العثمانية ثالثة العقائد بعد الايمان بالله ورسوله والقرآن .

● كان الشيخ رشيد رضا ينتقد على مصطفى كامل نظريته الوطنية ولكن مصطفى كامل كان يتحرك داخل دائرة المفهوم الاسلامى والدولة العثمانية ، أما سعد زغلول تلميذ مدرسة الاصلاح فانه أول من حطم هذه القاعدة وخرج على المفهوم الاسلامى جملة الى المفهوم العلمانى .

● ان دعوة جمال الدين عن الوحدة الاسلامية كانت تختلف عن دعوة السلطان عبد الحميد ، وكانت الوحدة الاسلامية التى يتحدث عنها السيد رشيد رضا مما يرضى عنها الاستعمار ولكنها كانت معارضة لدعوة السلطان عبد الحميد .

● لقد عرف رشيد رضا بعد لأى ان فرحته بالاتحاديين ونقمته على السلطان عبد الحميد كانت باطلة وان الأمور تكشفت عن أشياء خطيرة .

● بدأ جمال الدين يفتح ابواب الفكر بالفلسفة وقراءة ابن سينا ووسع الباب الشيخ محمد عبده بالكلام والمنطق ، ولكن رشيد رضا استطاع أن يحرر الفكر الاسلامى بمفهوم اهل السنة والجماعة .

● نقطة حولت كل الفكر الاسلامى الى مفهوم الأصالة ، تلك هى مقاومة جبرية الصوفية والنظر الى الاسلام نظرة سلفية أصيلة ، كان هذا مفتاح العمل الاسلامى فى هذا العصر وكان هذا توسيدا للخطوات التى جاءت بعد ذلك حين بدأت حركة اليقظة فى الدعوة الى التماس منهج القرآن فى بناء المجتمع .

الباب الرابع

أحوال العالم الاسلامى

اولا : الدولة العثمانية ..

الاتحاديون والغرب

الكماليون والخلافة

ثانيا : الماسونية والصهيونية

ثالثا : حركات الاصلاح ... الوهابية والسنوسية

الفصل الأول

الدولة العثمانيـــة

يتصل أمر الدولة العثمانية بالمنار منذ نشأته حتى نهايته ، اتصـــالا لا يتوقف وان كان يختلف من مرحلة الى مرحلة ، هذا الاتصال يرجـــع الى أمرين : الأول : أن الدولة العثمانية كبرى دول العالم الاســـلامى ودولة الخلافة الجامعة بين الترك والعرب (والثانى) موقف السيد رشـــيد رضا نفسه باعتباره من القطر الشـــامى الذى كان جزءا من الدولة العثمانية ثم أصبح بعد الحرب الأولى : سوريا وقد كان لأهل الشام موقف واضح من الخلافة والسلطان عبد الحميد متأثر بدعايات الاتحاد والترقى ، وهو موقف مختلف عن موقف مصر من الدولة العثمانيـــة التى كانت قد أصـــبحت بعد الاحتلال البريطانى ١٨٨٢ منفصلة عن دولة الخلافة وان كانت موالية لهـــا فقد كانت الحركة الوطنية التى قادها مصطفى كامل والحزب الوطنى تعارض النفوذ الانجليزى وتوالى الدولة العثمانية ، وذلك بخلاف موقف الشـــــام (سورية ولبنان وفلسطين) الذى كان معـــاديا للدولة العثمانية تحت تأثير الدعايات التى كان يحملها مدحت باشا والاتحاديين والتى وصلت الى غايتها بعد سقوط السلطان عبد الحميد وتولى الاتحاديين الحكم فقد علقوا زعماء العرب عى المشانق وأفســـدوا الرابطة بين العرب والترك بدعوتهم الى الطورانية باعتبارها قومية بديلة للطابع الاســـلامى الذى عرفت به الدولة العثمانية حاملة لواء الخلافة وكان لعمل الاتحاديين فى تتريك العرب أثره فى انفجار مفهوم القوميات المتصارعة : قومية طورانية وقومية عربية ولقد كان السيد رشيد رضا طوال فترة حكم السلطان عبد الحميد منذ نشوء المنـــار ١٨٩٨ الى سقوط السلطان ١٩٠٨ يكتب كتابات حذرة تخفى الكراهيـــة وتظهر شيئا من المحاسنة والتقية ، فلما سقط السلطان انفجرت هذه القناعة عن حملة شديدة عنيفة حملها السيد رشيد على السلطان وفى نفس الوقت كان ترحيبا وتهليلا بالاتحاديين ، غير أن هذا الموقف لم يلبث قليلا حتى تغير الي شيء من الكراهية والنقد والتحذير لمخططات الاتحاديين دون أن يضعف

موقف النقد لأعمال السلطان ــ هذا النقد الذى قامت به قوى ضخمة منذ اختلف السلطان عبد الحميد مع الصهيونية وقائدها هرتزل على ادخال اليهود الى القدس ــ ومن ثم بدأت حملتهم عليه وكان شوام مصر متأثرون بها وداخلون فى تجمعات تابعة للاتحاديين قبل أن يحكموا وينكشف أمرهم . فهذه مرحلة أولية حتى سقوط السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٨ لها طابع خاص وهناك مرحلة تالية وهى مرحلة حكم الاتحاديين حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ١٩١٨ وهناك المرحلة الثالثة وهى حكم الديكتاتور أتاتورك الذى ألغى الخلافة الاسلامية وقد امتدت هذه المرحلة حتى نهاية عصر المنار .

المرحلة الأولى : ١٨٩٨ ــ ١٩٠٨

فى خلال هذه المرحلة كانت أحاديث المنار عن الدولة العثمانية حذرة ولكنها كانت من ناحية أخرى فيها حرص على بقاء الخلافة مع اصلاحها ، ولذلك هاجمت المنار ما أثير حول الخلافة العربية ودور المرجفين بها (م ٢) وفى عام ١٩٠١ (م ٤) أشار الى أن هناك منشورات توزع بمبايعة الخديو عباس بالخلافة واحتلافه مع السلطان (ليون فهمى وصالح بدرخان) والمعتقد أن فى ظل ذلك كانت كتابات الكواكبى . كما قدم فصلا استمر فترة طويلة تحت عنوان (قليل من الحقائق عن تركيا) م ٣ وجرت أحاديث كثيرة عن الترك والعرب كان رائدها دعوة الاتراك الى دعم الأواصر مع العرب وعدم احتقارهم ، كما تحدثت المنار عن مشروع سكة حديد الحجاز الذى قام به السلطان عبد الحميد (م ٦) وأفردت المنار فصولا ضافية عن الدولة العثمانية تحت عنوان (الدولة العلية) تحدثت فيها عن أركان الاصلاح وامتيازات الأجانب والتجارة بينها وبين أوربا واحتلاف الأديان كما تحدث عن السلاطين العثمانيين سليم وسليمان القانونى وعبد الحميد (الأول) وعبد المجيد ومحمد الفاتح (م ٢ ، ٣) .

وخطأ المنار الكاتبين فى الحث على الالتجاء لدول أوربا والاعتماد عليها فى التزام الدولة العلية بالاصلاح على الوجه الذى تراه تلك الدول وقال انه غاية هذا الاتجاه هو تسليم البلاد لها وقال : اننا فندنا هذا القول

الفاسد من قبل وهو لمن يسمون أنفسهم بالأتراك الأحرار وقال : ان الأصلاح لا يكون بتقليد أوربا فى جميع الشئون وهو ضلال أى ضلال .

وتحدث السيد رشيد رضا عن (تعضيد أوربا على الدولة العلية) م ١ .

وقال : ان أسوأ مظاهر حبها وطمعها وبغضها ما كان فى السنين الأخيرة من أرمينيا وكريد ولقد عادت هذه السياسة السوأى من أوربا بالضرر على النصارى والمسلمين معا ، فكان ذلك فضيحة لدعواها حماية النصارى فى بلاد الدولة وتناول المنار أحاديث عديدة عن العروبة والاسلام ، والوحدة العربية والترك وأفاض فى الحديث عن مدينة العرب ودور العرب فى الحضارة الاسلامية ، ولابد ان هذه المقالات كانت تكتب كرد فعل لما كان يدور فى كواليس من أسماهم الأتراك الأحرار من تحقير للعرب وامتهان للاسلام ، ومحاولة الانفصال الفكرى عنهم وهى النزعة التى استطاعت ان تقضى على الدولة العثمانية والخلافة من بعد والتى كانت وراءها قوى الصهيونية والغرب وروسيا من أجل ما أسموه (القضاء على دولة الرجل المريض) .

وقد أشار الى هذا المعنى فى مقدمة مقالاته (مدنية العرب) فقال : لم نخرج عن التوجيه والتأليف بين العناصر كلها وانما أشرنا الى بعض نزعات التعصب الجنسى عند الترك ولا شىء يقربنا من اخواننا الأتراك ويجعل لنا قيمة فى نفوسهم الا الاعتقاد بأننا شعب يفهم ويشعر فيسر بالكرامة ويتألم من الاهانة ولا نعنى بالوحدة العربية أن ينفصل العرب عن سائر المسلمين أو عن الترك بل نعنى بأن كل شعب يمهد فى ترقية نفسه ملاحظا أن فى ترقيته ترقيا لسائر الشعوب التى تتكون منها الأمة .

وقد أوردت فصول مدنية العرب كتابات عن أثر المسلمين فى الحضارة العالمية كالطب والفلك وغيرهما .

وقد عنى السيد رشيد رضا بدعوة الشعب التركى لتجديد حكومة الخلافة الاسلامية بقصد الجمع بين هداية الدين والحضارة لخدمة الانسان لا لتأسيس عصبة اسلامية تهدد الدول الغربية وذلك بانهاض الشعب التركى من كبوته التى قضت على السلطة العثمانية وتوثيق عرى الاخاء

بين الدولتين الأفغانية والايرانية والدعوة الى شد أواصر الاخاء مع الأمة العربية والتعاون معها على احياء المدنية الاسلامية وتجديد حكومة الخلافة على القواعد المقررة فى الكتب الكلامية والفقهية (م ٤) .

المرحلة الثانية : (١٩٠٨ — ١٩١٨)

الاتحاديون والجمعيــة الطورانيــة

فى مستهل هذه المرحلة كان حادث عزل السلطان عبد الحميد ، ومن ثم بدأ المنار موقفا جديدا من الدولة العثمانية بداه على هذا النحو (م ١١) .

[اعظم احداث هذا العام هو اعلان الدستور العثمانى]

وتحفل المنار بفصول ضافية حول هذا المعنى وقد كشف السيد رشيد عن انه كان مــع الاتحاديين او من الاتحاديين ومعهم طــوال هــذه الفترة وبدأ الهجوم على السلطان فى صراحة وعنف واعلان الاعجاب بالاتحاديين فى حماسة وكشف كثيرا من الصفحات عن سياسة السلطان مما كان يجمعه ويحققه فى الفترة الماضية حرصا على أن لا يحجب المنار عن أهل الشــام كما سافر الشيخ رشيد الى سوريا بعد أن حيل بينه وبين ذلك أحد عشر عاما ، وكانت له خطب ومحاضرات فى مختلف البــلاد .

وبدأت المنــار تنشر فصــولا عن الانقلاب العثمانى وتركيا الفتــاة (محمد روحى الخالدى) بدأت م ١١ (ج ١٠) ص ٧٤٢ واستمرت وهى جديرة بالبحث والمراجعة فى شأن التاريخ لهذه المرحلة من وجهة نظر شامية من أولياء الاتحاديين .

وكتب رشيد رضا يقول : حدث ١٣٢٦ هـ الانقلاب العثمانى الذى كنا نسعى اليه فى الخفاء ثم خلع السلطان عبد الحميد الذى كان مانعــا بلاده من كل علم وعمل نافع يجب على المسلمين القيام به مجتمعين وقد سعيت الى تحسين التفاهم بين العنصرين القوميين لهذه الدولة وهم العرب والترك اللذان سميتهما العنصرين المكونين للماء أو الهواء .

وقد أشارت المنــار الى أن السلطان عبد الحميد تولى فى شــعبان ١٢٩٣ هـ وأن الســنة الثالثــة والثلاثين (١٩٠٨) كانت خاتمــة حــكم السلطان نفســه وبقبضه عن زمام السلطة بيده فان اعلان الدستور حول

الحكم ولى الوزارة ومجلس الأمة ، وقد استمر السلطان بعد أن تولى الاتحاديون الحكم حتى عزل فى مايو ١٩٠٩ حيث صدر المنار .

(٢٩ ربيع الآخر ١٣٢٧ هـ — ١٩ مايو ١٩٠٥ م) مجلد ١٢ تحت هذا العنوان : « **احدى الكبر وكبرى العبر** » : خلع عبد الحميد خان ، نفيه من دار السعادة ، وضعه تحت المراقبة العسكرية ، ضبط أمواله وذخائره وعقاره ، اباحة يلدز للأمة ، تولية مولانا السلطان محمد الخامس .

وقد سافر السيد رشيد رضا الى الأستانة للاتصال بحكومة الاتحاديين وأمضى هناك عاما كاملا للسعى فى شأن الوحدة بين العرب والترك وحماية اللغة العربية ولكنه أحس بأنهم يراوغونه وعاد دون أن تحقق مساعيه أى تقدم يذكر ، وكشف فى (المجلد ١٤) عن مفاهيم جمعية الاتحاد والترقى وموقفهم من الاسلام غير أنه ابان الحملة التى شنها السيد رشيد رضا وشنتها صحف المقطم والهلال وغيرها على السلطان بمناسبة عزله كانت هناك كلمة تقال فى جزء آخر من العالم الاسلامى تختلف عن هذه النغمة ، فقد نشرت جريدة وطن التى تصدر فى لاهور (الهند الاسلامية) بقلم مولوى محمد عن الانقلاب العثمانى فصلا ضافيا تحت عنوان (الانقلاب المشئوم فى الدولة العلية) قالت : نبأ عزل السلطان عبد الحميد الثانى عن عرش الخلافة والسلطنة العثمانية بقرار مجلس الأمة اجماعا على عزله . هل انعزل جلالته من عند نفسه أو عزلته جمعية الاتحاد والترقى التى كانت عند أول ظهوره فى بدء احياء الدستور العثمانى أخيرا مظهرة عزمها على ارتكاب هذه الجريمة الشنعاء لكون أعضائها من الناقمين من جلالته أو الخائفين من ذاته على الدستور .

ان الملاينة والانقياد لم تجد جلالته نفعا وصارت الجمعية تلعب وتلهو به كما تلعب الهرة بالفارة التى تريد افتراسها وقد أخذت الجمعية تمهد لعزله فأبعدت عساكر الآستانة وأرسلتها الى الولايات ووضعت دار الخلافة تحت حماية العساكر الموالية للدستور التى جاءت بها من سلانيك وغيرها وطلب من جلالة السلطان أن يرضى بوضع فيلق الحرس الهمايونى تحت امرة نظارة الحربية . ان جمعية الاتحاد والترقى كانت لا تزال تعتمد على الجيش فى حفظ الدستور ولذلك لم تكن تسمح بابعاد العساكر الموالين للدستور

الى الولايات . وترى المبعوثين او حزب تركيا الفتاة تائهين فى تيه الضلالة وناسين واجبات صلاح الدولة والملكة باسراعهم فى عزل عبد الحميد عن عرش الخلافة وعدم تبصرهم فى غوائل الأمور .

ولى عبد الحميد الملك والسلطة فى أسوأ الحال من الافلاس وعدم قوة الحربية وخلل النظام الداخلى وهجمات الأعداء الخارجية وكانت الأمة جاهلة عارية من العلوم منقسمة على نفسها اى انقسام ، أدى ذلك الانقسام الى ضعفها واضمحلالها الى حد حكم العالم بموتها فشمر عن ساق الجد وقوى مركزها بين الدول وأصلح الخزانة وعمرها حتى جعل لها اعتبارا ماليا فى اسواق أوربا ودرب الجيش على قواعد الحرب الحديثة واكمل تسليحه بأحدث الآلات حتى صار الجيش نفسه القلعة بعد أن كان ...

ثم سعى فى انتشار التعليم والعلوم الحديثة فى البلاد واقتلع صدأ الجهل عن مرارة قلوب العباد ، قضى ثلاثا وثلاثين سنة يجتهد وراء سعادة الأمة والملة وعمل من أجل رفاة البلاد والسلطة فعمر الطرق وبنى السكك الحديدية واجرى الترع والقنوات واخصب المفاوز والقفار وأوصل الأقطار بالأقطار وحفظ السلطة من الضياع أمام الأعداء الأشداء ففاز فى كل المواقع السياسية المشهورة بهمته الشماء غير مضيع نفسه ومضيع مركزه . وكان فى كل زمان عاملا نشيطا وسلطان صارخا لا يعرف الملل ولا يعتريه الكلل . يعمل ثمان عشر ساعة فى كل يوم ، ويشتغل فى مهام السلطة كادنى خادم للملك والملة .

(اقرأ المقال بكامله فى المنار م ١٢ ص ٣٠٠ ، ٣٠١ وما بعده) .

● بل ان الصحف الأوربية المعادية للمسلمين لم تعدم أن تتحدث من شخصية عبد الحميد ، قالت جريدة ابزرور تحت عنوان خلع السلطان عبد الحميد : ان خلعه قد ذهب عن مرسح العالم السياسى بسخط مفرد كان له نفوذ عظيم فى تكييف التاريخ الأوربى منذ ثلاثين سنة وقبض فى راحتيه على مفاتيح الأسرار الدولية فى الغرب ، وكان احساسه نقل حجارة الشطرنج على رقعة السياسة الأوربية موضع اعجاب ساسة المسيحيين وحسدهم ويأسهم ، وكان حسن تبصره فى مشاكل الشرق الأدنى هو الباعث الوحيد على انقاذ تركيا من الوقوع فى ايدى جاراتها القوية الطامعة »

اذ لا يخفى أن الدولة العثمانية انما فقدت بلغاريا والبوسنة والهرسك على عهد الحكومة الدستورية وسيفتح التاريخ فصلا كبيرا خطرا لوصف حكم عبد الحميد العظيم الشأن ويعترف بأن الفضل فى سلامة المملكة من الفوضى وتحول الاتحاد الأوربى عليها عائد الى حنكته وحكمه ، فانه لم يسبق لملك سواه من المتقدمين أو المعاصرين أن لاقى ما لاقاه عبد الحميد من العقبات الشديدة داخلا وخارجا وهو معرض كل يوم للفتنة المريبة والبلاغات الواردة عليه من كل جانب ومع ذلك فانه كان ينجلى عنه بثمار تلك الحوادث ظافرا فائزا بفضل حكمه وحنكته وهو الآن قد ترك العرش فى ظروف مخربة .. ان خصومه وأعوانه قد اتفقوا على الاعتراف بمقدرته السياسية وقدرته على افساد مساعى الأعداء الذين احاطوا به من كل جانب وحبه الذى لا ينكر للاسلام وجمع ما له علاقة به وانما المستقبل وحده يستطيع أن يحكم الحكم البات فى شخصه وأعماله يبنى عليه أو يقصى بعد .. الذين دسوا الدسائس لخلعه ، على أن الدور الأخير من حياته جاء موافقا لما علمناه من حياته الشريفة فانه منع سفك الدماء ، ووعد أن لا يهجر يلدز ورضى بالخلع المقدر له من أمد ، ولم يطلب من القوم الا أن يسمحوا له أن يقضى بقية حياته مع أولاده فى القصر الذى ولد فيه على أنهم لم يجيبوا طلبه بل نقلوه الى مدينة بعيدة سجينا فى بلاده ومع ذلك فقد تصرف بأنفته المعهودة وصبره المعروف الذى يليق أن يفاخر به .

كذلك فقد كتبت جريدة وطن الهندية ردا آخر على المنار (ص ٤٥٠ م ١٢) وكان محمد روحى الخالدى قد نشر فصولا تحت عنوان الانقلاب العثمانى ، كما نشر سليمان البستانى كتاب الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده وجميل معلوف عن تركيا الحديثة وكلها تناولت الحملة على السلطان الذى وصفته بأنه تآمر على حكومة مدحت الأولى وتحدثوا عن السجون والاغراق فى لجج البسفور وجواسيس السلطان ، وكلها شبهات تكشفت فى السنوات الأخيرة بعد ان وضحت الحقائق ولم تكن على هذه الصورة العنيفة التى أراد بها النفوذ الأجنبى تبرير خلع السلطان مع اخفاء الغاية الحقيقية وهى تمكين الصهيونية من فلسطين ، والمعروف أن من يسمون الأحرار أتباع مدحت وجماعة تركيا الفتاة والاتحاد والترقى كانوا

قد وقعوا تحت تأثير جحافل الماسونية وحملوا لواء الحقد على السلطان وخفى عنهم الجوانب القوية فى شخصيته وخاصة موقفه من المؤامرة الصهيونية التى حاولت اغراءه بالمال ثم انتقمت منه لموقفه الحاسم .

● وقد استرجع السيد رشيد رضا الدور الذى قام به عبد الرحمن الكواكبى حين جاء مصر فى وقت كان الخلاف قائما بين الخديو والسلطان وارتاح الانجليز الى مطالبته بالخلافة العربية وكتب هو عن حسن نية فى جريدة المؤيد تلك الفصول عن الاستبداد يريد بها السلطان عبد الحميد بدون انعام النظر السياسى وهم عن خبث طوية لأن تقهقر الدولة لم يكن قاصرا عليها فقط بل كان ماسا بمصالحها (وهذه عبارة السيد رشيد رضا فى بحثه عن الخلافة الاسلامية والجامعة العثمانية م ١٣) ويقول وقد الف كتابه (أم القرى) ولو انعم نظره السياسى لرأى الضرر الذى يلحق العالم الاسلامى بوجه عام والشرق الأدنى بوجه خاص من جراء هذا المسمى ، ولم يقتصر الانجليز عند حد استغواء هذا العالم من الذين لا يلمون كثيرا بالاعتبارات السياسية والظروف المصوبة .. » .

— ٢ —

فى عام ١٩٠٨ — ١٩٠٩ (م ١١ من المنار) لم تكن الأمور قد تكشفت بعد عزل السلطان عبد الحميد ، ولم تسفر جمعية الاتحاد والترقى عن غاياتها الحقيقة ولذلك فان العرب خاصة وخاصة اعلام الشام كانوا مؤيدين لها (الشيخ رشيد رضا ، عبد الرزاق البيطار ، جمال الدين القاسمى) وفى هذه الفترة كانت وجهة السيد رشيد رضا هادفة الى الوحدة والوئام بين عنصرى الدولة العثمانية .

فيقول : [ان ابعاد العرب عن الترك مفسدة من آخر المفاسد واننا فى اشد الحاجة الى الاتحاد بالترك والاخلاص لها لأن مصلحتنا ومصلحتهم فى ذلك] .

ويقول : يجب على العرب ان لا ينسوا فى اتحادهم بالترك أنفسهم ويتكلوا على غيرهم بل يجب عليهم مباراة اخوانهم فى التربية التى يقتضيها حال العصر وتحصيل العلوم والفنون التي عليها مدار العمران ليكونوا

يدا واحدة فى احياء الدولة وليقدروا على ترقية شــأن بلادهم واستخراج خيراتها العظيمة ثم ليكونوا أهلا لادارتها بأنفسهم .

ويقــول : الدعــوة أن تكون كل ولاية من ولايات الدولة مســتقلة عن ادارتها الداخلية ويعبر عن ذلك بعدم المركزية لابد من استقلال كل جنس بنفسه ، أن نبنى حاضرنا ومستقبلنا على الاخلاص لدولتنا والاتحاد بالترك وسائر العناصر العثمانية ما دامت هذه العناصر متحدة بالدولة مخلصة لها ، وأن نكون الآن من أشد الأعوان لجمعيــة الاتحاد والترقى على بث روح الدستور فى جميع الطبقــات ورقباء على الحكومة فى ســيرها وأعمالها . والدعوة الى الأخذ بالعلوم الرياضية والطبيعية التى هى حياة الأمة فى هذا العصر واصلاح طرق التعليم بانشاء المدارس الأهلية والجمع بين الاسلام تربية وتعلما وبين تحصيل العلوم العصرية الكثيرة التى تقوى بهــا الأمة وتعتز الدولة . وقد كان العلماء السابقون يذمون العلوم الطبيعية وينهون عنها ويقصدون النظريات اليونانية فى الالهيات التى تخالف أصول الدين » .

هكذا كان يكتب رشيد رضا فى أول أمر الاتحاديين بنية المصلح المخلص المؤمن بأن هؤلاء القوم يريدون اصلاحا يترابط فيه عنصرى الأمة على رفع شأن الاسلام ولكن الأيام كشفت حقيقة الاتحاديين فكان رشــيد رضا أول من حمل عليهم وفضحهم فى العالم الاسلامى كله .

— ٣ —

فهو لا يلبث أن يتحدث عن الاتحاد والترقى (المنار م ١٤ سنة ١٩١١) يقول : اشتهر أن الانقــلاب العثمانى كان بتدبير جمعيــة الاتحاد والترقى فى سلانيك ومناستر وعرف الخاص والعام أن الانقلاب كان من عمل الجيش وبهذا علا مقام كل ضابط عثمانى ورفع اسم (انيازى ، أنور) على كل اسم ولكن خفى اسم (صادق) وهو أجدر بالظهور فهو رب الدســتور وحاميه وقد رفعت الأمم اسم الاتحاد والترقى بعمــل صادق بك الخفى واخلاصه العظيم وكان أنور ونيــازى سيفين من سيوفه (كتاب خاطرات نيازى) ولما وزعت المناصب طلعت للداخليــة وجاويد للمالية وأحمــد رضا رئاسة المجلس ، وتقدم اليهود فى نظارة الماليــة على غيرهم وأعلو كلمة الماسونية

والاسراف فى نشرها وتقديم المقدمين منها على غيرهم وجعل مقام الخلافة كالمجرد من كل سلطة ونفوذ . وجاهد صاحب جريدة (طنين) المحامى عن جمعية الاتحاد والترقى بقلمه المسموم حتى سمى (سفينه القسوم) واقمت فى الآستانة سنة كاملة وقفت فيها على غوامض سياستها ومخبئات صناديق أسرارها ، ان هؤلاء الزعماء كلهم من شيعة الماسون ويجهرون فى نشرها وقد جعلوا رجال الحكومة من اعضائها كما ينشرونها فى ضباط الجيش وقد يكون هذا تمهيدا للفصل بين الدين والسياسة وتجريد السلطان من صفة (الخلافة الاسلامية) ومن لوازم تشيعهم للماسون قوة نفوذ اليهود فيهم وفى الدولة وذلك يفضى الى فوز الجمعية الصهيونية فى استعمار بلاد فلسطين التى يراد بها اعادة ملك اسرائيل الى وطنهم الأول والى ابتلاع اصحاب الملايين من اليهود لكثير من خيرات البلاد .

ويقول : وقد جعل السيادة للشعب التركى والتوسل بقوة الدولة الى اضعاف اللغة العربية واماتتها فى المملكة وتتريك العرب من ابقائهم ضعفاء بالجهل والضغط ومنع الألبانيين والأكراد من تدوين لغتهم وجعلها لغة علمية وقفت الآستانة على هذا ورأينا اهل الرأى والعبرة يتوقعون الفتن ويخافون العواقب ولم أحب أن أشرح هذه الأمور وأبين ما فيها من الخطر بل سعيت الى الاصلاح ما استطعت فلم يغن نصحى لهم شيئا ولما عدت الى مصر اشرت بلطف الى ما يخشى من خطر اليهود والماسون فى هذه المملكة الاسلامية » .

وتوالت الكتابة بمزيد من الكشف عن دور الاتحاد والترقى مما ينفع الباحث اليوم بعد سبعين عاما فى معرفة ما يدور فى فلسطين وتركيا على السواء . ففى (المجلد ١٧ سنة ١٩١٤) مزيد من الكشف عن موقف الاتحاديين بعد الحرب البلقانية واشارة الى حزب اللامركزية فى مصر والمؤتمر العربى فى باريس ومحاولة التفاهم تحت اسم العثمانيين ، حيث يجرى الحديث من حقوق العرب فى المملكة العثمانية والدعوة الى نظام اللامركزية واشارة الى أن الحكومة الاتحادية أضاعت بحمقها وغرورها وخبث طويتها جميع الممالك العثمانية الأوربية والأفريقية واشار الى تفريط الاتحاديين بحقوق الدولة فى خليج فارس والعراق والطرف الشرقى من جزيرة

العرب والتزلف بذلك الى انجلترا ، وأشار الى الاتفاق بين تركيا الاتحادية والانجليز حيث تنازلت الدولة العلية عن جميع حقوقها فى جزيرة قطر وفى الكويت واشارت الى استيلاء الملك عبد العزيز على الاحساء والقطيف والغفير (عسير) .

ولم تمتنع المنار عن نشر ما سجلته جريدة دين ومعيشت التى تصدر فى روسيا (أورنبورغ) عن موقف البلاد الاسلامية من السلطان عبد الحميد حيث قالت الجريدة :

انهزم العثمانيون لأنهم استوجبوا غضب الله تعالى فلم ينصرهم وذلك انهم خلعوا سلطانهم الذى خدمهم ٣٣ سنة خدمة جليلة وانهم لم يعرفوا قدره بل عزلوه عن منصبه واسقطوه عن عرشه ومزقوه من تاجه فان الله حرمهم من الأراضى والأودية كلها وتركهم أذلاء فى العالم ، كان فى مقدمة هؤلاء الناس الذين بغوا على السلطان عبد الحميد أنور بك ونيازى بك اللذان هما قدم شؤم أحدهما قدم بلاد الأرناؤوط فذهبت تلك البلاد ، وثانيهما قدم طرابلس الغرب فذهبت الى الطليان .

وأشار المنار الى دور الاتحاد والترقى فى انعاش الماسونية وأن الماسونية راجت بسعيهم وانهم اسسوا لها (شرقا عثمانيا) رئيسه طلعت بك ، وقال ان فى رواج الماسونية فى رجال هذه الدولة الاسلامية من الخطر ما فيه وقد ترجمت مجلة (دين ومعيشت) الروسية ما كتبه المنار وزادت عليه أن اركان الدولة والقائمين بأعمالها جميعا من الخفير الى السلطان ماسونيون ، جعلت الماسونية فى رجال الدولة مفضية الى هدم الدولة الاسلامية وتأسيس دولة ماسونية (وهذا ما حدث بالدور الذى قام به مصطفى كمال من بعد) وقال السيد رشيد رضا : أرجو أن يكون رجال الاتحاد والترقى قد اعتقدوا ان دولة عريقة فى الاسلام وارثة لمقام الخلافة الاسلامية لا يمكن أن تدور رحاها على قطب الماسونية وان العناصر العثمانية لا يمكن ادغامها فى العنصر التركى وانما من الملكة هو ائتلافها معه باقامة الدستور (صادق ، طاهر ، رحمى ، ناظم ، طلعت ، جاويد) وجاهد أشدهم عنفا .

وافرد السيد رشيد بحثـا تحت عنوان اليهود فى المملكة العثمانية ، قال فيه : خبرنا الآستانة باقامتنا فيها سنة كاملة فرأينا ان نفوذ اليهـود فى جمعية الاتحاد والترقى عظيم وان ناظر المالية اسرائيلى النسب وانه جعل كاتب سره وكثيرا من موظفى نظارته من اليهود فعلمنا انه سيكون لليهود شأن فى هذه المملكة وآمالهم فى القدس وفلسطين معروفة ومطامعهم الماليـة فى المكان بعظم نفوذهم فيه غير مجهولة . وجاءت انباء مجلس الأمة العثمانية مصدقة لما قلناه فقد خطب بعض النواب المستقلين والمعارضين للحكومة خطبا نبهوا فيها على خطر جمعية اليهود الصهيونية على المملكة العثمانية.

— ٤ —

الجمعيـة الطورانيـة

وتحدث المنار (المجلد ١٩) عن الجمعيـة الطورانية ثمرة الاتحاد والترقى فقال : بدت طلائع الطورانية الحديثـة فى الآستانة عام ١٩١٣ ثم أخذت تمتـد وتزداد جلاء حتى أصبحت نهضـة عامة فى جميع أنحاء السلطنة العثمانية وخلاصة ما يعرف عن هذه النهضة أنها تركية محضة غرضها الأصلى الانفصال عن الاسلام ولها أغراض عديدة :

١ — جعل الجنسية التركية مستقلة عن الاسلام .

٢ — ترقية الروح العسكرى فى الأتراك .

٣ — انشـاء علاقات تجارية وغيـرها مع مسلمى أزربيجان وروسـيا الآسيوية وروسيا الجنوبية .

٤ — تطهير اللغة التركية من كل ما هو عربى أو فارسى .

٥ — محو الجنسية العربية وإدماجها فى الجنسيات الأخرى .

ويرمى القائمون بهذه الحركة الى جعل التركى يعتقد أنه تركى قبـل كل شيء ومسلم بعد ذلك وتربية الأجيال الحاضرة والمستقبلة على الروح الطورانى بانشاء مدارس طورانية والتوسع فى تعليم التاريخ باللغة التركية واشارات الفرقة ورواياتها مأخوذة من رموز ترجع الى ما قبل الاسـلام
واشارات الفرقة ورواياتها مأخوذة من رموز ترجع الى ما قبل الاسـلام
والأولاد الذين لهم أسـماء عربية يستبدل أسماؤهم بأسماء تركية بحتـة

(مع العودة الى كتاب المسيو ليون كاهون عن تاريخ الترك والمغول منذ اقدم الأزمنة الى ١٤٠٥ للميلاد) وقد توجت الاكاديمية الفرنسوية هذا الكتاب واتفق أن ناظم بك سكرتير جمعية الاتحاد والترقى العام قرأ هذا الكتاب فوضع أساسات النهضة الطورانية التى نحن بصددها ، واعتقادهم صحة النظرية التى ابتدعها (فمبرى) وهى أن الاسلام يناقض فكرة الجنسية فالاتحاديون يقولون : ان الاسلام بالاتحاد مع العوامل العربية والفارسية والرومية والبيزنطية قد جعل الاتراك (مسلمين ليفانتين) وحال دون نشوء حضارتهم ، ان هذه الدعوى على عكس الحقيقة تماما فأن الأتراك الذين جاءوا أصلا من حدود الصين انتشروا فى مجاهل آسيا حتى ضفاف (الأوكسوس) لم يكن لهم دين معروف أو حضارة راقية لأنهم كانوا قبائل رحل يؤجرون سيوفهم لكل من يطلب معونتهم ولم يحاول أحد قواد الاتراك أن يخضع جميع القبائل التركية . نعم ان جينكيز خان كان يحلم بنشر سلطانه عليها ولكنه لم يفعل وكل ما لدى الأتراك من حضارة فهى بفضل الاسلام اذ لم يكن للأتراك حضارة خاصة بهم ، ولما كان التركى مشهورا بروح الخضوع العسكرى لمن يقوده فقد جعل نفسه سيفا فى قبضة الاسلام ، ان العنصر الطورانى لم يشتهر بشىء من قوة الابتداع وما تاريخه الا تاريخ تدمير ، ومما يدل على أن العقل التركى ليس عقلا مستنبطا انه لم يأت بمستحدث فى الاسلام بل هو اتخذ الاسلام ودان به كما هو ، ومما تسعى اليه النهضة الطورانية الحديثة انشاء امبراطورية حربية واسعة الأرجاء تضم تحت الويتها جميع قبائل التتر والمغول الخاضعة لروسيا أو لأى دولة أخرى أما الجنسية العربية فيجب ابادتها وادماجها فى الجنسية التركية لذلك تراهم يسعون لتتريك العناصر العربية بحسب الأساليب البروسية ، قال جلال نورى فى كتاب الفه : ان بلاد العرب لاسيما اليمن والعراق يجب تحويلها الى مستعمرات تركية لنشر اللغة التركية التى يجب أن تكون لغة الدين .

وعرض السيد رشيد رضا لموضوع (الاسلام والجامعة الطورانية) وكيف يسعى الاتحاديون للانشاء الحضارة الاسلامية فقال : أقمت فى الآستانة سنة كاملة اختبرت فيها الاتحاديين اختبارا تاما لا أزال أرى

فى كل سنة من الآيات ما يؤيده ويقنعنى بانى قد استبقت الى ادراك ما لم يدركه كله العثمانيون ولا الأجانب ، ولو كنت ممن يبيع دينه وقومه بالمال والجاه لأمكننى أن أنال فى الآستانة من الاتحاديين انفسهم ما لا مطمح لعربى من نيل مثله فقد منانى الاتحاديون أعظم الأمانى لانهم كانوا يظنون انى ما دافعت عنهم ورددت على من سبق الى رميهم بالكفر والالحاد وافساد هذه الدولة الا لأن اسلامى سياسى يدور مع المنفعة انى دارت .

لقد حملت على الاتحاديين بعد عودتى من الآستانة حملات منكرة لم يحمل عليهم احد بمثلها من الشدة ، كما تعلمون اننى لم اكتب شيئا ينافى مصلحة الدولة العثمانية نفسها ولا شيئا ينافى الاخاء الدينى بين العرب والترك فأنا لم أعاد الدولة ولا الترك ببيان فضائح الاتحاديين ، والذين كانوا يعرفون مقاصد الاتحاديين الالحادية من العرب قليلين جدا ولعلهم لم يكثروا الا بعد أن رأى من رأى خواص العرب فى سوريا مصلوبين فى أعظم مدنها عمرانا وسمع من سمع بأخبارهم ثم بما كان من أمرهم مع الشريف الأكبر امير مكة المكرمة .

واشار الى كتاب للاتحاديين تحت عنوان (قوم جديد) وكتاب اتحاد رسلام فقال : انه وسع الحديث عن الحركة الطورانية الحديثة وكشف عن أن غرضها هو هدم المدنية الاسلامية واحياء العصبية التركية على انقاضها والجمع بين العناصر التركية التترية والشعوب المسلة اليها وفيها الأمة البلغارية ، والقائمون بها قوم مشهورون بعدائهم للاسلام وبغضهم عليه وكثيرا ما يجاهرون باقوالهم وكتاباتهم بحجة أن الاسلام يسعى لقتل العصبية القومية وتحول دون نشوء المدنية التركية ولذلك فهم يسعون لجعل الجنسية التركية مستقلة عن الاسلام كل الاستقلال ولهم فى ذلك وجهان : تمجيد الشعوب الطورانية والقضاء على العصبية العربية .

— ٥ —

واورد (المنار) فى مجال الكشف عن الاتحاديين منشور شريف مكة واميرها الذى اعلن فيه الحرب على الدولة العثمانيـــة والانفصال عنهـــا (١٩١٦) حيث اشار المنشور الى فئة الاتحاديين ووصفهم بالباغين وقال انها هى التى جنت على الدين والدولة والأمة فانحرفت عن صراط الشريعة وابطلت بعض اركان الاسلام وغيرت احكام القرآن وحجزت على السلطان حتى منعته من التصرف لشـــئون خاصته وقصره ، ونكلت بالأمة فلم ترع حقوق الإسلام ولا عهود الذمة وخصت العرب بالاضطهاد فصلبت فى الشام كثيرا من أهل العلم والرأى والفضل واستحلت مصادرة الأموال واخراج النساء المخدرات والأطفال من ديارهم وأموالهم ونفتهم الى بلاد الأناضول من غير ذنب وبغير قيم شرعى ، ثم ذكر تقحمهم بالدولة فى هـــذه الحرب وتعريضهم اياها للخطر وما جنـــوه على البلاد . ثم بين ان بلاد الحجـــاز اضطرت بسبب تلك الجرائم والمفاســـد العامة التى اجترمها الاتحاديون الى اعلان استقلالها بنفسـها دونهم حرصا على دينها وعلى جنسيتها العربية لأن الاتحاديين يتعمدون افساد هذا الدين ومحو هذه الأمة العربية من لوح الوجود وحسبنا برهانا على ما تكنه صدورهم نحو العـــرب والدين رميهم البيت العتيق بقنبلتين من قنابل مدافعهم أثنـــاء قيـــام البـــلاد بالمطالبة باستقلالها ... » .

وواصل السيد رشـــيد رضا فى المجلد ١٩ تطورات الأمور بالنسبة لحزب الاتحاد والترقى فأشار الى ما ينشره حزب تركيا الفتاة الذين تعتمد عليهم جمعيـــة الاتحاد والترقى فى تحويل الترك عن الاســـلام والتشكيك في عقائده وشريعته والتشويه لآدابه وفضائله والمحو لعصبيته من القلوب واستبدال صبغة جنسية طورانية بها .

وقال ان الشريف حسين وجريدة القبلة التى يصدرها محيب الدين الخطيب فى الحجاز تعتقد أن الاتحاديين ملاحدة ويكيدون للدين الاسلامى على ما لهم فيه من المنافع السياسية والمالية ، وانهم اشد الناس عداوة للعرب ، وأشار الى سوء نية الاتحاديين وخبث ما أضمروه للعرب وما فعله

جمال باشا فى سوريا وانهم كانوا يتأولون للاتحاديين ويرجون صلاحهم ولكن تبين لهم أن بغضهم للعرب أشد من بغضهم للروم والأرمن لسببين أحدهما أنهم أعظم أركان الاسلام وأنصاره ، وثانيهما انهم أكبر الشعوب العثمانية وأكثرها عددا وانهم يهدفون الى ابادة الشعب العربى الناصر للاسلام وتتريك بلاده الخصبة واذلال أهل الجزيرة العربية الأشداء باضعافهم ونزع السلاح منهم وان ملاحدة الاتحاديين اسرعوا فى تنفيذ خطتهم باذلال العرب التى هى مقدمة لاذلال الاسلام .

— ٦ —

ويتساءل المنار فى احدى فصوله : هل كانت جماعة الاتحاد والترقى خيرا من أولئك السلاطين العظام ؟ ويجيب : كلا . ان زعماء هذه الجمعية الذين غلبوا الدولة على أمرها هم أوشاب من الملاحدة المارقين قد وصلوا الى ما وصلوا اليه بكيد يهود سلانيك وشركاتهم فى النمسا والمانيا حيث يوجد اقوى انصارهم ولذلك نرى هممهم جمع المال فلا هم على دين هذه الدولة فيغاروا عليه بل هم يقاومونه ويهدمونه ، ولا هم من أصل راسخ فيها فيكونوا أحرص على حياتها من ابناء سلاطينها وأساطينها فاذا نظرنا الى اعمالهم دون عقيدتهم وآرائهم نرى أنهم قد فعلوا فى الدولة من الافساد والتخريب ما لم يفعله غيرهم فيها وقد ثبت انهم اخذوا من مال الدولة لنظارة الحربية خمسين مليون جنيه ليجددوا قوتها العسكرية بعد أن كسرت ولاية البلغار جيوش الدولة وكادت مدافعها بطلحة تمرق مسامع اهل الآستانة والسبب كله ما عند الجيش العثمانى من المؤونة وقد خسرت الدولة فى عهدهم المشئوم من الممالك ما لم تخسر مثله فى عدة اجيال . خسرت البوسنة والهرسك ببيع الجمعية اياهما للنمسا وطرابلس الغرب وبرقة ببيعهما اياهما لايطاليا ومكدونية والبانيا وكريت وجزائر الأرخبيل اضاعوا نصف الدولة فى بضع سنين وحملوها فيها من إثقال الديون ما لم تحمل مثله قبلهم فى بضعة قرون .

وهكذا أوشك الستار ان يسدل على الاتحاديين بنهاية الحرب العالمية الأولى حيث يستعرض السيد رشيد رضا نتائج تجربته معهم بعد أن امضى عاما كاملا فى الآستانة عمد فيه على محاورة زعمائهم ومذاكرة علمائهم ، وعاد وهو موقن أن هذه الجمعية (الاتحاد والترقى) ستقضي على هذه الدولة وان اضطهادها بسلطة الحكومة للعرب سيعيد اليهم عصبيتهم الجنسية .

واشار الى علاقة العرب بالدولة العثمانية فى عهد الاتحاديين فقال :
« لم يكن لهذه الدولة هذه القيمة الا بكون بلاد العرب التى هى مهد الاسلام وموطن نشأته جزءا طبيعيا فيها ولكن الاتحاديين المستكبرين احتقروا العرب وبلادهم ودينهم ولم يرقبوا فيهم الا ولا ذمة ولا دينا ولا حرمة فاضطهدوهم واذلوهم وحاولوا ابطال لغتهم التى هى لغة كتاب الله ودينه استغناء عنها ومحاولة لنسخها باللغة التى جعلوها لغة (حاكميهم الملية) وجعل بلادهم الحصينة كسوريا والعراق وتركيا محصنة وجزيرتهم مستعمرة للترك يتصرفون فيها تصرف المالك فى عقاره والسيد فى عبيده وامائه .

واشار الى هزيمتهم فى حرب البلقان حيث انكسرت الدولة العثمانية حتى كادت دولة البلغار الجديدة أن تأخذ القسطنطينية منها وتحدث عن قضائهم على الزهراوى وعبد الكريم الخليل واشار الى احمد جمال باشا الذى عرف بسفك الدماء والذى خادع أهل البلاد وباظهار الميل الى العرب خدعة وانهم هم الذين ايأسوا الأمة العربية من الدولة العثمانية واضطروها الى اعلان الثورة فى البلاد الحجازية فكانت من أسباب تقليص ظلها عن رءوسهم وزوال سلطانهم من بلادهم .

المرحلة الثالثة (١٩١٩ — الى نهاية المنار)

اتاتورك واسقاط الخلافة

— ١ —

كانت قضية الخلافة الاسلامية بين مرحلة فصلها عن السلطة ومرحلة اسقاطها هي أهم ما عنى به المنار (في مجلديه ٢٣ ، ٢٤) فقد استهل مصطفى كمال الموقف باسقاط الدولة العثمانية ، وفصل السلطة عن الخلافة وتكشف بعد مؤتمر لوزان ما وصفه السيد رشيد رضا بأن العالم المسيحي تظاهر على تأليف أوطان خاصة للأقليات المسيحية في الوطن التركي الصغير : الأرمن والروم والأشوريين والكلدانيين كلهم مسيحيون يجب ان تكون لهم أوطان في قلب البلاد الاسلامية ولا سيما الدولة التركية ، وقد اضطر الترك الى الصلح لأن شعوب أوربا حاربتهم أربع سنوات فأنهكتهم الحرب وأنهت ثرواتهم العظيمة » .

ومنذ اليوم الأول أخذت المنار تنشر فصولا ودراسات منوعة حول الخلافة والأحكام الشرعية الخاصة بها وكان ابرز الاتجاهات في هذه الفترة :

أولا : اهتمام الأتراك بنشر دراسات عن الخلافة انتفعوا فيها بدراسات المستشرقين وخاصة اليهود منهم التي ترمي الى القول بأن الخلافة ليست من الاسلام ، وأن الاسلام ليس الا دين عبادي ، وذلك على النحو الذي ترجمه على عبد الرازق وأصدره باسمه من كتابات المستشرق اليهودي مرجليوث .

ثانيا : موقف مسلمي الهند وجهادهم في سبيل الخلافة الاسلامية وتحرير الجزيرة العربية حيث أخذت جمعية الخلافة الاسلامية بزعامة الشيخ سليمان الندوي تحرض المسلمين على النهوض للوقوف في وجه حركة الكماليين وقد أشار في رسالة أرسل بها الى المنار (م ٦١٩/٢٤) الى الحركة التي قام بها المسلمون في الهند والمطالب التي نهضوا بها أمام حكومتهم البريطانية ومساعيهم التي بذلوها في سبيل الخلافة العثمانية والدفاع عن كرامة الجزيرة العربية وكشفهم عن موقف الاتحاديين في استغلال الأمم والخروج من ربقة الدين والانحياز الى الجنسية

والعنصرية لاضعاف كلمة الاسلام وتوهين جامعــة المسلمين ، وقد دعا المسلمون فى الهند الى التناصر والتآخى والدفاع عن حوزة مركز الاســلام وهى الخلافة العثمانية وكيف سارعت بريطانيا تعلن انها لن تمس عواطفهم أو حياتهم الدينية أو البقاع المقدسة الاسلامية التى ستبقى محفوظة خلال الحرب وآمنة من الحملات وأن للمسلمين وحدهم أن يخوضــوا فى شــأن الخــلافة » .

ومن ناحية اخرى اعلن عصمت باشا قيــام الدولة التركية بدلا من الامبراطورية العثمانية واستقلال البــلاد العربية وذكر منهــا الحجاز ، وأعلن أن الملك حسين رئيس الأمة العربية وأكبر زعمائهــا وقال المنــار ان فى تنصيب الملك فيصل بن الحسين على العراق والأمير عبد الله على شرق الأردن ما يضمن للدولة البريطانية استعمار فلسطين والعراق بدون نفقــة كبيرة ، كما قامت الخلافة المستقلة عن السلطة (وحيد الدين) وعبد المجيد بعده مقدمة لالغاء الخلافة عامة .

ولم يتوقف المنار عن مهاجمــة جريدة طنين التركية فى شأن اللغــة العربية بوصفها لغة الاسلام ، وكانت الصحيفة قد تلقت رسالة من مسلمين فى طشقند وافغانستان ومصر والجزائر وبمباى وبكين يحثون فيها المسلمين على استعمال لغــة واحدة فى العلاقات بينهم أســوة بالقاعدة المتبعــة فى استعمال اللغة الفرنسية فى المسائل السياسية وصرح هؤلاء أن اللغــة التركية تتوفر فيها الصفات الضرورية لهذا الأمر على كونها لغة أكبر دولة اسلامية .

وكشف رشيد رضا ان هذا الاقتراح مصنوع وأن صناعته غير متقنة وأن لغة تركيا التى يرى الآن سلخها من اللغة العربية وتطهيرها من لغــة القرآن لا يمكن أن تصلح لهذا الغرض مع وجود اللغة العربية » .

كذلك فقد نشرت المنار كتاب العــلامة أبو الكلام ازاد عن الخلافة الاسلامية (م ٢٣/٤٥) .

— ٢ —

ولم تلبث الاحــداث أن تواصلت ووقع الحادث الجلل . **اسـقاط الخلافة الاسلامية** وعرضه المنـار فى اهتمام بالغ تحت عنوان : الانقلاب الدينى والسياسى فى الجمهورية التركية : طرد الخليفة وعشيرته من البلاد التركية واستصفاء أموالهم والغاء نظارة الأمور الشرعية ووزارة الأوقاف والمدارس الدينية وفى فصـل مطول قال السيد رشيد رضا : بدأ ساسة أوربا وأساتذتها ينفثون سم العصبيتين الدينية والجنسية فى الشـعوب الأوربية المسيحية العثمانية كاليونان والعـرب والرومان والبلغـار حتى نهضوا بهم الى طلب استقلال بلادهم وساعدتهم الدول الأوربية على ذلك حتى نالوه ، ثم طفقوا ينفثون السم فى أرواح سائر الشعوب العثمانية عامة وعصبية الجنس واللغة فى شعب الترك خاصة لكراهة السلطنة العثمانية . ومضى الأحرار يسعون لاسقاط الدولة العثمانية ليبنوا على أنقاضها دولة تركية محضة يكرهون جميـع أهلها على قبول الجنسية التركية وقد فتن المتفرنجون من الترك بتقليد الأوربيين فى نظم حكوماتهم وقوانينها . وعلم السلطان أن الجون ترك يكيدون له فلج فى مطاردتهم فى الداخل والخارج وشغلته هذه المسألة عن اصلاح الدولة والاسراف (ولا شك) إن عطف الدولة البريطانية على الجون ترك ومساعدتها لهم من دلائل استخدامها اياهم فى سياستها من حيث يشعرون أو لا يشعرون ذلك أن رجال جمعية الاتحاد والترقى ، الفوا الكتب الطاعنة فى الاسلام الداعية الى استبدال الرابطة التورانية بالاسلام ولكنهم كانوا يخافون عاقبة تنفيذ مقاصدهم ، ولما اتجهوا الى الحلف الجرمانى فقدت الدولة سائر ما لها فى أوربا وافريقيا وآسيا ، ومزقوا هذه الدولة بمعاهدة سيفر شر ممزق ، ومعاهدة لوزان التى تقرر فيها استقلال ما بقى للترك والغاء الامتيازات الأجنبيـة ، وقام مصطفى كمال بالغاء الخلافة الزمنية أولا ثم الغاء الخلافة بعام » .

ثم تواصلت الأحداث التى تمثلت فى مواقف متعددة حيث جرى البحث عن الخلافة الاسلامية بمناسبة سقوطها والمحاولات التى قام بها الشريف حسن والملك فؤاد وظهور كتاب الاسلام وأصول الحكم لعلى عبد الرازق وقيـام الدولة السـعودية فى الجزيرة العربية وتصدت المنـار لكل ذلك

بقوة ودحضت شبهات على عبد الرازق وهاجمت محاولة الدولة الكمالية فى ترجمة القرآن ، وفى فصل مطول تحــدث السيد رشيد رضا عن موقف الكماليين من الاســلام فقال :

كنا نعلم أن مصطفى كمال باشا يشــنأ الاســلام ويمقته من قبــل أن يظهر ذلك ونعلم ان ملاحدة الترك الموافقين له فى السعى لتحويل الشعب التركى عن الاسلام بغضا فيه وفى العرب قوم الرسول صلى الله عليــــه وسلم كثيرون وكنا نتمنى قبل تاليفه للجمهورية اللادينية لو يظل هو وأركان حزبه يظهــرون الاســلام ويحافظون على اســمه وشــعائره الظاهرة ولا يعلنون عداوته مراعاة للشعب التركى فأبوا الا أن يهدموا كل ما بقى للدولة فيه من مظهر وشعيرة ، وحكم وعمل وعلم ، وقد وضعوا فى قانون الجمهورية ان دين الدولة الرسمى هو الاسلام فلم نشك وقد رأينا ما رأينا من هدمهم للاسلام من الدولة ثم محاولة هدمه فى الأمة. ان هذا اللقب قد وضع تقية ، لئلا تكون لمفاجاة الأمة بترك دينها اسما ومعنى تأثير تخشى غائلته ، وقد صرح مصطفى كمال باشا نفسه أخيرا بعد أن صرح مرارا بأن التركى حر فى اختيار الدين الذى يعجبه وثنيا كان أو يهوديا أو نصرانيا ولعمرى أنه ليس حرا فى أن يكون مسلما فانه يجبر اجبــارا على استباحة شرائع الاسلام من حلال وحرام ، وقال : لقد سمى الغاء الأحكام الشرعية توحيد للمحاكم وسمى منعــه للعلوم الاسلامية وابطالها توحيــد للتعليم التركى وســمى تفضيله للقوانين الأوربية المسيحية الأســاس كقانون سويسرة للأحكام الشخصية ايثاراً للأحكام الحديثة ، وهناك رواية أنه يريد أن ينصر الشعب التركى ولكن يود أن يأخــذ ثمنا على ذلك من الدولة البريطانيــة وان من أشــهر الكتاب الذين كانوا يغشــون المسلمين بهؤلاء الملاحــدة عمر رضا المصرى الأصل المقيم فى الآستانة الذى كان يرسل جريدة الأخبار المصرية الاسلامية قبــل أن يصــل أمر الحكومة التركية الى هــذا الحد ، فلما نزح فى الخفاء استبدل جريدة السياسة المؤيدة لنزعة الترك الالحادية بجريدة الأخبار . وقد كتب الأمير شكيب ارسلان مقالات فى اظهار خفايا شنآن الحكومة التركية للاسلام والعرب نشرتها جريدة الأخبار فتولى الرد عليها عمر رضا هــذا وبعض اصحاب الجرائد التركية ثم شايعتهم جريدة

السياسة فى مصر ولم يرد له أحد حجة ولا نقض له قضية ، وانما جادلوا وماروا بالباطل وزعموا انه ليس له حق فى الدفاع عن الاسلام لانه من طائفة الدروز ، والأمير شكيب من أنبغ مريدى الأستاذ الامام الذين تلقوا عنــه عقائد السنة السامية وحكمها العالية فى بيروت فكان بهــذا من انصــار الاسلام والسنة لا من آحاد المسلمين (م ٢٨) .

وواصل السيد رشــيد رضا كشف « حقائق عداوة ملاحدة الترك للاســلام » وعملهم على محو الاسلام من الشعب التركى وتاسيس دولة تركية محضة وجعل الولايات العربية مستعمرات لهذه الدولة وتتريك سائر العناصر العثمانية ومن يقدر على تتريكه من العرب وانهم اتخذوا سياسة المراحل فى القضاء على الاسلام فمهدوا لالغاء الخــلافة بتنصيب خليفــة روحانى لا عمل له وقال انهم فشلوا فى هــذه الخطة لأن الشعب التركى يدين بالاســلام وهو ساخط على الحكومة لشــعوره بأنها تهدم دينه الذى هو مناط أمله .

وتحدث عن خط هجــوم الكماليين على الاســلام باستبدال الأحرف اللاتينية بالحروف العربية ووجوب محاربة هذا الخط على العالم الاسلامى فقال : لقــد بات مقاومة هجوم الكماليين فرضــا مقدســا على المسلمين ليستطيعوا الاحتفاظ بدينهم هم وذراريهم المستقلة فان أعداء الاســـلام فى أنقرة لم يجدوا أمامهم عمــلا الا استئجار الكتاب من أوربيين وشرقيين بأموالهم وأموال المفسدين لنشر الدعاية ضد الاسلام يدعون الى استبدال الأحرف اللاتينية بالعربية كما فعل ذلك لويس ماسينون فى باريس للقضاء على الأحرف العربية (م ٢٩) .

الفصل الثانى

الماسونية والصهيونية

كان السيد رشيد رضا من اليقظة والوعى بالتيارات العالمية والمؤامرات التى تجري حول عالم الاسلام فكان من ذلك استشفافه لأخطار الماسونية منذ وقت باكر ففى المجلد السادس (١٩٠٣) تحدث عن هذه الارهاصات فقال : رأى جمال الدين أن نحلة الماسونية تجر هذه البلاد الى أوربا بخيوط سياسية خفية ولكنها متينة قوية فهى كالخيوط التى يربط بها المشعوذ التماثيل التى يلعب بها من وراء ستار ، فيحسب الصبيان أنها هى التى تلعب بنفسها . وهكذا كانت مصر العوبة فى أيدى الأوربيين فأراد أن يربى رجالا يعرفون كيف يحفظون بلادهم وأنفسهم فوجه همته الى استخدام الماسونية فى تعليم تلاميذه ما لا يمكن التصريح به الا فى جمعية سرية فدخل فى الماسونية ودخل معه تلامذته التابعون فجعل بهم قوة للمصريين وصار رئيس مجتمعهم ، ولكنه كان غاليا فى مضادة الانجليز لما كان من زحفهم على بلاده ولما كان يعتقد من طمعهم فى مصر وقد صرح بذلك كتابة مقاوموه حتى اضطروه الى ترك الماسونية مع كبار حزبه ، ولم يكن للماسونية عمل فى مصر الا فى تلك الفترة ثم ان الماسونية صارت فى مصر آلة لبعض زعمائها فى جلب المنافع ثم كثر فيها الغوغاء حتى قل احترامها وانطلقت الالسنة بالطعن فيها وليس هذا مما يعنينا الآن .

وفى نفس المجلد تحدث عن الماسونية واليهود فقال : الماسونية جمعية سرية تكونت فى أوربا لمقاومة استبداد رؤساء الدنيا من الملوك والأمراء ورؤساء الدين من البابوات القسيسين الذين كانوا متضافرين على استعباد الناس وحرمانهم من نور العلم والحرية وقد اتفق على تكوينها اليهود والنصارى ولذلك جعلوا رموزها واشاراتها متفرعة من الكتاب المشترك الذى يسمى الكتاب المقدس وأسندوها الى بناة الهيكل المقدس : هيكل سليمان عليه السلام وهو المسجد الأقصى ، ثم ان الافرنج لما تغلغلوا فى الشرق ورأوا مزاج السيادة الاسلامية لا يقبل مشاركا له فى حكمه

فهو يجيش بانفعال جميع المسلمين لنبذ سلطة من يحاول السيادة عليهم استعانوا بالماسونية على اضعاف هذا المزاج وتوسلوا الى بعض كبراء المسلمين واغنيائهم بما توسلوا واستعانوا عليهم بنصارى بلادهم فأدخلوا طائفة منهم وبقى أكثر المسلمين الى اليوم يعد الماسونية نزعة من نزعات الكفر أو وسيلة اليه الا ان الشعب المصرى سريع الانقياد الى التقليد ولذلك كثر الداخلون فى هذه الجمعية من اهله على أن اهله يتصلون بالأديان ويدعون عدم التعرض لها بحال ... »

ومضى السيد رشيد يوالى امر الماسونية على صفحات المنار فتحدث (م٨) عن مؤلفات جديدة بدأت تظهر بالعربية منها تاريخ اليهود لشاهين مكاريوس ، والحقائق الأصلية فى تاريخ الماسونية العملية ذكر فيها اعمالها السياسية السرية التى كانت من اعظم اسباب الانقلاب السياسى فى أوربا (وتابعه بعد ذلك جرجى زيدان) ومضت الأحداث المضمرة من اعمال الماسونيـة فى الدولة العثمانية وفى السيطرة على جماعة الاتحاد والترقى وكانت قد حملت لواء القضاء على السلطان عبد الحميد بالقتل والانقلاب وقد جربت الاثنين ففشلت الأولى ونجحت الثانية ، وبعدها انكشفت اوراق الماسونية التى كانت قد خدعت الكثيرين ممن دخلوا فيها ظنا انها وسيلة للنهضة او وسيلة للبر او مقاومة النفوذ الأجنبى . ففى عام ١٩١١ (م ١٤) اتضح الموقف وكتب السيد رشيد رضا عن الماسونية فى البلاد العثمانية قال : كان السلطان عبد الحميد عدو للجمعية الماسونية لاعتقاده انها جمعية سرية وهو يخاف من كل اجتماع وكل سر وان غرضها ازالة الاستبداد وهو مستبد وازالة السلطة الدينية من حكومات الأرض كلها وهو يفخر بالخلافة الاسلامية ويحرص عليها وقد تنفس الزمان للماسونية بعد الانقلاب الذى كان لهم فيه أصابع مرونة فأسسوا « شرقيا عثمانيا » استاذه الأعظم طلعت بك ناظر الداخلية وأركانه زعماء جمعية الاتحاد والترقى وأنصارها من اليهود وغيرهم ولأجل هذا نرى طلعت بك لا يبالى بسخط الأمة ولا برضاها فى ادارته التى استعانت فيها المملكة بألسنة ولاياتها الا ولاية سلانيك وكذا ادرنة فيما اظن وألسنة مبعوثيها حتى بعض الاتحاديين وسلانيك هى الآن مركز السلطة الحقيقية فى المملكة وانما الآستانة مركزا للتنفيذ .

ثم واصل المنار الحديث فى المجلد ١٤ (١٩١٢) ومنها أول كلمة صريحة واول اعتراف بانصاف السلطان عبد الحميد وقال انهم كان لهم اثرهم فى الثورة الفرنسية وفى الانقلاب العثمانى ثم نشر بيان الأميرلاى صادق بك عن الماسونية والاتحاد والترقى وأشار الى مقالة مجلة دين دمعيشت الروسية أن جمعية أركان الدولة والقائمين بأعمالها جميعا من الخفير الى السلطان ماسونيين وجعلت الماسونية مهمة رجال الدولة منصبة الى هدم الدولة الاسلامية وتاسيس دولة ماسونية .

— ٢ —

وكان هذا كله مقدمة للحديث عن الخطر الصهيونى الزاحف الذى لم يغفل عنه السيد رشيد رضا فقد كانت افتتاحية المنار (يناير ١٩٠٢) ١٣١٩ هـ عن أخطار الجمعية الصهيونية فقال : ان رياض باشا اطلع على كتاب لبعض الأوربيين المجاورين لليهود عن الجمعية الصهيونية ومساعيها فى اعادة السلطة والملك الى شعب اسرائيل وقال انه يعرف هذه الجمعية منذ خمس سنوات (أى منذ عام ١٨٩٧) وهو تاريخ عقد مؤتمر بال وظهور البروتوكولات ، وقال انها جمعية سرية غرضها الاستيلاء على البلاد المقدسة لتكون مقر ملكهم وعرش سلطانهم ، وجاء ذكر هذه الجمعية فى منار السنة الأولى (ص ٤٤/٤٥) وفيه أن حركة هذه الجمعية ظهرت فجأة فى النمسا والمانيا وانجلترا وامريكا . وهى تتظاهر بنقل فقراء اليهود المهاجرين والمقيمين الى بلاد فلسطين فلما وثقت بقومها الآن خرجت من مضيق الكتمان وقد بعثت منذ اشهر المستر اسرائيل زنفويل من لندرة الى الآستانة للمساومة على شراء القدس الشريف ويقال أنه لقى من الحضرة السلطانية التفاتا وانعطافا وبعد عودته خطب فى الجمعية فقال : ان اليهود سيرجعون بكثرة الى فلسطين مملكتهم القديمة التى لا يمكن أن تغرب شمسها عن سماء افكارهم وسيبلغ عددهم فيها عام ٢٠٠٠ أى فى آخر القرن العشرين المسيحى مائتى الف الف (مليونين) نفس وسيجعلون تلك الأرض جنات عالية قطوفها وينشئون فيها حدائق ذات بهجة ويصلون أطرافها وأرجاءها فيكون شعب اسرائيل منارا على جبل صهيون تهتدى به الأمم ، وقال ان غاية ما يرمى اليه اليهود هو جمع

النقود الكافية لابتيـاع أرض فلسطين من السلطان وبلغ ما جمـع الآن الف الف ريال أمريكانى (مليـون) هـذا ما نشرته الصحيفة العبرانيـة الفرنساوية والموضوع بكامله (ص٨٠٦ مجلد ٤ من المنار) ويبدو أن السلطان عبد الحميد لم يكن قد حدد موقفه من الصـهيونيين فى هذا الوقت ولذلك فانه لم يعلن موقفه الا بعد أن أتاح لهم الفرصة فى ذكاء السـياسى لطرح كل ما عنـدهم وقـد أشار هرتزل فى مذكراته أنه تردد أكثر من مرة على السلطان وان السلطان قد حسم الموقف فى النهاية على النحو الذى ازعجهم وجعلهم يرتبون قتله أو اسقاطه ومن ثم أعلنوا عليه تلك الحملة الضارية التى قادها صحفيو المارون فى مصر وغـيرها فى المقطم والهـلال وكتابات سركيس وغيره .

وفى المجلد الرابع عشر من المنار سنة ١٩١١ تحدث السيد رشيد رضا عما أطلق عليه المشروع الأصفر فقال : خبرنا الآستانة باقامتنا منها سنة كاملة فرأينا أن نفوذ اليهود فى جماعة الاتحاد والترقى عظيم ، وان ناظر المالية اسرائيلى النسب وانه جعـل كاتم سره وكثيرا من موظفى نظارته من اليهود فعلمنا أن اليهود سيكون لهم شأن أى شأن فى هـذه المملكة ، وآمالهم فى القدس وفلسطين معروفة ومطامعهم الحاليـة فى المكان تعظم وتعوذهم فيه غير مجهول واشرنا الى ما يخشى من مغبـة ذلك فى أجزاء السنة الماضية ثم جاءت أنباء مجلس الأمة العثمانى فى هذه الأيام مصدقة لما قلناه فقـد خطب بعض النواب المستقلين والمعارضين للحكومة خطبـا نبهوا فيها على خطر جمعية اليهود الصهيونية فى المملكة العثمانية وانكروا على ناظر المالية بيعه أحسن موقع عسكرى فى الآستانة لشركة أجنبيـة بثمن دون المثل بسمسرة بعض اليهود ، كذلك أشارت المنار الى أن جريدة الكرمل نشرت مقالات عن جمعية اليهـود الصهيونية التى تسعى لتمليك اليهود بلاد فلسطين وتمهد السبيل لاعادة ملك بنى اسرائيل .

— ٣ —

وتحدث عن ما نشرته صحف سـوريا فى مشروع الأصفر حيث قال ان عمران بلادنا يتوقف على استعمال الأموال الأوربية فيها وزمام هـذه الأموال فى أيدى اليهود ، وترى الصحف أن الخطر من الصهيونية ينحصر

فى شىء واحد هو امتلاكهم للأرض المقدسة ، والخطر من استعمال أموال الأجانب اليهـود ينحصر فى غرق الأهالى والحكومة فى الديون وثانيهما تمليكها لرقبة البلاد بأن يكون أكثر الأرض أو الكثير منها لهم ، وقال لقد زادت ثروة مصر بأموال الأوربيين وأعمالهم أضعافا مضاعفة ولولا جراة الفلاح المصرى على الاستدانة بالربا الفاحش وغير الفاحش بغير حساب ولولا الاسراف والقمار والمضاربات لما كان على المصريين دين يذكر بالنسبة الى ثروتهم العـامة .

وأشار السيد رشيد رضا الى أن المنار كان هو السابق لجميع الصحف فى التنبيه الى نفوذ اليهود الصهيونيين فى جمعية الاتحاد والترقى وما فيه من الخطر على الدولة ، وقد ظهرت الحقيقة فى مجلس الأمة العثمانية وعلى لسان الصدر الأعظم حقى باشا الذى صرح فى خطاب له بأن اليهود هم أصحاب المستقبل فى هذه الدولة ، حتى فى أمورها الادارية والعسكرية .

— ٤ —

ويتحدث السيد رشيد رضا فى مقال مطول عن بنى اسرائيل فأشار الى كيد اليهـود فى شل عرش ذلك السلطان الدينى والدنيوى فى أوربا وانه لولا ذلك لمحت العصبية الصليبية راية الاسلام فى الشرق كما محتها فى أكثر أوربا ولما وجدت هـذه الحضارة المؤسسة على قواعد العلوم والفنون والحرية التى نفحها روح الاسلام فى الأندلس والشرق ثم انتقلت الى ايطاليا وفرنسا فسائر بلاد الغرب ثم يقول : على أن الشعوب الأوربية الحرية بالطبع الموروث قد كفرت بنعم الله فى العلم كما كفرت بنعمته فى هداية الدين فهى تستخدمها فى الاستعداد لدك معالم الحضارة والعمران وابادة بعض شعوبها لبعض ، فاليهود يلتوون لهـذه الدول وشعوبها فى شرق أوربا وآسيا بالبلشفية وفى غربها بخصمها الراسمالية والغرض من الكيد من ازالة بغى القوة النصرانية ثم القوة المادية لشعوب أوربا التى تساعدهم على غرضـهم الأساسى وهو تجـديد ملك يهـودى يكون له النفوذ الأعلى فى العالم ، فهم الذين تلو عرش السلطان البابوى

بقوة العلم والمال لأنه كان يضطهدهم فى كل مكان وهم الذين وضعوا سلطان الحكم العنصرى بمجلس الدوما أولا ثم قوضوه بالحكومة الشيوعية أخيرا لأنه كان يضطهدهم أيضا وهم الذين ساعدوا جمعية الاتحاد والترقى على تقويض سلطان الخلافة التركية تمهيدا لتمكنهم من امتلاك فلسطين لا لاضطهاد الترك لهم وهم الذين قوضوا صرح القوة الألمانية فى الحرب الأخيرة بما بعثوه من سموم الثورة فى أسطولها وفى جيشها وبما جاهدوا بأموالهم وكيدهم فى حمل الولايات المتحدة على مساعدة أعدائها الحلفاء عليها ثم سعوا لنشر الشيوعية فيها حتى لا تقوم لها قائمة مسيحية ولا قومية ، وما كان هذا الا خدمة لانجلترا وجزاء على عهدها بلسان لورد بلفور فى تأسيس وطن قومى وملك يهودى فى فلسطين فكيدهم لألمانيا ككيدهم للدولة العثمانية لا ككيدهم لدول الاسفن والعنصرية الروسية . الظالم سيف والله ينتقم به ثم ينتقم منه رواه الديلمى فى مسند العروس بلفظ عدل الله (م ٣٤٧/٣٣) .

ثالثـا : الحركات الاصلاحية
(الوهابيـة والسنوسية) وغيرهما

— ١ —

أولت المنار على مدى عمرها الطويل اهتمامها بالحركات الاصلاحية الاسلامية وتابعت حركة اليقظة الاسلامية فى مختلف أجزاء العالم كما أولت اهتماما بالغا بالمؤتمرات الاسلامية التى عقدت فى الهنـد ودمشق وجنيف ومكة المكرمة وبيت المقدس ، بل لقد اهتمت بمؤتمر أم القرى الذى تخيله الكواكبى ١٣٢٠ هـ .

مؤتمر ندوة علماء الهنـد ١٣٣٠/١٩١٢ .

المؤتمر السورى العـام بدمشق ١٣٣٨/١٩٢٠ (وقد انتخب السيد رشيد رضا رئيسا للمؤتمر) .

المؤتمر السورى الفلسطينى بجنيف ١٣٤١ .

مؤتمر مكة المكرمة السـعودى ١٣٤٤ .

مؤتمر بيت المقدس ١٣٥٠ (ديسمبر ١٩٣١) .

كما تابعت نهضة الاسلام فى الهند وفى جزر الملايو فتحدثت عن أحمد خان الهندى وأحمد دحلان ومدح المنار أحمد خان الذى انشأ جامعة عليكرة لأنه كان دائما موضع المقارنة مع الشيخ محمد عبـده فيما فعـله كلاهما للخروج من دائرة التقليد وبحث الاسلام بحث المجتهد المحقق كما يقول المنار (ص ٣٣ م ٧) ولكن الأبحاث بعد ذلك كشفت عن جوانب أخرى بالنسبة للرجلين .

وفى المنار المجلد ٢ ص ٢١١ كتب السيد رشيد رضا عن السنوسية كما كتبت عنها صحيفة المانية (دى كولونى) وأشار الى أهميتها من حيث انتشارها السياسى وانها أنشئت ١٨٥٥ بواحـة جغبوب محمد بن على السنوسى المولد ١٨٩١ على حدود الجزائر المتلخمة لمراكش ، بارج وطفسة

١٨٣٠ مشعلا نار النقمة على الفرنسيين الذين كانوا استولوا على تلك البلاد وقد حط الرحل بعد الرحلة فى واحة جغبوب ١٨٥٥ ، كذلك فقد واصل الحديث عن طريقة السنوسية من الاسكندرية ودرنة (م ١٥) ودعوة السيد أحمد الشريف السنوسى الى جهاد الايطاليين كما تحدث عن ثورة السودان التى قام بها الامام المهدى (م ٢) وتحدث عن النفوذ الانجليزى فى البلاد الاسلامية والامتيازات الأجنبية ، وتحدث عن تعصب غلادستون وسالسبرى ضد الاسلام .

واولت الاستعمار اهتماما كبيرا فتحدثت عن السياسة الهولندية فى جاوة وعن سياسة فرنسا فى مراكش .

كما تحدثت عن انتشار الاسلام فى مجاهل افريقيا نتيجة اسفار المسلمين وتوغلهم بقصد الكسب والاتجار فلما انس الأهالى منهم الوفاء والاستقامة اقتدوا بهم فتناسلوا وتكاثروا ونما بينهم الاسلام، حتى قال أحد الرحالة الأوربيون انه لم يكن يامن على نفسه اثناء رحلته واثناء تطوافه الا عند المسلمين .

وأولى المنار اهتماما كبيرا حول المسلمين فى الهند ونشر فصولا عن محاكمة الزعيم المسلم أبو الكلام ازاد فى الهند وخطابه الذى القاه عند محاكمته أمام المحكمة الانجليزية ووصف ثورة الهند السياسية السلبية وانتصارها للخلافة والدولة التركية والبلاد العربية (م ٢٤) .

— ٢ —

ولقد كان لأحوال الحجاز والجزيرة العربية موضعا هاما ومتابعة كاملة وقد والت المنار اخبار الثورة العربية التى قام بها الشريف حسن وما اتصل بها من تمزيق البلاد العربية بمعاهدة سايكس باكو وقيام نظام فى سوريا ملكى ثم احتلال فرنسا لها وما يتصل بموقف الشريف حسين من النفوذ الأجنبى ومسألة فلسطين .

ثم توالت الأحداث وزحف النجديون على الحجاز وتم استيلاء الملك ابن السعود على جميع الحجاز ديسمبر ١٩٢٥ (١٣٤٤ هـ) وأشار الى ما كان بين سلطان نجد والبيت الهاشمى .

وفى مجلد (٢١) تحدث المنار عن الخلاف بين النجديين والحجازيين قال : لفظ الوهابيــة يطلق على اتباع الشيخ محمد عبد الوهاب العــالم السنى الشــهير المجــدد للنهضة الدينية فى نجد ، فقد اتخذ أمير نجــد تلك النهضة فى ابان ظهورها وانتشارها وسيلة للاستيلاء على بلاد الحجاز التى طال عليها عهد الظلم والجهل ولم يظهر فيها مصلح علمى ولا ادارى .

وقد انبرت حكومة الآستانة لمناهضته واخراجه من الحجاز الذى هو مناط عظمتها وسلطتها الاسلامية واستعانت على ذلك بحكومة محمــد على باشا التى كانت عاجزة عن تولى ذلك بنفسها وارادت أن تشوه تلك الحركة الاصلاحية فأذاعت أنها عبارة عن أحداث مذهب جديد مبتدع فى الاسلام مخالف لمذاهب أهل السنة واغرت أنصارها من العلماء الرسميين والمفتين بالرد على هذا المذهب وتضليل أهله وتكفيرهم وهم ينكرون كل مذهب فى الأصول غير مذهب الســلف الصالح ويتبعون فى الفروع مذهب الامام أحمد بن حنبل وأصحابه .

واشار الى رواية الجبرتى عن الوهابية وعسكر محمــد على .

ثم قال : ولا يزال مسلمى الحجاز ومصر وسوريا والآستانة يظنون أن لأهل نجد مذهب مخالف لمذاهب أهل السنة لأن بعض الذين كتبوا عنهم قالوا انهم يكفرون غيرهم من المسلمين ويقولون فى النبى عليه أفضل الصلاة والسلام ما يعد اهانة وكانت قد صدرت الارادة السنية الى محمــد على بقتالهم وردع هــذه الطائفة خوفا من انتشار شرهم فى البــلاد الاسلامية فأطفأ سراجهم وبدد شملهم .

ولم يكن فى هذه الفترة من الممكن قول كلمة الحق عن الوهابية لخوف الدولة العثمانية منها ومعارضتها لها ، ثم أشار الى ثورة الشريف حسين على فعلة الاتحاديين الطورانيين ثم على دولة الترك بحملتهــا فى عهــد الحرب الأوربية وقد أقنع بعض أهل الفترة والأحلاف من العرب باتخاذ ذلك وسعى الى جمع كلمة عرب الجزيرة فى سبيل انقــاذ عرب ســوريا والعراق من ظلم الاتحاديين واضطهادهم . وقد ســعى بعض الطامعين فى جمع الكلمة بعقــد اتفــاق بين شريف مكة والأمــير ابن ســعود صاحب

نجـد والامام يحيى صاحب اليمن والادريسي صاحب عسـير على قاعدة الاعتراف بكل منهم باستقلاله فى بلاده والتعاون بينهم على دفع العـدوان الأجنبى ورفع شـأن الجنس العربى ، وبدأت حكومة الحجاز فى الطعن فى اهل نجد والدعوة الدينية الى مثالهم ، وقد ارسلت حكومة مكة الهاشمية الحملة بعد الحملة لقتال الشريف خالد فى الخرمة . وتضمن منشور ملك الحجاز ١٣٣٦ الاشـارة الى البدع والزيغ الدينى عن منتحلى العقيـدة الوهابية المكفرين لكل العالم الاسلامى

وتحـدث عن موقف حكومة الحجـاز وتكفير الوهابيين والنجـديين والدعوة الى تعاليم باسم الدين وقد ارسل ابن سعود بيانا الى اهل الشام قال فيه : نحن مثلكم مسلمون مؤمنون موحدون ندين بدين محمد بن عبد الله ونقر بترتيب الأصحاب كما جاءوا فى الحكم والاستخلاف ونقلد فى عباداتنا الامام الأعظم احمـد بن حنبـل ونعترف أن اخوته الأئمة الباقين هم مثله فى العظمة والصدق والصحة فحذار ثم حذار أن يغركم ويفسدكم ويفتنكم فتعطوه صبرا ومالا . وقال : هم اخوتكم فى الله يجاهدون فى الله ولم يسبق بيننا وبينكم عـداوة ولا نحن طامعون فى بلادكم فخلوا بيننا وبينه ليزول الأعجل ويقضى الله أمرا كان مفعولا » (م ٢١) .

ثم واصل السيد رشيد رضا كشف حقيقة الوهابية وتجلية منشـأ الطعن فيها فقال : ان سبب قذف الوهابية بالابتداع والكفر سياسى محض ، كان أولا لتنفير المسلمين منهم لاستيلائهم على الحجاز وخـوف الترك من أن يقيموا دولة عربية ولذلك كان الناس يهجون عليهم تبعا لسخطالدولة. الى أن حددها الملك حسين فى الحجاز وولده فيصل فى العراق وولده الأمير عبد الله فى سوريا (فلسطين) لقد أصدر الملك حسين عـدة منشورات فى جريدته ١٣٣٦/١٣٣٧ رماهم فيها بالكفر وتكفير اهـل السنة والطعن فى الرسـول الأعظم وانه لابد للسلطان من قتالهم ثم سرى ذلك الى مصر وظهر له اثر فى بعض الجرائد وقد رد على هذه الرسائل بعض علماء الشام وجرت مناظرة مع علماء مكة (م ٢٤) .

ثم انتهى الموقف بانتصار السعوديين واستيلائهم على مكة والمدينـة والطائف وجدة واستقر أمرهم وتعرف المسلمون على حقيقة دعوة التوحيد

التى قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتكشف زيف دعاوى النفوذ الأجنبى فى تشويه الحقائق واستغلال ذلك سياسيا ».

ويتحدث السيد رشيد رضا فى المجلد (٢٧) تحت عنوان « الوهابيون والحجاز » فيقول : مما خص الله به هذه الأمة انها لا تجتمع على ضلالة ، وانه لا يزال طائفة منها ظاهرين على الحق ، وان الله تعالى يبعث فيها مجددين لأمر الدين كما ورد فى الأخبار المرفوعة من صحيحة وحسنة تثبت صحة معانيها بالفعل .

ولقد كان من اجلهم فى القرون الوسطى قدرا وأنبههم ذكرا شيخ الاسلام احمد تقى الدين بن تيمية رحمه الله فقد أتاه الله من المواهب ما يندر أن يجتمع لأحد من البشر ، وقد تصدى للرد على النصارى واهل البدع والف فى ذلك المصنفات الدالة على سعة علمه وقوة حجته وقد شهد له اكابر المصنفين ولاسيما حفاظ الحديث بما لم يشهدوا لغيره من أهل عصره حتى اعترفوا له بالاجتهاد المطلق ، وتصدى لعداوته ويذائه وصده عن نصر السنة واحياء مذهب السلف بعض كبار العلماء الرسميين المقربين الى الملك فاوذى وحبس فى هذا السبيل وظل اولئك المقلدين الجامدين يصدون الناس عن كثير حتى احياها الله تعالى فى بلاد نجد بظهور المجدد الداعى الى الله تعالى الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأولاده واحفاده وأنصارهم من آل سعود أمراء نجد فى أواخر القرن الثانى عشر وأوائل القرن الثالث عشر ثم فى نهضة الاصلاح الجديدة بمصر والهند وغيرها من البلاد الاسلامية فى عهدنا هذا من القرن الرابع عشر وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله مجددا للاسلام فى بلاد نجد بارجاع أهله عن الشرك والبدع التى فشت فيهم الى التوحيد والسنة على طريقة شيخ الاسلام ابن تيمية .

أما الدولة العثمانية فقد استمرت على معاداة آل سعود زهاء قرن كامل لاعتقادهم أنهم يريدون تأسيس دولة عربية قوية تزيل ما لهم من

السلطان فى جزيرة العرب ويتبع ذلك هدم الخلافة التركية ثم ظهر لهم ان مصلحتها تقتضى بالاتفاق مع آل سعود والاعتراف لهم بسيادتهم على نجد وملحقاتها حتى ما كان بين الدولة فيها فعلت ذلك اما أمراء مكة المعروفون بالشرفاء فقد ظلوا فى الطعن على دين الوهابيين وافتراء الاكاذيب عليهم ، وأشار الى دسائس الشريف حسين لآل سعود ، والى زحف السلطان عبد العزيز على الحجاز وانقاذه منه ، وقد نشر السيد رشيد رضا بضع مقالات فى جريدة الأهرام وفى المنار كشف فيها عن ان هؤلاء النجديين الذين يلقبون بالوهابيين سنيون متمسكون بمذهب السلف فى العقائد وبمذهب الامام احمد فى الفروع وانهم أشد شعوب المسلمين فى هذا العصر اتباعا وابعدهم عن الابتداع ، وان الاستعداد للاصلاح الاسلامى الحق بالتوحيد الخالص وترك البدع والخرافات والتقاليد الوراثية الباطلة قد صار الآن أقوى .

الباب الخامس

ميادين العمل الصحفى الاسلامى

الفصل الأول : التعريف بفضل الاسلام

الفصل الثانى : الدفاع عن اللغة العربية

الفصل الثالث : التربية والتعليم

الفصل الرابع : قضايا المراة والمجتمع

الفصل الخامس : احياء التراث

الفصل السادس : اعلام المنار ووفيات الأعيان

الفصل السابع : الصحف والمجلات

الفصل الثامن : الجماعات الاسلامية

الفصل الأول

التعريف بفضـل الاسـلام

– ٢ –

كان صدر السيد رشيد رضا ممتلئا ايمانا بعظمة الاســلام وفضله وامجاد تاريخه على نحو واضح فى كل صفحات المنار ، ومنذ العدد الأول اولى اهتماما كبيرا لابراز عظمة الاســلام « كمنهج اجتماعى وحضارى » كان له أبعد الأثر فى الحضــارة الانسانية عامة وفى الحضــارة المعاصرة وفى تمدين البشرية ولذلك فقد أولى اهتماما بأدوار عدة :

اولا – عرض ما جاء فى تقدير الحضارة الاسلامية والشريعة الاسلامية فى كتابات الغربيين .

ثانيــا – عرض صفحات من التــاريخ الاســلامى وتاريخ الأندلس ودور المسلمين فى بناء المنهج التجريبى واقتباس أوربا من الاسلام .

ثالثــا – دور العرب فى بنــاء النهضة الاسلامية العالمية والتحدث عن مدنية الاسلام فى الطب والفلك وغيرها .

رابعــا – الاهتمام بالشخصيات ذات الشأن فى التاريخ الحــديث التى أولت اهتماما وتقديرا للاســلام .

خامسا – عظمة القرآن وصلاحية الشريعة الاسلامية لهــذا العصر وكل العصــور .

وهكذا مضى المنار لطيته منذ اليوم الأول الى اليوم الأخير فهو يتحدث عن اعادة مجد الاسلام تحت عنوان : كيف يعود للاسلام مجده فيقول : **الجواب من الكتاب (كما بدأكم تعودون) ومن السنة (بدأ الاسلام غريبــا وسيعود غريبا كما بدأ) ومن كلام علماء العمران أن التاريخ يعيد نفسه .** ويقول : لماذا اختار الله الأمة العربية لهذا الاسلام لأنهــا وسط بين الأمم ولم يكن لها رؤساء فى الدين والسياسة يحكمونها بالجبروت والاستبداد ،

بل ســـلامة الفطرة وغيرة النفس وشـــدة البأس ، ولم يكن عند العرب من التقاليد الدينية شيء يستندون منـــه على وحى ســـماوى وعلى سلف من الأنبياء فيدافع ما جاء به الاسلام او يزاحمه ، واشار الى أنه يوجـــد من المسلمين بعض المتعلمين على الطريقة الأوربيـــة واكثرهم من الأتراك والهنود وعدد قليل من المصريين منحرفون عن صراط الدين غير مصبوغين بآدابه وفضائله ، وهناك سكان البوادى من العرب فانهم لم يصبهم من ظلم الظالمين ما أصاب غيرهم ». طائفة يعسر عليها أن تجارى المدنية الحاضرة قال : والمنار يدعو الى الوحدة الاسلامية التى تضمن لسائر الشـــعوب والملل حقوقها فى بلاد الاسلام على أكمل وجه : هـــذه الوحدة الاسلامية لا يتيسر القيام بتعميمها من مصدر واحـــد من اختـــلاف لغـــات المسلمين ومذاهبهم وحكوماتهم واقطارهم ومذاهبهم وان الخطر الذى يتهـــدد العرب ابتلاع الأمم المتمدنة لهم ، فاذا كسر باب المســـألة الشرقية انحسر الترك لأنهم عنصر مستقل ولكن البلاد العربيـــة تذهب فريسة المطامع اذا تقلص عنها ظل الدولة العثمانية ومجد الاسلام انما يحفظ بمجد العرب وانما يعود مجد الاسلام بالأصول والاعمال التى أخذ بها المسلمون عند ظهور الاسلام فكان لهم ذلك المجد العظيم وزال مجدهم باهمالها هى التى يعود المجـــد بالأخذ بها والأسباب تتصل بمسبباتها ، وعبارة يعود غريبا فى الحـــديث النبوى أخطأ الذين يفهمون من الحـــديث أن الاســـلام يضمحل ويتلاشى ثم لا يعود الى مجده وعزته، انما هى صريحة فى أن الاسلام سيظهر مرة ثانية مثل ظهوره فى المرة الأولى وظهوره فى المرة الأولى كان غريبا على العالم ولكن فى غرابته استعقب مجـــدا كبيرا وعزة كذلك يكون فى الكرة الأخرى ان شاء الله رغم أنوف اليائسين الذين سجلوا على هذه الأمة الشـــقاء بدينها الى يوم الدين ، على فهمنا هذا قمنا ندعو المسلمين فى (المنـــار) الى احياء مجد دينهم بالرجوع الى ما كان على سلفهم الصالح ولا بلاء أشد على المسلمين من اليأس والقنوط ».

— ٢ —

واحاديث مطولة فى المنار (منذ المجلد الثانى) عن مدنية العرب وقد انشأ هذا البحث ما كان يكتب فى تركيا عن العرب تعصبا للجنس وكان رشيد رضا قد تحدث عن تجديد الروابط بين الترك والعرب على أسلوب جديد وكانوا ينتقضون العرب فى تركيا ويقولون انهم ليس لهم تاريخ ، وحاول فى أدب رفيع أن يشرح هذا الأمر ثم بدأت هذه المقالات تروى ما قدمه العرب فى مجالات المدنية المختلفة ، من طب وفلك وعلوم ، يقول مع الاشارة الى نزعات التعصب الجنسى عند الترك « حرصبنا بأن لا تعنى بالوحدة العربية أن ينفصل العرب عن سائر المسلمين أو عن الترك بل تعنى به أن كل شعب يجتهد فى ترقية نفسه ملاحظا أن فى ترقية نفسه ترقيا لسائر الشعوب ، ثم اشار الى الفوارق بين المدنية الاسلامية والمدنية الأوربية واخطاء الأخيرة حيث حرم الاسلام مقاتلة من لا يقاتلهم كالنساء ورجال الدين والأطفال والشيوخ وحرم عليهم التمثيل وهتك الأعراض .

كذلك تحدث عن اقتباس اوربا من الاسلام ، وعن ثناء منصفى الافرنج عليه كما تحدث عن تبرئته بادانة اهله وأورد ما قاله المسيو ريمون الرحالة الشهير من أنه كان لا يامن على نفسه الا عند المسلمين أثناء تطوافه فى مجاهل افريقيا حيث يجد منهم لطفا وحسن ضيافة وقد كتب رسالة طويلة فى هذا المعنى الى السيد السنوسى مدح فيها اخلاق الاسلام وفضلهم على سائر الأمم والشعوب .

كما تحدث السيد رشيد رضا الى بسبق الاسلام الى المبادىء الجمهورية والاشتراكية وتحدث عن الفارق بين اشتراكية الاسلام واشتراكية المسيحية (م ١/٩٤٨) .

كما تناول التاريخ الاسلامى وتاريخ الأندلس والخلافة الأموية وتحدث عن جزيرة العرب ومكتشفوها من الإفرنج ، وأشار الى تعصب اوربا على الدولة العثمانية وتنازعها للممالك الاسلامية وأورد شهادة التاريخ على بعضها (م ١/٤٨٨) .

— ٣ —

كما أورد كثيرا مما كتبه اعلام الغرب عن الاسلام وفى المجلد الحادى عشر نشر بحث مسيو رينيه ميليه الذى القاه فى مؤتمر أفريقيا الشمالية المنعقد فى باريس عن الاسلام والمدنية الحديثة ، كما أفاض فى عرض آراء القس اسحق طيلر عن الاسلام التى نشرها فى انجلترا عام ١٨٨٨ (م ٤ المنار) وكان قد كتبها بعد ما جاء مصر ليختبر حال المسلمين اذ قيل له انه مبالغ فى مدحهم ومدح دينهم وقد نشرها فى جريدة سنت جمس غازت الانجليزية (١٨ ابريل ١٨٨) قال : انى ذهبت الى مصر احد اقطار الاسلام وقصدى الوحيد أن أطلع من ذلك المكان على الأعمال المجموعة فى القرآن من الآداب والأخلاق والتقوى والمعرفة واعلم ما هى العقائد الحقيقية المتعلقة بالمسلمين ذوى التربية وانى اقر وأعترف بأنى تعجبت غاية التعجب لما رايت المسلمين راضين بأن يتكلموا معنا فى موضوع عقائدهم وحاضرين للاعتراف بذنوبهم ، كل مسلم يؤمن بالله الواحد القهار النافذ أمره فى السماء والأرض وبرسالة عيسى عليه السلام الملقب عندهم بالمسيح ومعجزاته ويؤمن بوجوب الصلاة وبنقاء النفس فى الآخرة ، أما فى الرحمة أو ما فى العذاب وبالهامية الكتب المنزلة من قبل أمة محمد صلى الله عليه وسلم متقنة جدا وبعض أدعيتهم وصور مناجاتهم حسنة للغاية حتى انه لا يمكن لأحد من المستحقرين أن يجد فيها كلمة واحدة يعترض عليها » .

كذلك فقد اشار الى كتاب تاريخ القرآن والمصاحف الذى الفه روستو فدونى الروسى وطبعه فى بطرسبرج (م ٩٥٣/٨) .

وأولى اهتمامه لاسلام لورد هدلى (م ٥٥٦/٢٤) وكتابه ايقاظ الغرب للاسلام (م ٢٦) قال عن اللورد هدلى انه لم يكن فى حياته مسيحيا قط كما قال لى هو بنفسه فقد كان على مذهب الموحدين الذين يؤمنون بالله واحد ويعتقدون ان المسيح نبى وهؤلاء شيعة كبيرة فى انجلترا وأمريكا واشار الى قول هدلى : كلما قرأت فى المصحف الكريم اكتشفت بنفسى انى مسلم دون أن يبشرنى احد بالاسلام ودون أن يدعونى أحد الى الاسلام ،

وقد وجدت الاسلام دينا بسيطا ، ومما يذكر أنه أدخل باسلامه نحو أربعمائة شخص من رجال ونساء وتسمى بسيف الرحمن رحمه الله فاروق . ومن ذلك قوله : يسرنى أن أعرف أنه ليس هناك بغض بين المسلمين ولكن المحبة بأوسع معانيها وهى منتشرة بينهم أكثر مما هى منتشرة بين المسيحيين فى الجزر البريطانية فالمسلمون مثلا متسامحون جدا ومطبوعون على ايتاء الخير ازاء جميع المسلمين بخلاف ما عليه فروع الكنيسة بعضها ازاء بعض واذا عينت لجنة من الانكليز الأكفاء حقيقة لفحص الذى يجب أن يتدين به العالم كله لأجمعوا أمرهم على أن يختاروا الدين الاسلامى الذى يشهد له العقل والذى يجيب رغبة الفؤاد والروح الشديدة من الاتصال بالخالق سبحانه وتعالى ، ولا أعتقد ولا سبق لى أن اعتقدت قط أنه من الضرورى لخلاصى أن أصدق الوهية المسيح أو أن أعتقد الثالوث أو العقائد الأخرى التى تدعى الكنيسة أنها ضرورية للخلاص » .

وقد مضى السيد رشيد رضا يتحدث عن حضارة الاسلام مبتدئا بما أورده الشيخ محمد عبده فى كتاب (رسالة التوحيد) حيث اشار الى ما كان من فتوحات النصارى الأوربيين ونشرهم لدينهم بالقهر والتقتيل وابادة المخالفين مدة عشرة قرون كاملة لم يبلغ السيف من كسب عقائد البشر فيها ما بلغه انتشار الاسلام فى أقل من قرن ، ولم يكن المسلمين فى هذه القرون من القوة العددية والالهية ولا من سهولة المواصلات ما يمكنهم من قهر الشعوب التى فتحوا بلادها على ترك دينها ولا على قبول سيادة شعب كالشعب العربى ، فهم لم يخضعوا للمسلمين ويدينوا بدينهم ويتعلموا لغتهم الا لما ظهر لهم من أن دينهم هو دين الحق الموصل لسعادة الدنيا والآخرة أو من أنهم أفضل الحكام وأعدلهم » .

ومن هنا فان الاسلام قد فرض على المسلمين ويوافقهم على ذلك جميع شرائع الأمم الافرنج أن لا ضير على أى أمة فقد من وطنها شىء أن تستعد لاستعادته الى أن تظفر به كما فعلت فرنسا باستعادة ولايتى الالزاس واللورين من المانيا فى الحرب الأخيرة وكانت قد أخذتها منذ نصف قرن ونيف .

وأشار السيد رشيد رضا الى أن الاسلام دين سعادة وسلطان

وشريعة وحكومة شورية يجمعها نظام حربى جامع بين القوة والرحمة والعدل ، وقد جاهد الأوربيون المسيحيين فى أمر الجامعة الاسلامى حتى صرفوا وجوه الشعوب الاسلامية عن الجامعة الاسلامية الى الجامعتين الجنسية والوطنية وهدموا هيكل الخلافة العثمانية بأيدى حماتها من الترك انفسهم ، ودفعوا حكومة هذا الشعب الاسلامى الباسل من حيث لا يدرى الى محاربة الدين الاسلامى نفسه بأشد من محاربتهم له بمدارسهم التبشيرية واللادينية وبكتبهم وصحفهم ونفوذهم فاعتقدوا انه قد تم لهم بهذا فتح العالم الاسلامى وأنه لم يبق لهم لاتمام هذا الفتح الا القضاء الأخير على مهده الدينى وعلى شعبه وأنصاره .

وقال : ان رأى الفقهاء ان كل ما دخل من البلاد فى محيط سلطان الاسلام ونفذت فيه أحكامه واقيمت شعائره قد صار من دار الاسلام ووجب على المسلمين عند الاعتداء عليه أن يدافعوا عنه وجوبا عينيا ، وكانوا آثمين كلهم بتركه وان استيلاء الأجانب عليه لا يرفع عنه وجوب القتال لاسترداده وان طال الزمان فعلى هذا الرأى يجب على مسلمى الأرض ازالة سلطان جميع الدول المستعمرة لشىء من الممالك الاسلامية وارجاع كلمة الاسلام الا ما استطاعوا الى ذلك سبيلا وعجزهم الآن عن ذلك لا يسقط عنهم وجوب توطيد انفسهم عليه واعداد ما يمكن من النظام والعدة له وانتظار الفرص للوثوب والعمل . وقد صرح الامام الشافعى أن ثغور الحجاز البحرية وما يوجد فى بحره من الجزائر لها حكم أرضه وبلاده فلا يجوز لامام المسلمين وسلطانهم أن يمكن أحدا من غير المسلمين بالاقامة فيها لتجارة أو لغيرها وقد ظهر لمسلمى هذا العصر من حكمة الاسلام فى هذا ما لم يكن يخطر بباله دولهم القوية من قبل التى تساهلت وقصرت فى تنفيذ الوصية المحمدية فسمحت ببقاء بعض أهل الكتاب فى بعض بقاع جزيرة العرب كاليمن ثم بوجود بعضهم فى جدة (م ٣٠ ص ٥٨١)

(٥)

وفيما يتصل بهذا كان دفاع السيد رشيد رضا عن حماية القرآن من مؤامرة ترجمته التى كانت قد اثيرت فى هذه الفترة م ١٨٤/٣٢ قال : ان المسائل القطعية فى هذا الموضوع وما يجب على المسلمين فى هذا العصر

ان اللغة العربية هى لغة دين الاسلام والمسلمين ورابطة الأخوة العامة ووسيلة السلام للمؤمن بما يقيد من نزعات الشعوبية وعصبية الجنسية ونزعات الملحدين وتوحيد كلمة العلماء المختلفة (١) فقد اجمعت الأمة الاسلامية عربها وعجمها على أن هذا القرآن المحفوظ فى قلوب الالوف المرسوم فى ألوف الالوف من المصاحف هو كلام الله عز وجل المنزل على محمد رسول الله بلسان عربى مبين معجز للخلق أجمعين (٢) وقد أجمعت الأمة الاسلامية عربها وعجمها على ان هذا القرآن العربى هو اساس دين الله الذى اكمل به ما أوحاه الى رسله من قبله ، واتم نعمته على العالمين وأمر رسوله أن يبلغه كما انزله بنصه العربى المبين فبلغه كما أمره الله وما بينه من سنة الرسول وما استنبطه ائمة العلم من عقائده وأحكامه وآدابه (٣) وقد اجمعت الأمة عربها وعجمها على أن الله تعالى قد تعبد بهذا القرآن العربى كل من آمن به وبرسوله محمد خاتم النبيين من أجناس البشر تلاوة وتدبرا وادكارا واعتبارا وامتثالا للأوامر واجتنابا للمناهى وحكما بين الناس قال (وكذلك انزلناه حكما عربيا) على ما فى ذلك من الفروض والواجبات على الأعيان (٤) أجمعت الأمة الاسلامية عربها وعجمها على أن ما فرض الله تعالى على افراد أمة محمد صلى الله عليه وسلم من قراءة فى الصلاة فالواجب على كل فرد أن يتلوه بنصه العربى المنزل كما أنزل (قرآنا عربيا غير ذى عوج) (٥) اجمعت الأمة الاسلامية على أنه لا يباح للمسلمين ترجمة القرآن بلغة اخرى يتعبد بها فى الصلاة والتلاوة والتشريع ويطلق عليها اسم كلام الله وكتاب الله . والقرآن الكريم كما سمى الله كتابه العربى ويستغنى بها عن كتابه المنزل ولذلك نرى جميع الشعوب الاسلامية والأعجمية من الترك والفرس والأفغان والهند والجاو والصين يعلمون أولادهم القرآن ويدرسون فى مدارسهم الدينية تفاسيره وكتب الحديث والفقه والأصول والنحو والصرف والبلاغة باللغة العربية (٦) وقد علم من هذه الأصول التى أجمعت عليها الأمة اعتقادا وعملا ان اقامة هذا الدين فى عباداتهوتشريعه وحكومته يتوقف على معرفة اللغة العربية وان هذه اللغة قد جعلها شرع الاسلام لغة المسلمين كافة واوجب عليهم تعلمها ؛ صرح بذلك الامام الشافعى فى رسالته والشاطبى فى

مقاصدها في كتاب الموافقات (٧) ترجم القرآن بعض علماء الافرنج بأشهر لغاتهم الحية وترجمه بعض المسلمين الى تلك اللغات الشرقية وفي كل ترجمة من هذه التراجم اغلاط لكثرة المخالفة لمدلولات عباراته اللغوية والشرعية فتح باب للطعن فيه والصد عن الاسلام كما انها فتحت بابا آخر لأن اطلع عليها من مستقلى الفكر عرفوا بدخولهم فيه شيئا كثيرا من عقائد الاسلام الصحيح واحكامه العادلة وحكموا على جميع ما نشره الملاحدة الماديون ورجال الكنيسة المتعصبون ودعاة النصرانية من الكتب والرسائل في الطعن في الاسلام بأن ما دونوه منها من المطاعن زور وبهتان فكبر مادحوا الاسلام من علمائهم الاحرار واهتدى كثير منهم به (٨) ما ترتب على ما ذكر من صلاح وفساد يوجب على المسلمين وجوبا كفائيا أن يريدوا ما كان من صلاح قوة وتاييدا أن يفندوا ما حدث من الفساد تفنيدا وانما يكون ذلك بترجمته بتلك اللغات كلها ترجمة معنوية صحيحة ، هذه الترجمة فرض كفاية على المسلمين لا تسمى قرآنا ولا يتعبد بتلاوتها وانما هى خلاصة تفسيرية له تدخل في باب الدفاع عن دين الاسلام من جهة ومن باب الدعوة اليه من جهة أخرى .

(٦)

كذلك فقد أولى السيد رشيد رضا اهتمامه للشريعة الاسلامية وصلاحيتها لهذا العصر وقد كتب الشيخ على سرور الزنكلونى في هذا فصلا مستفيضا قال فيه : ان اسس التشريع الاسلامى قد قيدت البشر بقواعد من الحق والرحمة والعدل والفضل وحقوق الروح والجسد الصالح لكل عصر يكفل لهم كمال الانسان وسعادة الحياة ما اقاموها وأباحت لهم التشريع الاجتهادى فيما يتجدد من الاقضية والمصالح التى تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة مع المحافظة عليها وبهذا لم يكونوا محتاجين الى تشريع سماوى جديد بعدها ، وقد كان من عدم تقيدهم بها هذه الفوضى السياسية والأدبية والاجتماعية والثورات الحكومية التى تهدد العالم المدنى بحرب شر من حربها الأخير تدك معالم العمران دكا . ولو أن دول أوربا تدين الله تعالى بما شرعه الله تعالى في كتابه القرآن من وجوب حفظ العهود والمواثيق واجتناب جعلها دجلا باطنها ينقض ظاهرها لتحاكم ذلك من كل ما بينهم

من التنازع والتخاصم فى معاهدة الحرب الكبرى وفروعها ، ولقد نبتت طائفة فى هذا الزمان وكثيرا ما تنبت مثلها فى عصور الانتقال — تنادى بوجوب سير الشريعة بجانب نظام المجتمع المادى الحاضر ، وهذه الطائفة ان لم تكن خبيثة فانها جاهلة بالاسلام ، ان حياة العالم الآن حياة مادية تنحدر بسرعة فى طريق الأهواء والشهوات فلو جارى الاسلام انحدار الامم فاباح الزنا للأعزب ومن لا كسب له ولجيوش الحروب وأباح الرقص لمتاع النفس وأباح الربا لاستكمال مشتهيات الحياة أو لمزاحمة الأجانب وفى مكنة المسلمين ان يزاحموهم ويقفوا مثل وقفتهم بثروتهم الطبيعية والاقتصادية ، لو اتسع الاسلام لكل ذلك لكان دين مادة لا دين خلق وأصبح من أوضاع البشر لا من شرائع الله ومع ذلك ما هو الأساس الاسلامى الذى جرب فى الأمم الاسلامية وفشل وتبين خطؤه ، ومن ذا الذى وازن بعقله السليم المنصف بين حكم اسلامى ونظيره فى تشريع وضعى ثم أمام البرهان الصحيح على ضعف التشريع الاسلامى وخذلانه ثم ما هو الأمر الجوهرى الذى طعن به أعداء الاسلام عليه مع تألبهم الشديد وعداوتهم المستحكمة من أول أمره الى اليوم على كثرتهم وقوتهم ووفرة أساليب حروبهم وضعف المسلمين وتخاذلهم ثم أثبت العقل فى وضوح أنهم محقون والاسلام مبطل ، ان العالم المادى لا يزن الاسلام الا بحالة المسلمين مع أن الاسلام دين وخلق يجب أن يوزن بميزان العلم والعقل لا بميزان أهلها المضيعين لها ، ومن العدل أن يقال ان أوربا اللاتينية انما تخدم القوتين الشبعية والشهوية لأن الانسان سلام واخاء وتعاطف فى الخير لا فى جوانب المادة ومناصرة فى الحق لا تغلب على الضعفاء بل الحيوان الضعيف أجدى على الانسان من الحيوان الشرير .

الفصل الثانى

الدفاع عن اللغـة العربيـة

— ١ —

كانت اللغة العربية هدفا أساسيا من أهداف الدفاع عن الاسـلام فى نظر المنار باعتبارها لغة القرآن ، وفى مواجهـة التحديات التى كانت قد بدأت تتعرض لها فى هذا الوقت الباكر من قوى الاستشراق والتغريب والغزو الثقافى ومن أجل هذا أولت المنار الاهتمام باللغة العربية والبلاغة والأسلوب العربى المبين وتناولت الأخطـار التى تتصـل بانشاء الصحف العامية ووصفتها بأنها صدمة جديدة على اللغة العربية ، وفى مجال الدفاع عن ضرورة توحيد لغة المسلمين فى اللغـة العربية وعن العربيـة ووجوب تعلمها فى الدولة العثمانية .

وفى المنـار ١٩٠٢ تحـدث السيد رشيد رضـا عن مؤامرة التعلم بالعامية المصرية ، وقد بدأت الدعوة ١٩٠١ بكتاب الفه المسـتر ويلموز المستشار القضائى باللغة الانجليزية داعيا الى جعل اللهجة العامية المصرية لغة المصريين العامة بدلا من اللغة العربية الصحيحة وحاول اقناع المصريين بأن هذا خير لهم ، وترجع الصيحة الأولى لصوت ولهلم سبيتا بك الألمانى أمين دار الكتب الخديوية المتوفى ١٨٨٣ فانه وضع حروف افرنجية للعامية المصرية لأجل احيائها والف كتابا فى صرفها وكتابا فى امثالها وقصصا عامة ونشر ذلك باللغتين الألمانية والفرنسية ليرغب اوربا فى تنفيذ مشروع تعلم العامية بالحروف الافرنجية وجعلها لغة العلم والتعليم . وقد انتدب بعض أغنياء الافرنج منذ سنين لذلك وارصد لهم مالا جما ونشرت يومئذ كراسة فى الحث عليه . وأشارت المنار أن (المؤيد) لم تلبث أن نشرت مقدمة كتاب ويلمور لأجل عرضها على الكتاب للرد عليها وقال الشيخ : ليت المؤيد الأغر لم تنشر مقدمة كتاب ويلمور فقد كان الأولى أن يدحض شبهاته من غير أن ينشرها ويقررها فان من الناس من يلتاث بالشبهات .

وكان الأولى أن يبطل شهادته من غير أن ينشرها واشار الى مناقشة الشيخ عبـد العزيز جاويش لويلمور ، واشـار الى ان جمعية مؤلفـة من الشبان الذين اتموا دراستهم فى انجلترا دعت المستر ويلمور لحضـور اجتماعها للناظرة والمناقشة وكان الشيخ عبـد العزيز جاويش موجودا فسأله : هل خطر على بال المستر ويلمور أن يدعو قومه الانجليز الى توحيد لغتهم بأن يجعلوا لغة العاصمة لغة المملكة كلها كما يدعو المصريين الى ذلك فانه يعلم التفاوت بين لهجة أهل لندن ولهجات سائر الولايات فقال ويلمور ان هذا غير ممكن لأنه يضيع علينا تاريخ لغتنا فقال الشيخ ان هذه الغائلة التى يحذرنا منها هى بعينهـا محذورة فى ابطـال لهجات أرجاء القطـر المصرى ماعدا لهجة القاهرة المذبذبة فان قبـائل العرب الفاتحين ضربوا فى كل رجاء من أرجاء القطر وتبوأت طائفة من كل قبيلة جهة من الجهات غلبت لهجتها عليها . وأبان خطأ ويلمور فى قوله ان لغـة القطر المصرى لغة مستقلة دون العربية الصحيحة وبين أنها ليست الا لغة عربية دخلها التحريف والدخيل وان اكثر ما يظن انه مناف للعربية من لهجاتها هو من العربية وانه اذا لم يوافق لهجة قريش الفصـحى فانه ربما يوافق لغـة بعض القبائل الأخرى ثم ذكر ايضا شيئا كثيرا من عيوب اللغة الانجليزية كالخـلاف بين ما ينطق وما يكتب ، وكالحـروف الأثرية الزائدة ، فى كثير من الكلمات حتى ان متعلم هذه اللغة يضطر الى حفظ لفظ كل كلمة وحفظ صورتها فى الرسم لأن الأول لا يدل على الثـانى فى العـرف من الكلمات حتى يصح انه لا قياس فى هذه اللغة . وقال الشيخ اذا نبذنا اللغة الفصحى ظهريا وقبلنا أن يكون التعليم باللغـة العامية المصرية التى لا كتب فيهـا ولا قواعد لها سننتقل الى دور آخر فى تعذر الاصـلاح واستحالة التعلم والتربية بهذه اللغة الفقيرة وهو الدور الذى احتج فيه لورد ماكولى على وجوب تعلم الهنود الانجليزية (م ٤ ص ٨٧٩) .

وأولى المنار اهتمامه بالحركة التى قامت على اثر ذلك فى دار العلوم من اجل الترجمـة والتعريب ونشر كلمات محمـد الحضرى والاسكندرى (م ١٠ ص ٨٥٥) وكان لدار العلوم موقف حاسم بالنسبة للغة العربية والحرب المشنونة عليها ١٩٠٧ بعد انشاء نادي دار العلوم ، أن تكون المهمة الأولى

فى خدمة اللغة العربية مسألة أسماء الأجناس الأعجمية التى يراد ادخالها فى اللغة العربية هل تعرب أم تؤخذ بالترجمة والحديث عن جواز التعريب واقتراح بانشاء مجمع اللغة العربية خطاب فتحى زغلول (م ٣٢/١١) وخطاب حفنى ناصف (م ١١ / ١٢١) .

كما اهتم بأمر الخط العربى واصلاحه (م ١٩٦/١٣) و (م ٤٦١/١٨) حيث قدم عبد الفتاح عبادة فصولا عن انتشار الخط العربى فى العالم الشرقى .

والت المنار هذه الأبحاث فنشرت بحثا للأستاذ محمود بك سالم عن المطاعن الموجهة الى اللغة العربية وغناها بالمسميات العلمية وفضل اللغة العربية على لغات الافرنج وكونها لغة المستقبل (م ١٣) كذلك فقد فضل المشروع الذى تقدم به أحمد زكى باشا « الملقب بشيخ العروبة » (م ٩٣٧/١٣) وكان الكاتب الثانى لمجلس النظار لما له من الخبرة الواسعة فى هذا الباب وما يتصل بذلك من اصدار مجلس النظار قرارا قدمه احمد حشمت باشا وزير المعارف عن الوسائل المقتضى اتخاذها لاحياء الآداب العربية بالديار المصرية وكان أحمد زكى قد قدم مذكرة منذ عشرين عاما وهو يوالى البحث والتنقيب عن أنواع الطرق الموصلة الى تعميم المعارف واستنهاض الهمم لاختيار باب العمل فى فنون الاصلاح المطلوب لاحياء العلوم والآداب العربيـــة ، وقد تناولت الابتداء فى احياء الآداب العربية بطبع ونشر الموسوعتين الكبيرتين المعروفتين باسم نهاية الارب فى فنون الأدب لشهاب الدين النويرى ومسالك الأبصار فى ممالك الأمصار لابن فضل الله العمرى وقد ضم المشروع عددا من الكتب الأمهات فى باب الأدب والبلاغة والحديث النبوى وآداب الملوك والتاريخ والتراجم والجغرافيا والرحلة وعلم حفظ الصحة وعلوم طبيعية وميكانيكية وعلوم الحيوانات والمعادن والفلك والموسيقى والحرب والديانات القديمة وفنون منوعة .

وفى المجلد الثالث عشر من المنار أوردت الأسماء العربية للمسميات الأجنبية التى اقترحها نادى دار العلوم وكانوا قد أعلنوا عن وضع أسماء

عربية لبعض المسميات الافرنجية وما لم يجدوا له اسما عربيا وضعوا له اسما جديدا أو عربوه والاشتقاق والتعريب ليس جديد فى اللغة بل هما جائزان وواجب أن يصار لهما عند الحاجة ومن هذه الأسماء : اضمامة « بلوك نوت » صبغ « بوية » طنف « ترسينة » مرمى « جول » خريطة « خارطة » ملف « دوسيه » بطاقة الزيارة « كارت فيزيت » خيالة « سينماتوغراف » .

— ٣ —

وافسحت المنار صدرها لدراسات واسعة عن اللغة العربية بوصفها اقدم اللغات الشرقية وأم المدنية المصرية والبابلية وخاصة ما يتصل بدراسة احمد كمال فى هذا الشأن الذى اجرى مقارنة بين اللغتين المصرية القديمة واللغة العربية فى عدة فصول (م ١٨) وفى المجلد الخامس عشر خطاب مطول فى اللغة العربية لجبر ضومط تحت عنوان (بحث تاريخى فلسفى فى مواطن اللغة العربية المصرية ونسبتها الى أخواتها من اللغات السامية) ومما جاء فيه ان العلامة روتشن المؤرخ الاثرى يرجح أن المدنية المصرية القديمة لم يكن منبتها مصر بل جاءتها من العراق وبلاد العرب وان الباحثين اتفقوا على أن لغة الأشوريين وقدماء البابليين واحدة وان الآثار البابلية تثبت ان الناطقين باللغة السامية هنالك لم يكونوا من أصل البلاد الأصليين وانما جاءوها من مكان آخر ثم بين أن اللغة العربية هى أم اللغات السامية وسيدتها وأن أرومتها الأولى كانت فى اليمن وحضرموت وعمان وأنه تشعب منها فروع الى بلاد (بابل بالعراق) فعلى ما تقدم يكون كل من مدنية العراق وسوريا ومصر عربى الأصل ثم تولد من ذلك الأصل فروع استقلت .

ويعلق السيد رشيد رضا على ذلك فيقول : لكن علامة العاديات والآثار المصرية وأمام اللغة الهيروغليفية فى عصرنا أحمد كمال (امين دار الآثار المصرية) أظهر لنا من الاتحاد بين اللغة العربية المصرية القديمة ما لم يكن فى الحسبان فقد ألف قاموسا كبيرا أورد فيه الوفا من الكلمات الهيروغليفية الموافقة للغة العربية المصرية فى الغالب اما موافقة تامة واما موافقة بضرب من التحريف أو القلب او الابدال المعهود مثله فى اللغتين وكان المشهور عن أحمد كمال انه يرى أن العربية أصل اللغة المصرية

القديمة المدونة بالقلم الهيروغليفى ومن لوازم هذا ان اصحاب تلك المدنية كانوا من العرب ثم انه رأى نصـا يدل ظاهره على أن العرب انفسهم أو بعضهم من المصريين فأخذ بظاهره حملا له على الصدق وبنى عليه مخاضرته وذلك النص ما وجد منقوشا فى الدير البحرى بالأقصر فى زمن الدولة الثامنة عشرة (١٦٠٠ — ١٣٨٠ ق ٠ م) وهى أرقى دول مصر وفيه أن المصريين الأولين اشتهروا باسم الأغنياء وهاجر بعضهم الى القيروان وتونس والجزائر والى أواسط افريقيا والصومال وبعضهم قطع البحر الأحمر الى بلاد العرب وانتشر فيها وسار من هناك الى جنوب فلسطين (م ١١٦/١٥) .

— ٣١ —

ومن ناحية أخرى أولى المنار اهتمامه الى ما جاء فى المقتطف من اشارة الى أن فى القرآن كلمات اعجمية وقد كتب احمد كمال الأثرى المعروف تحت عنوان :

[براءة القرآن الشريف من بعض الألفاظ الأعجمية] .

واورد ١٧ كلمة واثبت أنها عربية ، قال : اللغة المصرية اى لغة قبائل الأعناء التى سكنت مصر وما جاورها من الأقاليم هى اصل اللغة العربية بلا مراء بنص النقوش المذكورة آنفا . وقد نزل القرآن الشريف بهذه اللغة العربية ونص على ذلك نصا جرى فى آيات كثيرة . قال المفسرون ان فى القرآن الشريف كلمات غير عربية ولكنها لا تخرجه عن العربية كما أن الكلمة العربية اذا وردت فى القصيدة الفارسية لا تخرجها عن كونها فارسية وانا اخالف هذا كله فقد جمع المرحوم الشيخ حمزة فتح الله جميع الكلمات الواردة فى القرآن الشريف ويقال انها اعجمية وطبعها بامر نظارة المعارف سنة ١٩٠٢ وها انذا اخالفه فى ذلك مبينا انها عربية لورودها فى اللغة المصرية القديمة .

أكواب وأباريق (سورة الواقعة) أكواب الكلمة مصرية عربية ، أباريق ليست بفارسية ولكنها مصرية وجدت مكتوبة فى حجر نقش بامر أحد ملوك الحبشة وعثر عليها فى دنقلة فبقيت فى العربية بهذا اللفظ .

أب — وردت فى نقوش معبد دندرة وعلى جدران مدينة آبو فهى عربية لا اعجمية ، وفى القاموس : الأب الكلأ أو المرعى .

سرى — اى نهر بالسريانية والقبطية واليونانية وفاته كما فات غيره من المفسرين أنه مشتق من سرى يسرى وسرى به فاشتق منه سرى اى النهر ... الخ .

وتحدث فى المجلد ١٥ من المنار صفحات (١٨٧/١١٢) جبر ضومط عن اللغة العربية ونسبتها الى اخوتها من اللغات السامية ، وعن القحطانيون والعبرانيون .

— ٤ —

وأولت المنار اهتمامها البالغ بالبلاغة والبيان وتحدثت عن كتاب اسرار البلاغة وضع عبد القاهر الجرجانى وقالت : لقد تنبه الناس فى هذا العصر الى احياء فنون اللغة العربية وتحصيل ملكة البلاغة فيها وقد أخذ الشيخ محمد عبده يقرأ هذا الكتاب على طلبة الأزهر وكذلك الف جبر ضومط كتابا فى البلاغة أطلق عليه اسم (الخواطر الحسان) وكتاب آخر سماه (فلسفة البلاغة) على قاعدة الاقتصاد فى انتباه السامع (م ٣) .

كذلك أولى المنار اهتماما بالغا بالشعر العربى ونشر فى المجلد الثالث للرافعى والكاظمى واحمد محرم والبارودى وشوقى وحافظ وتحدث عن الشوقيات كما تحدث عن الشعر وأوزانه ، ومادته وبناؤه .

— ٥ —

وقد عرض السيد رشيد رضا لمشروع التعليم بالعامية المصرية التى يراد بها احكام المؤامرة ضد الفصحى لغة القرآن فقال : واجهت المنار صيحة استبدال اللغة العامية السخيفة باللغة الصحيحة الشريفة ، استبدال الذى هو أدنى بالذى هو خير ، هذه الصيحة حركت الالسنة

والأقلام الى تعويق سهام الملام واقامة الحجة على الصائح بأنه يقصد منفعة قومه لا منفعة الذين يدعوهم الى ترك لغة دينهم وشريعتهم وعلومهم وآدابهم الذى ضعف بضعفها منهم كل مقوم من مقومات حياتهم وفى محوها من الواح التعليم ومحو امتهم من لوح الوجود الاجتماعى . وأشار الى صدمة جديدة على العربية وهى ظهور جرائد بالعامية : الحمارة واللجام والغزالة والشيطان مع سقوط مجلة البيان الفصيحة ونهضت الحمارة باللجام واحجلتاه ، الم يكفهم هذا حتى قام جماعة يسعون لتعليم وتعلم اللغة العامية بحروف افرنجية .

وقال السيد رشيد رضا انه فند وجوه الخديعة الخلابة وكشف الغطاء من ضروب التدليس والتلبيس فى الموضوع ونبه الى تقصيرنا فى احياء اللغة الصحيحة ونشرها بالتعليم القويم حتى كادت تمحى وتزول وحتى صار بعض الناس يعتقد ان احياءها محال وعلى الخطر الذى يتهددها اذا تمادينا فى اهمالنا واغفالنا .

الفصل الثالث

التربيــة والتعــليم

- ١ -

اذا قلنا ان لب لبــاب دعوة حركة الاصلاح الاسلامى هى التربيــة والتعليم ما عدونا الحقيقة فقد كانت الفكرة الاسلامية للاصلاح هى احياء التربية الاسلامية وتغيير مناهج التعليم بحيث تدخل اليها العلوم الحديثــة واصلاح مناهج الجامع الأزهر وبناء المدارس الأهلية لاســتنقاذ عدد كبير من المسلمين من مدارس التبشير والارساليات ولوضــع مناهج اسلامية أساسية فى مواجهة التحديات التى كانت تتمثل فى مناهج وزارة المعــارف التى وضعها دنلوب والتى فرغها من المفاهيم الاسلامية والتاريخ والأدب العربى والتراث بعد أن قضى على المناهج الدراسية التى كانت قائمة قبل الاحتلال وتحدث طويلا السيد رشيد رضا ، حتى ليمكن القول دون مبالغة انه لم يخل عام من الأعوام من متابعة الحديث عن ترشيد التربية والتعليم العام والأزهرى ، ومن أجل ذلك تحدث عن المدارس الوطنيــة فى الديار المصرية والتعليم عنــد القبط وسبب سبقهم للمسلمين وصــبغ التعــليم بالصبغة الأجنبية ووثبة المصريين لانشاء المدارس الأهلية ، كما تحــدث المنار عن تربية البنات تربية خاصة مختلفة عن تربية البنين وكذلك تحدث عن تربية الأطفال والتربية النفسية وتعليم النســاء تدبير المنزل وتربيــة الطفل وتعليم الأمهات الأصول العامة لطباع الأطفال وغرائزهم، يقول فى نقد التعليم الرسمى وتعليم البنات (م ١٩٣/٥) لم يرد فى قانون التعليم ما يدل على أن البنات يتعلمن ما يختص بالنســاء من الأحكام والآداب الدينيــة ورجعنا الى كتب التعليم فلم نجد فيها شيئا من ذلك ونحن نعلم كما تعلم نظارة المعارف أن النساء ليس لهن مورد من موارد العلم الا هذه المدارس فاذا جاز أن يكتسب التلميذ بعض ما يفوته من الأحكام الدينية فى المدرسة بمقياس أهل التعليم الدينى وحضور مجالسهم وسماع الخطب فمثــل ذلك لا يتأتى للبنات ولا للنساء لأنه ليس فيهن عالمات بأمور الدين ثم ان البنات

أحوج من الصبيان الى الدين عقائده وأعماله وآدابه لسبب آخر هو أن وضعهن فى الشرق لا يزال فى تأخر عظيم والنسبة بين الرجال والنساء فى مصر كالنسبة بين المصريين والزنوج » .

وأشار الى تعليم البنات فى المدرسة السنية وما تشوبه من قصور وشبهات حتى أن مس جريفس الناظرة الأولى للمدرسة السنية كتبت فى تقريرها : ان تعليمنا بلا تربية لا يفيد وان التربية لا تكون بغير دين وان توحيد طرق التربية والتعليم ضرورى فلا يصح أن يكون فى مدرسة واحدة دينان وان أولى الأديان بالترجيح فى مدارس حكومة اسلامية وبلاد اسلامية هو دين الحكومة فيجب على نظارة المعارف تعميم الديانة الاسلامية فى مدارس البنات وجعلها الزامية ومن أثاره أن ترشد البنات وكن مثلها فى المدرسة حائرات » .

وقد أزعج هذا التقرير مستر دنلوب فاستغنى عنها .

وقد أشار المنار الى خطر دنلوب على وزارة المعارف (م ٢) والى عمله الخطير فى « محو معالم اللغة العربية وطمس آثار الديانة الاسلامية فى المدارس وجعل رسومها مواثل ودوارس » قال : ولا لوم على من يخدم دولته وملته وانما اللوم والتثريب بل اللعن والتأنيب على الذين رضوا بأن يكونوا معاول فى يديه لهدم بناء جامعتهم الدينية واللغوية وهم يعلمون أن هدمها يعدم جنسيتهم بالكلية وفى هذا محو الملة والأمة من لوح الوجود ، وعاود السيد رشيد رضا الموضوع (م ٣) فأشار عن انشاء مدارس أهلية لمقاومة المدارس التبشيرية وانشاء مدرسة للبنات على نمط اسلامى كما أولى اهتماما كبيرا الى محاولة اصلاح التعليم فى الأزهر. وأولى اهتمامه بمدارس الجمعية الخيرية الاسلامية والاحتفال بها وقال ان الغرض منها هو تربية أولاد الفقراء فلو أمكننا أن نتلقفهم من الشوارع نرضى أوليائهم ، والمقصد هو أن ننزع من النفوس اعتقاد أن التعليم لا فائدة منه الا الاستخدام فى الحكومة ، وقد أوجدت الجمعية فى نفوس التلاميذ ان يعمل الواحد منهم عمل أبيه وأن يعيش مع الناس فى أمانة واستقامة .

وقال ان مدارس الجمعية الخيرية تأسست ١٣١٠/١٨٩٢ يوجد ٨٦٠ مشترك فى عواصم متعــددة للقطر المصرى ، المدارس أربع وبهــا ٣٥٠ تلميــذا .

— ٣ —

وفى مجال الدعوة الى التعليم والتربية الاسلامية أشــار الى العلوم التى يجب تعلمها :

١ — علم أصــول الدين : (لا البحث فى غوامض علم الكلام كالوجــود هل هو غــير الموجود أم غــيره والصفات وهــل هى عين الذات أم غــيرها) .

٢ — علم تهذيب الأخلاق واصلاح العادات .

٣ — علم قضية الحلال والحرام والعبادات .

٤ — علم الاجتماع وأحوال البشر فى بداويتهم وحضارتهم ومللهم ونحلهم .

٥ — علم تقويم البلدان والجغرافيا .

٦ — علم التاريخ (مع التوسع فى معرفة تاريخ أمته وملته وبلاده وأن يأخذ طرفا من التاريخ العــام) .

٧ — علم الاقتصاد الذى يبحث فى انماء الثروة وحفظها .

٨ — علم تدبير المنزل .

٩ — علم الحســاب .

١٠— علم حفظ الصحة .

١١— علم لغــة البــلاد (يفتخر الافرنج بلغاتهم ويدابون على خدمتها ، وحق اللغة العربية على أبنائها) .

١٢— فن الخط .

وقد أشار (م ٩) الى التعليم الدينى فى المملكة العثمانية وما أرسله الشيخ محمد عبده ١٣٠٤ هـ الى شيخ الاسلام فى الآستانة فى هذا الصدد ، أشار فيها الى الأخطار التى وقعت بسيطرة المدارس الأجنبية ، مدرسة الأمريكان واليسوعيين العزازية والفرير وجمعيات أخرى دينية أوربية ،

والمسلمون لا يستنكفون عن ارســال أولادهم الى تلك المــدارس طمعــا فى تعلمهم بعض العلوم المظنون نفعها فى معيشتهم أو تحصيلهم بعض اللغات الأوربية ، هذا التساهل المحزن ، بالعامة تعدى الى المعروفين من ذوى المناصب الاسلامية ، هؤلاء الضــعفاء يدخلون فى سن السذاجة وغرارة الصبا ولا يسمعون الا ما يناقض عقائد الدين الاسلامى ولا يرون الا ما يخالف الروح الاسلامية ، بل لا يطرق أســماعهم الا ما يزرى على دينهم وعقائد آبائهم .

كذلك فقد اشار السيد رشيد رضا الى أن التعليم المنتشر فى البــلاد العثمانية فى هــذه الفترة (١٩١٠ م تقريبا) هو المانع الأعظم للعثمانيين من الاتحاد لاختــلاف طرقه ولو كان عاما شاملا لكان النــاس فى اتحادهم اشــد وأقوى .

كذلك فقد اشار الى المدرسة الكلية الأمريكية فى بيروت وما تقوم به مع الطلاب المسلمين .

واشار الى واقعة استقدام الرئيس للتلاميذ طالبا منهم تعهدا للقيام بالواجبات الدينية من دخول كنيسة ودرس توراة وانجيــل حسب الشرح والتعــاليق البروتستانتيــة التى يفر منهــا المســلم ويشــك فى صحتها (م ٦٣٧/١٢) .

وتابع هــذا من بعــد بحث آخر تحت عنوان : الالحاد فى المدارس العلمانية قال : اطلعت على بعض كلام لبعض مدارس المدرسة العلمانية اللادينية التى صار انشاؤها حديثا فى بيروت قوامه الطعن فى الدين وفى ذات الله تقدست ذاته ومن ذلك قولهم ان العقل يقودنا الى الحقيقة والايمان يقودنا الى الكذب وكثير من اهالى بيروت أرسلوا أولادهم للمدرسة المذكورة ليتعلموا بها اللادين .

واشار الى ما نشرته عن التعليم اللادينى جريدة المقطم فقالت ان نخبة من الماسون ورجال الجمعيات الأخرى شارعون فى انشاء مدارس للتعليم المطلق من كل سلطة دينية يعلمون فيها التلاميذ على مذهب ابن رشــد ، وان فرنسا اقبلت على هذا التعليم منذ ١٨٨٢ فلم تر فيه فائده فى ترقيــة

الأخلاق بل دلت الاحصاءات على أن الفساد زاد كثيرا فى الأجيال التى تخرجت فى عهده ولا يزال يزداد فى الأحداث بنوع خاص ، ومعدل المنحرفين والفارين من الخدمة العسكرية وازدياد الجنايات وقال : والعقلاء متفقون على أن ذلك نتيجة التعليم اللادينى وقال المسيو تمبلنو من رجال القضاء ان زيادة الجرائم الهائلة بين الفتيات قد بدأت بعد أن انتشر التعليم اللادينى ورأى ابن رشد بشجب المدارس اللادينية ، حتى اذا صمتت دعوتها الأولى وهى أنها تعلم العلوم فى معزل عن الدين فكيف وهى لا تقصد حقيقة سوى مقاومة الدين ومقاتلته ، وقد أعلن ذلك فينفانى فى مجلس النواب الفرنسى وقال اننا نقصد انشاء مدارس لمقاومة الدين وكفانا ذكر الحياد فى الأمور الدينية . هذه نتائج التعلم الذى يريد أن ينفحنا به ماسون الاسكندرية واعوانهم » (م ١٤/١٩١١) .

وقد واصل السيد رشيد رضا دراساته عن التعليم والتربية فقال فى المجلد ١٥ : انه اختبر احوال العالم الاسلامى اختبارا لم يتيسر مثله الا لقليل من امتنا وكانت نتيجة هذا الاختبار أنه يعتقد اعتقادا قاطعا أنه لا رجاء لأمتنا الاسلامية بالنجاح والفلاح الا بتربية خاصة وتعليم خاص لطائفة من المسلمين ليكونوا مرشدين ومعلمين لأمتهم ثم لغيرها من الأمم كما يليق بهدى الاسلام الذى أكمل الله به دين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا ينشغلون بعد ذلك عنه فحسبهم اصلاح النفوس وارشادها الى العمل بما تعلم وقال : وقد رأيت عقلاء المسلمين من العرب والترك والفرس والهنود متفقين معى على هذا الرأى ، هذا هو العمل الذى تألفت له جماعة الدعوة والارشاد ، وأول تهمة قذفنا بها المرجفون فى جريدة العلم المصرية هى أننا نؤسس جمعية سرية لاسقاط الدولة العثمانية وانشاء خلافة عربية وكانت حجتهم فى ذلك أننا نخفى عملنا ولا نظهر للناس أسماءنا وقانوننا » .

وتحدث المنار عن خطر المدارس التبشيرية فى البلاد العربية فقال :

قراء المنار يعلمون أن المدارس الافرنجية والمدارس المتفرنجة على اختلاف أنواعها من تبشيرية أنشئت لدعوة النصرانية وعلمانية أنشئت لمقاومة الأديان وكلها أخرجت للشعوب الاسلامية نابتة مضطربة فى أمر دينها ودنياها وسياستها وآدابها يقل منها من يعرف دينه معرفة صحيحة ،

ويكثر فيهم الهدامون لبناء أمتهم ، وأشار الى قول لورد سالسبرى عن أن هذه المدارس هى أول خطوة لاستعمار الشعوب التى تنشأ فيها ، فانهـا تخرج فيها طائفة تحالف سائر أمتها فى عقائدها وتفكيرها وتقاليدها فتحدث فيها صدعا وشقاقا تنقسم به على نفسها فيقتلها هون الانقسام بأيديهـا ومصداق ذلك أن متفرنجة الترك قد هدموا تلك السلطة (الامبراطورية) الراسخة الأساس وانتهى أمرهم الى امارة صغيرة طردوا منها الشعوب المسيحية . ومن المعلوم عند كل من يعرف الاسلام أنه دين وتشريع سياسى قضائى ونظام اجتماعى وانه حكم عربى كما نطق به كتابه المنزل فان كان من مثار العجب أن يحاربه ملاحدة الترك ايثارا للعصبية اللغوية ، وقد جاء هذا ردا على مقال تحت عنوان العالم الغربى والعرب والاسلام وعن حرب أوربا للاسلام وسياستها معه ، وجهد أوربا فى تنصير المسلمين ومقاومة أوربا للاسلام فى بلاده وعطف أوربا على الأرض دون المسلمين (م ٢٦) وأشار من بعد عن مسالة تعليم أولاد المسلمين بواسطة معلمين غير مسلمين وما عساه ينشأ من غير المسلمين أمور تنافى دين الاسلام سـواء بالمقال ، أو بالمال فى بذر الفساد فى النفوس لكونهم ضعاف وذوى نفوس ساذجة ، فقد يجوز الانتفاع بهم فى الحساب والاقتصـاد فيما لا يخشى على الأولاد ضرر منه فى دينهم و لاتربيتهم القومية والملية . (م ٣١) وقد وسع هـذا البحث من بعد فقال : ان تعليم الأولاد ما يجب عليهم من عقائد الاسـلام وأحكامه عندما يبلغون سن التكليف ومبادىء اللغة العربية التى هى لغـة الاسلام فرض على والديهم وأولياء أمورهم فاذا كانت مدارس الدولة لا تمنع والديهم من تعليم ما يذكر من الأمور الدينية ولغتها ومن تربيتهم على هدى الاسلام وأخلاقه ومن أهمها عزة النفس فلا مانع من ادخالهم فيها اذا كانت تمنعهم فلا يجوز ادخالهم فيها ، واشار الى مدارس النصرانيـة (مدارس التبشير والارسالية) فقد ثبت بالاختبار العام أن هذه المدارس انما تنشئها لنشر دينها وتربية التلاميذ والتلميذات فيها على عقائدهم وعباداتهم وآدابهم وانها تتوخى بذلك ابعاد المسلمين والمسلمات منهم عن دين الاسلام بأساليب شيطانية تختلف باختلاف حال المسـلمين من العلم والجهل . ان المدارس اللادينية التى تنشئها الجمعيات السياسية والالحادية تتوخى بث الالحـاد بل الكفر المطلق بالرسـل وما جاءوا به من الهدى والرشـاد وقد ثبت

بالاختبار ان الالحاد فى الدين قد نشأ فى المتعلمين فى تلك المدارس كلها على درجات منهم المعطلة ومنهم الشاكون أو اللاادريون ومنهم الذين يلتزمون الجنسية الدينية والسياسية والاجتماعية فى الزواج والأرث والأعياد والمراسم .

ومن آثار ذلك ما نراه من الفوضى فى الأمور الاسلامية والجهل ببعض الأمور المعلومة من الاسلام بالضرورة التى أجمع علماء المسلمين سلفا وخلفا على كفر جاحدها وعدم عذر جاهلها والدعوة الى مخالفتها . ومن آثار ذلك ترجيح المتفرنجين والى العصبية الجنسية للغات الأجنبية على لغة الاسلام العربية بل يجهلون ان الاسلام قد جعل لغة العرب لغة كل المسلمين لتكون عبادتهم واحدة وشريعتهم واحدة وآدابهم واحدة ويصدق عليهم قوله تعالى (ان هذه أمتكم أمة واحدة) من كل وجه .

فتعليم أولاد المسلمين فى المدارس التبشيرية والمدارس الدينية (الاييك) قد جنى عليهم فى دينهم ودنياهم وسياستهم وأوطانهم وسلبهم اكثر مما كانوا نالوه بهداية دينهم . انهم اسلموا أولادهم وافلاذ اكبادهم لأعدائهم لأجل أن يجعلوهم مثلهم فيما كانت به دولتهم عزيزة قوية فقطعوا عليهم الطريق المستقيم الذى يوجههم الى ذلك وهم لا يشعرون ولا يعقلون .

واكبر المصائب على المسلمين أنه ليس لهم دولة اسلامية تقيم الاسلام فى علومه وسياسته وهدايته وتشريعه وتعليمه وتربيته فيرجعون اليها فيما يختلفون فيه من أمورهم فى بلادها وغير بلادها وليس لهم جمعيات علمية دينية حكيمة غنية كجمعيات النصارى واليهود فيجب أن تنشىء لهم المدارس والملاجىء والمستشفيات فتغنيهم عن الالتجاء الى أعداء دينهم (م ٣٢) .

وعاود البحث مرة أخرى حول التربية الاسلامية والتعليم الاسلامى فقال :

الذى أعلمه انه لا توجد فى بيوت المسلمين ولا فى المدارس الرسمية ولا غير الرسمية ولا فى المعاهد الدينية (تربية اسلامية) مدونة او متبعة بالعمل فى تنشئة أطفالهم فى البيوت ثم تلاميذهم فى المدارس والمعاهد على أخلاق الاسلام وآدابه وعباداته كالصدق والحب والحياء والأمانة وعزة

النفس وبر الوالدين وصلة الرحم والتعاون والاقتصاد والتراحم واجتنـــاب البذاء والفحش فى القول حتى يترعرع ويشب معتقد أن المسلم باســـلامه أعز الناس نفسا ، وأجدرهم بالكرامة واتباع الحق واحتقار الباطل وحب الخير للناس كافة ، وان يحب لذلك أن يكون قدوة لهم فى كل مرحلة وعادة وعمل ولا يليق به أن يكون تابعا أو مقلدا لقوم آخرين فيما بعد تفضيلا لهم على قومه مع اعترافه لكل ذى حق بحقه وكل ذى فضل بفضله وبراءته من كل ما فشا فى قومه من البدع والخرافات والعادات الضالة والســـــعى لازالتها ، أما تربية المدارس فروحها تفرنج تقتل الاســـلام قتلا بتفضيل كل ما هو أجنبى على ما يخالفه من عقائد الاسلام وشعائره وعباداته وأخلاقه وآدابه ومشخصاته ، وحسبك أن الصلاة التى هى عمود الاسلام وعنوانه ومغذية الايمان غير واجبة على أساتذة هذه المدارس ولا على تلاميذها .» هذه المدارس قد وضع الانجليز نظمها وعينوا لها وجهتهـا وغايتها كمـا شاءوا ومن مقاصدهم فيها الا يكون لمن يتعلم فيها أدنى شعور بأن لقومه ملة اسلامية لها من المزايا فى دينها وتشريعها وحضـــارتها وتاريخها ما تعلو به على جميع الملك وما لا تشاركها فيه ملة أخرى وقد عزلت الناظرة الانجليزية التى كانت تتولى المدرسة الســـنية على عهد القس دنلوب لأنها قالت لابد من تعليم البنات الدين ودين الأكثرية هو الاسلام ومزق تقريرها ، ومدارس التبشير وراهبات الكاثوليك يحتقرون الاسلام وكل ما ينتمى اليه ويحتقرون لغته أيضا .»

الفصل الرابع

قضـايا المجتمـع والمـراة

كانت قضايا المجتمع والمراة فى مقدمة الموضوعات التى شـغل بهـا المنار وعمل على تقديم راى الاسـلام ومفهوم الاسـلام فى مختلف المواقف فتحدث المنار عن وجهة نظر الاسلام فى الاشـتراكية التى تدع اليها بعض الجمعيات فى أوربا (م ١٨٩٨/١) وقال الترف مهلكة الأمم ، واشـار الى اسواء المجتمع كالقمار والخمر والزنا وتحدث عن الاقتصاد وحرب الغـرب لاقتصاد المسلمين وعن انشاء البنك الأهلى فى مصر ، وقال: الأوربيون علموهم أن حرب الدراهم والدنانير انجح من حرب المدافع والبوارد وقد امتلـكوا بهذه الحروب الذهبية والفضية اكبر بلاد الشرق فالانجليز استولوا علـى ممالك الهند عن طريق جمعية تجارية وطأت المسالك ومهدت السبل لطلبها السلطة ويؤيدها النفوذ وكذلك شركة البجر فى احشاء افريقيا ، وعقد عدة فصول عن البنوك ومعاملاتها من وجهة نظر الاسلام (م ٣٦١/١٠) وعن حوالات البنوك كما تناولت المنار علوم الاجتماع والأحوال الاجتماعيـة فى مصر وما يتصل بالانحراف والقمار (م ٥٧٣/١) وتناولت الرقص الافرنجى (م ٩١٧/٤) ومضار تربية النساء الاستقلالية عند الافرنج (م ٥) وتحدث عما أسماه البغاء أو خطر العهـارة فى القطر المصرى (م ١٠) وقال الف الدكتور ثورتفاليس بك كتابا باللغة الفرنسية قال فيه : لعل الذين تركوا الدين فوقعوا فى الأدواء التى تنشأ من الزنا يعرفون الاخطار التى تساورهم فى أجســادهم وفى دينهم فيقل تهافتهم على هذه الفواحش المحرمة فى كل دين ، وأعتقد انه لا علاج لهذه المعائب العمرانية والاجتماعية الا التربيـة الدينية وان من يزعم أن الامتناع بضرر المعاصى وحده يعمل ما يعمل الدين من النزوع اليها فهو من الجاهلين .

وقد واصل المنار الحديث عن قضية المراة وترشـيد نهضة المراة ، ودأب على نشر ما يؤيد وجهة النظر الاسـلامية فى هذا الشأن ، ونشر

محاضرة باحثة البادية التى القتها فى الجامعة المصرية على النساء (٥ ربيع الآخـــر ١٣٢٨) عن دور الطفولة والمراهقة والملابس والأزياء والخطبـة والزواج والاقتصاد المالى والمنزلى والعمل البيتي والأخلاق والعادات ودور الأمومة .

وعرض السيد رشيد لقضية المرأة فى (المجلد ٣٣) فيقول : كان من فوضى الأقلام وحرية الاباحة والالحاد أن تصدى للتحرير فى الصحف وتصنيف الكتب والقصص أفراد من المتفرنجين الاباحيين ، انتحلوا لأنفسهم دعوى التجديد وزعامة الحضارة فوجهوا دعوتهم الى النساء والشباب لانهما أسرع انخداعا وأسلس قيادا وما زالوا يشوهون لهم كل قديم كانوا عليه ويزينون لهم كل جديد ضار بعروبتهم ولا سيما حجاب النساء وعفافهم ولزوم بيوتهن وطاعة رجالهن حتى هتكن الحجـاب والقين جلابيب الحياء ونشر الأرواح على بعولتهن وتمرد العذارى على آبائهن وخروجهن فى الشوارع والأسواق كاسيات عاريات مائلات مميلات كما ورد فى الحديث الصحيح وصفا لنساء سوف يأتين ممن سيدخلن النار ثم صارت الجمعيات النسـوية تجمع بين النساء والرجال فى محافلهن الخاصة بهذه الصنعة للرقص الشرقى وتعاطى كؤوس الخمر ثم صار هؤلاء وهؤلاء يخرجن من البيوت الى سواحل البحار بمآزر الحمام يجتزن الشوارع فرحات مرحات حتى اذا التقين بالرجال على الشاطىء خاصرنهم الى حيث يسبحن معهم فنونا من سباحة الاباحة لم يبق معها للدين ولا للشرف ولا للعفاف ولا الصيانة قيمة ، هذا الفساد وخطره على الأسرة فالوطن فالأمة ..

وتحدث فى موضع آخر عن اشتغال المرأة المسلمة بالتمثيل (م ٢٠) فقال ان اشتغال المرأة المسلمة بالتمثيل يشمل على منكرات محرمة منهـا : ظهورها فى اعين الرجال متبرجة كاشفة ما لا يحل كشفه لهم من أعضـائها كالرأس والنحر وأعالى الصدر والزراعين والعضدين وتحريم هذا مجمـع عليه معلوم من الدين بالضرورة ؛ ومنها الاشـتراك مع الرجال الممثلين فى أعمال تكثر فى التمثيل ان لم يكن من لوازمه فى كل قصة كالمعانقة والمخاصرة والملامسة بغير حائل ، وفيها غير ذلك من المنكرات التى تشمل عليها بعض القصص دون بعض كالتشبه بالرجال وتمثيل وقائع العشق والغرام المحرم ..

بما فيه من الأعمال المحرمة لذاتها أو لكونها ذريعة الى المحرم لذاته » وعاود السيد رشيد الحديث عن موقف المرأة فى التمثيل والتياترو فى المجلد (٣٨/٤١) :

وتحدث عن التمثيل والتياترو فقال : المجموع الذى يتضمن المحذور يكون محذورا وان درء المفاسد مقدم على جلب المصالح وقد نهى القرآن عن ابداء النساء زينتهن لغير بعولتهن أو آبائهن ، فما بالك بما هو شر منها وهو الرقص مع الأجانب أو مطارحتهم الغرام وتمثيل معاملتهم معاملة الأزواج تارة والأخوان اخرى ، وقال ان من عصيان المرأة ان تبدى ما خفى من زينتها فى التمثيل ورقصها مع الرجال وان اتباع التقليد يقطع الرابطة الاسلامية ويهدم الجنسية فليس ضررها محصورا فى عصيان بعض النساء لأمر الله وجرأتهن على انتهاك محارمه ..

ولقد الف السيد رشيد رضا كتابا تاما فى قضية المرأة تحت عنوان (نداء الجنس اللطيف) نشر مقدمته وفصولا منه فى المنار وقدم فيه مفهوم الاسلام لكل قضايا المرأة .

أما ما يتعلق بقضية تحرير المرأة التى أثارها قاسم أمين باصدار كتابه « تحرير المرأة) و (والمرأة الجديدة) فقد وقف منها السيد رشيد رضا موقف جماعة صالون نازلى فاضل ، وان كان قدم ما كتب فى معارضة مثل كتابى فريد وجدى وطلعت حرب وقال ان كتاب فصل الخطاب فى المرأة والحجاب وضعه طلعت حرب للرد على كتاب المرأة الجديدة كما الف (تربية المرأة والحجاب) للرد على تحرير المرأة وقال ان قاسم أمين غالى فى بيان مضار التشديد والمبالغة فى الحجاب وبالغ جدا فى جعل نجاح المسلمين متوقف على ازالة الحجاب المعهود فى الأذهان والموجود أثره فى العيان واعتذر عنه بأنه افراط فى مقابلة التفريط فى التشدد بالحجاب حتى جعل مانعا من العلم » واشار الى ما أورده قاسم أمين فى فضائل الحجاب

ومحاسنه وضرر التبرج والتهتك فى رده على الدوق داركور اولا) واشار الى ان فريد وجدى فى كتابه المراة المسلمة اورد جملة حقائق اهمها :

١ — ان المراة اضعف من الرجل جسما واقل منه قبولا للعلم لان وظيفتها الطبيعية تقتضى ذلك لا لأن يكون خاضعة للرجل .

٢ — كمال المراة موهبة روحانية هذا الكمال لا تناله المراة الا اذا كانت زوجة لرجل واما لأطفال .

٣ — ان اشتغال المراة بأشغال الرجال قتل لمواهبها .

٤ — ان الحجاب ضرورى للنساء لصلاح النوع الانسانى .

٥ — ان تعاليم الاسلام للمراة موافقة لفطرتها تمام الموافقة .

٦ — لاينقص المراة المسلمة لكى تبلغ اكمل نقطة يمكن ان ينال جنسها الا تعلم مبادىء العلوم العصرية .

الفصل الخامس

احيـــــاء التـــــراث

كان احياء التراث وعرض المجدد منه من أبرز اعمال المنار فقــد كان هذا العمل جزء من خطة الاصلاح ركز عليها الشيخ محمد عبده حين أحيا كتابى أسرار البلاغة ونهج البلاغة رغبة منه فى رفع مســتوى الأســلوب العربى ورده الى عصور الأزدهار ففى المجلد الثالث يشــير « الى اهتمام الشيخ عبده بكتاب أسرار البلاغة واعادة طبعه وذلك فى نطاق الدعوة الى الرجوع فى العلوم الاسلامية الى الوراء بضعة قرون والأخذ بكتب الائمــة الذين دونوا العلوم ووضعوا الفنون وقد خالفه علماء الأزهر الأزهر فى ذلك ومن ذلك أن كتاب عبد القادر الجرجانى أسرار البلاغة لم توجد نسخة منه فى مصر فاستحضرت من الشام وروجعت مع نسخة فى الآستانة ،

قال السيد رشيد : ان هدف الشيخ محمد عبده مواجهة الضعف فى أسلوب الكتابة والبيان ، وقد خالفه فى ذلك علماء الأزهر من يعجز منهم عن فهم كتب القدماء فضلا عن تدريسها ويثقل عليه أن يقرن العلم بالعمل لأن ما عنده من العلم خيالات لا تهدى الى عمل فبعد أن سعى لطبع (البصائر النصيرية) فى المنطق وا تم قراءته درسا فى الأزهر وجه نظره الثاقب لطبع كتاب امام البلغاء بل واضع فنون البلاغة ومؤسسها الشــيخ عبد القاهر الجرجانى (ســقى الله ثراه) ولعبد القاهر كتابان فى البلاغة مشــهوران ينقل عنهما العلماء ، أحدهما أسرار البلاغة والثانى دلائل الاعجاز ولا يوجد فى القطر المصرى نسخة من الكتاب الأول ولكن كانت توجد منه نســخة فى طرابلس بالشام فاستحضرتها بأمر الأستاذ وبعدما نظر فيها رأى فيها غلطا نســخيا وعلمنا أن فى بعض مكاتب الأســتانة العلية نسخة أخرى فأمر الأستاذ بعض طلاب العلم النبهاء فذهب الى الأستانة مخصوصا وقابلهــا عليها فخرج من النسختين نسخة صحيحة تولى الأستاذ تصحيحها وضبطها بنفسه وأمرنا بطبعها فباشرنا الطبع وباشر هو تدريس الكتاب فى الجامع

الأزهر فأقبل على حضور دروســــه مع المجاورين كثير من العلماء وكبار الموظفين والكتاب والشعراء واساتذة المدارس الأميرية ، أما عبارة الكتاب فهى فى الطبقة الأولى من السلامة والمتانة وأسلوبها عربى صريح لا عرقى معقد » .

وتحدث المنار على مدى ســنواته الطويلة عن المؤلفات التى حققت وبعثت من التراث وهى كثيرة منها نهاية الأرب فى فنون الأدب ، وعيــون الأخبار والأغانى وكتاب أساس البلاغة للزمخشرى والذى عنى بتصحيحه الشيخ محمد محمود الشنيقطى (والكتاب وضع لبيان الاستعمال الفصــيح والأسلوب البليغ منها وتصريف القول فى أساليبها ومضامينها ومنه الحقيقة والمجاز والكناية) وقد كتب للخواص من أهل العلم والادب ، واشار الى عشرات الكتب منها الحسبة فى الاسلام أو وظيفة الحكومة الاسلامية لابن تيمية والاشارة الى محاسن التجارة لأبى الفضل جعفر بن على الدمشقى ، والسياســة الشرعية لابن تيمية ، وفيصــل التفرقة بين الايمان والزندقة للغزالى ومســند الامام زيد المسمى بالمجموع الفقهى . واحياء علوم الدين للغزالى والاعتصام والموافقات للشاطبى ، ومقدمة ابن خلدون واحياء كتاب التبر المســـبوك فى نصيحة الملوك لأبى حامد الغزالى كتبه للملك العادل السلطان محمد بن ملك شاه (ولاحظ السيد رشــيد على الكتاب الغلو فى الرهبنة والنهى عن العناية بعمارة الدنيا) وكتاب عيون المسائل فى أعيان الرسائل لعبد القاهر بن محمد الحسنى (وهو دليل على أن رجال الأزهر حتى القرن العاشر كانوا يقرؤون العلوم الطبية والفلــكية والطبيعية التى يعاديها علماء الأزهر اليوم (م ٣) .

وتحدث عن مغارى الواقدى فى فتوح الشام وقال : انتقده الشــيخ محمد عبده وقال أنه كان من عمال الدولة العثمانية ولاه المامون القضاء فى عسكر المهدى وقال ابن خلكان : ضعفوه فى الحديث وعدوه ضعيف الرواية ليس من أهل الثقة لهذا نفى الامام الرملى من علماء الشــــائعة على أن لا يؤخذ بروايته فى المغازى فان كان هذا الكتاب المطبوع الموجود فى أيدى الناس من تصنيفه فهذه منزلة من الضعف عند علماء المسلمين على أنى لو حكمت بأنه مكذوب عليه مخترع النســبة اليه لم اكن مخطئا (م ٧٥٩/٣) .

وقال ان كثير من عباراته يظهر منها وجه المخالفة بينها وبين مناهج أبنـاء القرون الأولى فى التعبير وهذا لا يحتاج الى بيان والعارفين باطوار اللغـة العربية يعلمون ذلك فهذا الكتاب لا تصلح الثقة به اما لأنه مكذوب النسبة على الواقدى وهو الأظهر واما لضعف الواقدى نفسه فى رواية المغازى .»

— ٢ —

وكما أولت المنار اهتمامها الواسع للتراث الاسلامى المجدد وكان لها دور فى احيائه وطبعـه كذلك فقـد اهتمت بالمؤلفـات الاسلامية الجديدة التى كانت من ثمار حركة الاصلاح فى الأغلب وقد عرضت لكثير منها :

تطبيق الديانة الاسلامية على نواميس المدنية	فريد وجدى
تاريخ دول العـرب والاسـلام	طلعت حرب
نور اليقين فى سـيرة سـيد المرسلين	محمد الخضرى
الفقـه والتصـوف	الزهـــراوى
طبائع الاسـتبداد	الـكواكبى
الدنيـــا فى باريس	أحمد زكى
اشــهر مشاهير الاسـلام	رفيق العظم
الشوقيـــات	أحمد شوقى

كذلك فقد اهتم بالمؤلفات التى كتبها غربيون عن الاسـلام وترجمها بعض الباحثين :

الاسـلام : كونت هنرى دى كاسترى ترجمة أحمد فتحى زغلول .

العصبية الاسـلامية : عبد الله كوليام رئيس المسـلمين فى ليفربول بانجلترا عربه محمد ضـيا المصرى يحتوى على شـهادات علماء أوربا واشتهر كتابها بفضل الدين الاسلامى فى نشر المدنية وارتقاء العمـران .»

سر تقـدم الانجليز : أحمـد فتحى زغلول .

هـذا وقد نشر السيد رشيد رضا مؤلفات هامة فصولا فى المنـار :

أم القرى : عبد الرحمن الكواكبى ، المستقبل للاسلام : محمد توفيق البكرى ، الاسلام والنصرانية فى العلم والمدنية : محمد عبده .

وقد أولى السيد رشيد رضا اهتماما خاصا بكتاب على أبو الفتوح « خواطر فى القضاء والاقتصاد والاجتماع » وبهما مقال عن الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية (م ١٨) قال المؤلف : يظن كثير من الناس حتى من المسلمين أنفسهم أن المبادىء المقررة فى الشريعة الغراء لا توافق هذا الزمان الذى بلغ فيه الانسان من المدنية والحضارة درجة رفيعة ويتوهمون أن الأحكام والروابط التى فى القوانين الحديثة الوضعية لا مقابل لها فى الأصول الاسلامية ولكن الباحث فى الفقه الاسلامى ولو قليلا لا يلبث أن يغير هذا الظن ويتحقق من أن أسلافنا بلغوا من الرفاهية وتقرير المبادىء العمرانية والاجتماعية والقضائية شأوا قلما يجاريهم فيه أحد الا أن صعوبة كتب المتأخرين وطريقة تاليفها والتواء أساليبها وتعقيد عباراتها قد أوصد الباب . وقال : أشير على من يسلك هذا الطريق أن يقصد المؤلفات القديمة لأنها أسهل موردا واغزر مادة مع خلوها من التعقيد وتنزهها عن المشاغبات اللفظية ويترك هذه الكتب الحديثة للمنقطعين لفهمها دون ملل ، وأشار الى كتاب الخراج لأبى يوسف فقال : عثرت فى هذا الكتاب على درر كثيرة عمدت الى نظمها فى هذه المقالة ... الخ .

كذلك فقد أولى السيد رشيد رضا اهتماما خاصا بكتاب تطبيق الديانة الاسلامية على النواميس المدنية لفريد وجدى وقال ان فريد وجدى على طريقة الأستاذ الامام وقال : من الأسف أن أكثر التصانيف الاسلامية فى القرون الأخيرة أو كلها مأخوذة من كتب المتقدمين نسخا يشبه المسخ وانه لم يكن يوجد عندنا كتاب فى الدين اذا عرض على متمدنى هذا العصر يأخذ من قلوبهم مأخذا يستلفتهم الى النظر الى الدين يتمثله سائقا لهم الى سعادة الروح والجسد على الوجه الذى يناسب زمنهم وعمرانهم حتى قام حكيم المسلمين فى هذا العصر العلامة الشيخ محمد عبده وألف رسالة التوحيد الشهيرة وأمامنا الآن كتاب تطبيق الديانة الاسلامية على نواميس المدنية مؤلفه الشاب الذى فاق الشيوخ اناة وكمالا مملا بعلمه

محمد فريد أفندى وجدى بين أن الدين ناموس عام ضرورى فى الكون كسائر نواميسه وبين ان العلوم الطبيعية خدمت الاسلام وانهـا كلما ترقت وزاد الناس رسوخا فيها زادوا قربا من الاسـلام وكشف عن براءة الاسـلام من الحقد الدينى المعبر عنه بالتعصب والاسـترقاق وأن الاسـلام راعى ناموس الحضارة والدين الوحيد الذى راعى حقوق الروح والجسد معـا وكفى الكتاب شرفا أننا جعلناه ثانيا لكتاب رسالة التوحيد الذى لم يؤلف مثلها فى الاسلام وقد جرى المؤلف على آثار الأستاذ فى الرسالة أسلوبا وبحثـا .

واشار الى ديوان الشوقيات الذى اصدره أحمد شوقى أمير الشعراء فقال : ان للشوقيات ابواب يدخـل فيهـا أنواع القول وفنونه وضروبه وشجونه من آداب واخـلاق وحكم وأمثال وغزل ونسيب ومديح ورثاء ، وحاشاها من الذم فقد ضربت آداب شوقى بينه وبين الهجو بسور لا باب له فيفتح ولا يخرق ولا يتسلق أما حكمه ومواعظه فصـوادع ، وأما أسلوبه فحلوب رائع ، وأما قديمه فقد أحله محله وارتقى به الى مكانة تليق به ، فجعله مقصور على أمراء مصر (اسـماعيل وتوفيق وعباس) وأما الرثاء فلم يتجاوز الأمراء الا الى بعض العلماء والكبراء ولا تسل عن سائر الشجون وما فيها من الفنون والفتون (م ٥٦٦/٢) .

الفصل السادس

وفيـات الأعيـان وكتاب المنـار

كان للمنار موقف واضح من الشخصيات البارزة فى العالم الاسلامى كله ســواء أكانوا من أنصــار حركة الاصــلاح أم من أعدائها ولم يفتها أن تذكرهم فى مناسبات الأحداث وأن تنعاهم فى حال الوفاة وكان موقفهــا معتدلا كريما الا مع قلة قليلة من خصوم الأســتاذ الامام فى الأزهر أمثال الشيخ محمد بخيت والشيخ عفيفى وكان لها معارك ومساجلات وخلافات واضحة مع عبد العزيز جاويش وفريد وجدى وقد عرضنا أسماء من رثتهم المنار على مدار السنوات أمثال نعمان الألوسى وحسن الطويل ومحمد بيرم والسنوسى ، كما أولت المنار تقديرها لكتابها أمثال رفيق العظم ومحمد توفيق صدقى وجمال القاسمى والكواكبى .

وكان المنار حفيا بتلاميذ الأستاذ الامامحتى ولو اختلف منهجهم كما فعل مع سعد زغلول حيث قال عنه (م ٢٢) : الا أنه ينقصه من صفات الزعماء السياسيين ــ كما يقولون ــ ما يسمونه المرونة السياسية وهى تشــمل سعة الصدر والحلم والموارأة والتمويه والخداع وان شئنا قلنا والبراعة والكذب الذى يحتمل التأويلات الكثيرة والتملق والبراعــة فى الاســتمالة والتزلف عند الحاجة ، وقد زادوا فى هذه الأيام نعته أنه مستبد لا يخضــع للشورى فهو يعمل باسم الوفد ما يراه وان خالف قرار الأكثرين وهذا خلاف ما يعرف فيه ويعهد فيه ..

كذلك فهو يتحدث عن حسن الطويل (م ٢) أنه أحد أركان النهضة العلميــة الأدبية فى مصر وتلاميذه هم تلاميذ السيد جمال الدين الأفغــانى كان يصرح بانتقاد الحكام فى السياسة وانتقاد شأن الناس فى عاداتهم التى أضرت بدينهم ودنياهم لاســيما الغلو بتعظيم القبــور وطلب الحوائج من الأمــوات .

واشار الى ان الكواكبى فى كتابه « أم القرى » قد أشار لاسمه برمز « الرحالة ك » ليحكم الناس على القول بذاته ولذاته فاذا الذين يعرفون شخص الأستاذ الهمام السيد الشيخ عبد الرحمن الكواكبى الحلبى وفضله فيقولون أجــدر بهذا الكتاب أن يكون له ، أما الذين لا يعرفونه فليحفظوا هذا الاسم الذى يطابق الرمز الى أن يجيء يوم يستدل فيه هذا الرحالة التصريح بالتلميح ، واشار فى (مجلد ٤) الى بعض كلام فى كتاب أم القرى عن الدولة العليــة فقــال انه يؤلم اكثر النـــاس ولا ينبغى أن يعــرفه الا الخـــواص .

ولا ريب أن معظم اعلام المنار على امتداد حياته كلها هو الشـــيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية ، وقد أشار فى غير موضعه الى أسلوبه فى التعليم ودعوته الى ايقاظ اهــل الأزهر الشريف وارشادهم بطريقـــة التعليم المثلى فلقى فى ذلك من العنـــاء ما كان يلقاه المصلحون من قبله ، وعلم أن الارشاد بالقول قليل الجدوى فصار يقرأ الدروس بنفسه وفى ليلة الأربعاء اتم كتاب البصـــائر النصيرية فى علم المنطق وقد احتفـــل بتمامه فى الرواق العباسى واشار الى اهتمامه باختيار الكتب وانه لضعف العــلم فى القرون الأخيرة صـــار العلماء لا يقرءون الا كتب المتاخرين والتى كتبت على الشروح والحواشى الملأى بالمنازعات والمحاورات ولا يكاد يتجرأ عالم على قراءة كتاب من كتب الجهابذة المتقدمين التى لم تشرح ولم يعلق عليها الحواشى فعلمنا الأســـتاذ كيف نختار الكتب النافعة وعلق عليهـــا شرحا يبين غوامضـــها واصلح ما عساه يوجد من الخطأ ، علمنـــا كيف نمحص الحقائق للوصول الى اليقين بالعلم ليخرجنا من الحيرة الى طريقة التعليم المألوفة لهذا العهد : طريقة الاحتمال وسرد الأقوال وقد فند كلام أفلاطون وأصلح رأى أرسطو فى الماهيات وكان من آيات شجاعته هى رفع القيـــد الذى هو التقليد الأعمى ووضع الميزان الصحيح الذى لا ينبغى أن يقر رأى ولا فكر الا بعد ما يوزن به ويظهر رجاحته وبهذا يكون الانسان حرا خالصا من رق الأغيار عبدا للحق وحده ، وهذه هى طريقة معرفة الشيء بدليله وبرهانه ما جنينا من علم المنطق ، وانما هى طريقة القرآن الـكريم الذى ما قرر شيئا الا واستدل عليـــه وأرشد متبعه الى الاستدلال انما المنطق

أن يضبط الاستدلال كما أن النحو له لضبط الألفاظ فى الاعراب والبنــاء .

ويتحدث السيد رشيد رضــا عن مدرسة الشــام السلفية بمناسبة وفاة العلامة محمــد جمال الدين القاسمى (م ١٩١٣/١٧) ويشـير الى أن مدرسة الشام السلفية قوامها عبــد الرازق البيطار ، مجــدد مذهب السلف فى الشام ، وطاهر الجزائرى ، وسليم النجار ، ورفيق العظم ، وكرد على ، وقد جاء مصر مع البيطار فى عهــد الامام وقد مضى القاسمى فى الدعوة الى الاصــلاح المدنى لحاجتها الى الاصلاح الدينى وتصدى له التقليديون واخذوا يكيدون له .

وممن أولى المنار اهتمامه بهم زعماء الاصلاح فى الهند الاسلامية : وفى مقدمتهم شبلى النعمانى وشــوكت على : يقول فى رثاء شــوكت على (م ٥٥٧/٣١) انه تربى وتعــلم فى البلاد الانجليزية وتخرج فى مدرســة اكسفورد الجامعة وعاد الى الهنــد متفرنجا فى زيه وهيئته واكله وشربه واثاث داره ولقاء زواره وكان يظن أن هــذا يقربه الى الانجليز الحاكمين فى بلاده زلفى ويزيده عندهم ودا ولكنه لم يزده الا امتهــانا منهم فاستيقظ من رقدته وتنبه من غفلته وعاد الى شارات قومه وشعائر ملته فاضطروا الى احترامه ومراعاة كرامته ، ودعا الى الاعتصــام بكتاب الله وســنة الرسول صلى الله عليه وسلم ودعا الى التربية الدينية الاسلامية وتحذيره النابتة الجــديدة من تقليد الافرنج فى أزيائهم وعاداتهم وتقاليدهم واقنــاع الشبان المفتونين بهذه المظاهر لضررها القومى والسياسى » .

كذلك فقــد أولت المنــار اهتماما لتراجم عدد من أعلام الاســلام : الشافعى ، المعرى ، الغزالى ، شاه العجم ، ونشرت شــعرا لمصطفى صادق الرافعى ، وعبد المحسن الكاظمى ، ومحمود سامي البــارودي ، وشوقى ، وحافظ ابراهيم ، واحمد محرم .

الفصل السابع

المجـــلات والصــحف

— ١أ —

منذ أن ظهرت المنار (وبالرغم من أنها مجلة شهرية) فقد كان لهـا شخصيتها وموقفهـا من مختلف الصحف اليوميـة الكبرى لرسالتها ذات الطابع الاسلامى المتميز ، وكان لها مع ذلك موقفهـا القائم على التقـدير البالغ لجريدة المؤيد فهى دائما تتابع موضوعاتها وتعـدها أصدق الصحف وتعتبرها من أسلحة الاسلام ، وكانت المؤيد قد صدرت قبل المنار بسنوات وتحمل طابع الصحافة الاسلامية اليومية وان كانت على ولاء كامل لخديو مصر والمعروف أن جريدة المؤيد انشئت بعد أن ظهرت جريدة المقطم مؤيدة للنفـوذ البريطانى بينما كانت جريدة الأهـرام مؤيدة للنفـوذ الفرنسى ، وقد اشار المنار الى الصحف الاسلامية القائمة وخاصة الى مجلة ثمرات الفنون التى كان يصدرها عبد القادر القبانى فى دمشق (وكان ذلك بمناسبة مرور ٢٥ عاما على تأسيسها) المجلد الأول من المنار .

كما أشارت لصدور مجلة الحياة (فريد وجدى) عام ١٨٩٩ بعد المنار بعام واحد وقد أشارت الى المؤيد (م ٢) فقالت انها كبرى الجرائد العربية دخلت فى السنة الحادية عشرة وهى ثانيـة على منهاجها فى خدمة الدولة العليا فى مصر على ما تحب وترضى والمدافعـة عن حقوق مصر والمصريين التى هضمتها الدولة المحتـلة على وجـه نالت به ثقة السـواد الأعظم من الأمة ، ولقى صاحبها فى بداية ما يندر أن يثبت معه شرقى على عمـل فكانت له العاقبة فصدق عن قول صاحب الحكم (من لا يكون له بداية محرقة لا تكون له نهاية مشرقة) وقـد سمى العشر الأول من عمر جريدته طور الطفولة وفى هذا من الهضم لنفسه ولعمله الناجح ما كان ينبغى أن يكون أسوة للذين يوءوا جرائدهم وهى أجنبية مقاعد الشيخوخة .

— ٣ —

ولما ظهرت جريدة اللواء ظهر خلاف كبير بينها وبين المنـــار نتيجة لاختلاف الوجهة بين حزب الاصلاح الاسلامى وبين الحزب الوطنى الذى كان بزعامة مصطفى كامل مواليا للخديو معاديا للاحتلال البريطانى بينما كان جزب الاصلاح بزعامة الشيخ المفتى معاديا للخديو مواليا للاحتـــلال يقول رشيد رضـــا :

صاحبها سعادتلو مصطفى كامل بك ظهرت فى غرة رمضان المبارك اصغر والطف من سائر الجرائد اليومية حجما وأقل ثمنا ، ولا تعلم ماذا يكون من أمر هذه الجريدة ولكن نظن أنها اما أن تتلو تلو غيرها اما أن لا تروج اما مواضيعها فهى فائقة عن ذلك الرجل الكبير اللهج بالوطن وحب الوطن وخدمة الوطن ، وقد ضم الى هـــذه الكلمات أخيرا ذكر الاســـلام والدين اما الاسلام والدين فلا ينتظر من هذه الجريدة كلام مهما يفيد الأمة الا بتتبع ما يذكر منها من الجرائد الافرنجية .

وقال : انتقدنا عليهـــا أمرا ذا بال هو الارجاف بأن بعض النـــاس فى مصر يسعون فى اقامة خلافة عربية كان الخلافة من الهنات الهينات تنال بســـعى جماعة او جماعات ولا يمكن احتقار مقـــام الخلافة الأعلى باكبر من هذا الارجاف فان مقام الخلافة اسمى من أن يتطاول اليه احد وقد سلم السواد الأعظم من المسلمين زمامه لبنى عثمان سلميا والرابطة بين الترك والعرب هى كما قال كمال بك الكاتب الشهير موثقـــة بالأخوة الاسلامية والخلافة العثمانية فان كان أحد يقدر على حلها فهو الله تعالى وان كان أحد يفتكر فى ذلك فهو الشيطان ويعلم كل خبير بحال هذا الزمن أنه لا يرجف بالخلافة فيه الا رجلان : رجل اتخذ الارجاف حرفة للتعيش واكل السحت او التحلى بالوسامات والألقاب الضخمة ورجل اتخـــذه الأجانب لخـــداع بسطاء المسلمين بايهامهم ان منصب الخلافة ضعيف متزعزع يمكن لأى أمير أن يناله ولاية جمعيـــة أن تزحزحه عن مكانه ليزيلوا هيبتـــه من القلوب ويقنعوا نفـــوس العـــامة الأغـــرار بامكان تحويله فى وقت من الأوقات وبأن المسلمين ليسـوا راضين عن الخلافة العثمانية جميعا . وكان مصطفى كامل افندى يوم الف كتاب المسألة الشرقية ينسب هـــذا الطمع الأشعبى

للانجليز واليوم ترى مصطفى كامل بك يلقى القول فيه على عواهنه فى خطبه وجريدته ويدع نفوس البسطاء تذهب اليه كل مذهب (م ٢) .

وفى موضع آخر يتحدث عن المنار الاسلامى واللواء الوطنى فيقول :

بينهما تضاد فيما يسمونه المبدأ فالمنار يدعو الى الاصلاح الاسلامى ويثبت أن المسلمين لا يلقونه الا بترك البدع ورجوعهم فى الدين الى ما كان عليه السلف وبأخذهم بوسائل القوة والمدنية العصرية فى أمر الدنيا .

وجريدة اللواء لا رأى لها فى الدين والاسلام . ولكن لها وطنية عمياء من معناها أنه يجب على كل مصرى أن يتعصب على كل من يقيم فى مصر من غير أهلها وان كان مسلما وعلى كل مصرى مسلم أن يتعصب على كل مصرى ليس بمسلم وهذا ما ينقضه المنـــار .

ويقول فى موضع آخر : كان صاحب جريدتى اللواء والعالم الاسلامى (يقصد مصطفى كامل) على غروره بنفسه يشعر بأن جريدته لا قيمة لها فهو يخترع الرسائل ويدعى أنها جاءته من الهنـــد وجاوة الآستانة وغيرها من البـــلاد ثم يتبجح ويفتخر بذلك ويدعى أن جريدته موضع ثقـــة الأمم والشعوب الاسلامية فى العالم الاسلامى ولعلك لا تجـــد شيئا من هـــذا التبجح فى جريدة أخرى الا ما يسمونه بالجرائد الساقطة (م ٨) .

— ٣ —

ويواجه المنار حملة جريدة الوطن القبطية التى هاجمت مشروع احياء الآداب العربية فيقول : عزمت الحكومة المصرية على طبـــع بعض الآثار العربية من المصنفات النافعـــة النادرة بالمال الخاص بدار الكتب المصرية وكان لديها فى الميزانية الف جنيه لتنشيط الآداب العربية ولا ريب أن المال الذى خصصته قليل فهى تنفق أكثر منه فى ضيافة أحـــد ضيوف الأمير يوما واحـــدا وتنفق أكثر منه فى مساعدة التمثيل الافرنجى الذى يرى جمهـــور الأمة أن اثمه أكبر من نفعه . ولم يكن يخطر فى البال أن يلقى هذا المشروع اعتراضا حتى سمعنا نعاب صـــاحب جريدة الوطن القبطية يدعو بالويل والثبور وينعى على الحكومة المصرية عملها ويندب الشعب المصرى مدعيا أن الحكومة تريد بهذا العمل افســـاد آدابه ومنعه من العلوم والمعـــارف

الصحيحة التى ترقيه وتجعله من الشعوب العزيزة الراقية وزجه فى ظلمات الخرافات والسفاهات والسخافات والجهالات العربية ويزعم أنه لا يوجد فى الكتب الغربية غير تلك المضار التى استفرغ كل ما فى جوفه وجعله وصفا لها وكل اناء ينضح بما فيه لم يكتف الكاتب بتحقير جميع العرب والقدح فى كل ما كتبوا ووضعوا حتى خرج يذم دينهم وليست علة صاحب الوطن هى الجهل فنداويها بما ذكرنا من العلم الصحيح فان الجهل وحده لا يستطيع أن يهبط به الى هذه الدركة من الخذلان وانما علته هى الغلو فى التعصب القبطى وكراهة كل شىء ينفع الاسلام والمسلمين وان نفع غيرهم ولم يضرهم (م ٩٠٨/١٣) .

ولا يتوقف المنار عند هذا الحد فهو منافح عن مفهوم الاسلام ازاء أى صحيفة او كاتب ومن ذلك موقفه من لطفى السيد (م ٣٩٩/٧) يقول : يكتب صاحب الجريدة بحسب هواه ويضحك على الناس غاشا اياهم بأنه يخدمهم ولا عجب اذا راجت على الغافلين دعواه . من اطراء الأمراء الحاكمين من الخدمة الوطنية ولكن العجب العجاب رواج دعواهم خدمة للدين الذى هم به جاهلون وعن صراطه ناكبون . وقد ملأ الآفاق هذه الأيام صياح بعض الجرائد التى تسمى نفسها اسلامية من الشكوى من صاحب المؤيد والنيل من عرضه والطعن به والتحريض على ترك جريدته لأنه عقد عقدا شرعيا قابلا للفسخ بطلب الولى على عدم اثبات كفاءته ، اذا كانوا يغارون على الدين كما يزعموا فلماذا لا يتعلمون عقائده واحكامه . ولماذا يمدحون الاعمال المجمع على تحريمها وكفر مستحلها كالمرقص الذى يكون فى قصر الأمير بين النساء والرجال مع الدعوة الى شرب الخمر جهارا وما قام به زعيمهم صاحب جريدة اللواء يندد بعمل محافظ مصر السابق عندما اراد التشديد على النساء المتهتكات فى الشوارع والأسواق وتبعه كثير من الجرائد » .

ولكن السيد رشيد رضا بالرغم من حملته على اللواء ومصطفى كامل فانه عندما توفى رثاه فى تقدير شديد (م ٦٠/١١) فقال :

اندى الصحفيين المصريين صوتا وأبعدهم فى عالم السياسة حقيقة واشدهم فى دهماء بلده تأثيرا وأكبرهم وليا ونصيرا ، قضى عن أربعة وثلاثين

ربيعـا قضى نصفها فى السياسة ونصف هـذا النصف فى الصحافة باذلا مما اخذ فيه جميع أوقاته ومفرغا فيه منتهى وجدانه وشعوره . وقد أعجب فى اللواء جمهور القارئين ثم تحزبت له نابتة كبيرة من المتعلمين بل عشقه بعض طلاب الحقوق عشقا وملك قلوبهم ملكا ظهر اثر تحزبه فى تشييع جنازته بمظهر غريب ما رؤى مثله من نسيب أو قريب . كان مصطفى كامل هو المجلى فى هذا الطور من اطوار التجلى ثم صار داعية النابتة الى هذه الوطنية وهاديها أو سائقيها وجاريها ، رايت الدعوة موجهـة الى جعـل الوطنيـة جنسية المسلمين فانكرتهـا فى المنـار بالبرهان المتين واكثرت من الكتابة فيها حتى فى تفسير القرآن . وانتقدت عليـه الارجاف بمسألة الخلافة العربية اذ كان كتب ان فى مصر من يسعى لها سعيها وبينت له وجه الضرر فى ذلك الارجاف فكبر عليه وقطع المبادلة الصحفية ، وانحى علينا بعد ذلك كثيرا لما كان عليه عفا الله عنه من الشـدة على من خالفه ولو مهضوما ونصر من وافقه ظالما كان أو مظلوما وكان الأولى من أسباب انتشـار اللواء كالمبالغة فى ذم المحتلين وانتقاد الحكومة ومدح الأمة وتحامى الانتقاد عليهـا والتنويه بالاستقلال والتعجـل بطلب محو الاحتـلال . (م ١١/٦٠) ومن مواقفـه خطبـة مصطفى كامل فى تمجيد محمـد على بعد انتقد المنار أعماله (م ٥/٢٣٢) .

— ٢ —

وكان خلاف المنار مع جريدة السياسة قائما على الخلاف فى وجهة النظر الاجتماعيـة وفى موقف السياسة من التغريب وتأييدها أفكار الغزو وضمها مجموعة المعارضين للفـكرة الاسلامية امثـال طه حسين وعلى عبد الرازق ومحمود عزمى وحربهم الشديدة الدائمة للاسلام . يقول صاحب المنار : « ان بين المنـار والسياسة خلافا أهم مما كان بين حزبها وحزب الوفد المصرى وهو أن المنار داعية الدين الاسلامى والمدافع عنه والسياسة تقوم بدعاية الحادية تريد أن تنسخ بها هداية الاسـلام وتقطع الرابطتين الاسلامية والعربية بما تعبر عنـه بالثقافة المصرية والتمدين وما كتب عن مسائل شخصية مختلفة كزعمها أن صاحب المنار ليس له دين ولا عقيدة ولا مذهب فتـارة يكون مسلما سنيا أو شـيعيا أو وهابيا وتارة بوذيا أو برهميا وتارة ملحـدا وما أشـبه ذلك ، ولعـل جريدة السياسة تريد

أن تستدرجنا بهذا الى منازلتها فى هـذا الميدان الذى تعسلم علم اليقين اننا لسنا من فرسانه وان جميع فرسانه المهزومين ينهزمون أمامها فيه ، ان الجرائد البذيئة فى هذا العصر ، قد بذت الشعراء الهجائيين فى العصور الخالية فيجب الاعراض عنها ، لابد للأحزاب من جرائد تنشر دعوتها وتحمى حماها ، ولو بالطعن الشخصى فى خصومها كما كانت القبـائل تختار لهـا شاعرا هجاء يدافع عنها اذا هجيت يلقب بسفيه القوم وكان خصوم القبيلة يهجونها فى حملتها دون سفيهها ولو كانت السياسـة ترد على ما ننشره من تفنيد بعض نشرياتها الالحادية عملا بحرية الراى والنشر التى تدافع به عن الكتب الالحادية ككتب على عبد الرازق وطه حسين وتعترف لنا بمثل هـذه الحرية ... » .

ويشير السيد رشيد رضا فى عنوان : « لابد من قتل صاحب المنار » الى ما بلغه من الدكتور هيكل (لسان حال الحزب الحر الدستورى وحزب الملاحـدة) قد قرر لمرءوسيه محررى جريدة السياسة لأنه لابد من قتـل صاحب المنار وقد وافقوه وهم يعنون بهـذا القتل ان يكون بأسنة أقلامهم الطعانة ، القتل المعنوى أو الأدبى ، اتهمته جريدة السياسة من قبل أنه يعمل مع جمعية سرية دينية سياسية باغراء الأمير عباس حلمى الخـديو السابق ، وكذبت الحكومة هـذه التهمة ، وكان ذنب صاحب المنـار لدى جريدة السياسة انكاره علامتها المحقق على عبد الرازق الذى أنكر التشريع الاسـلامى من أساسه يضاعف ذنوب صاحب المنـار من هـذا النـوع فهو بالمرصاد لجميـع أنواع الدعاية الالحادية التى تبثها جريدة السياسة باسم التجديد والثقافة المصرية التى تزعم أن مختز بدعايتها وبعناية مدرسة الجامعة المصرية ستنسخ بها ثقافة الاسـلام التى مصدرها الأزهر وغيره وتحل محلها وتتبعها فى ذلك سائر العرب بزعمها ، يقولون اننا قتلناه نصف قتلة بما كتبناه فى مسالة مؤتمر الخلافة كما قتلنـا الأزهر نفسه وهو الآن مثخن جراحا وسنقضى عليه ببضـع مقالات أخرى ، وما قتلوا ولن يقتلوا الا حزبهم وأنفسهم وسنقضى بحول الله وقوته على أباطيلهم (بل نقـذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق) . (أبريل ١٩٢٧) .

وكان للمنار موقفه ايضا مع مجلة الحديث الحلبية وصاحبها سامى الكيالى فى مواقفه التغريبية (م ٢٨) يسوؤنا أن هـذه المجلات أضر على

الأمة من بعض الجرائد السياسية التى تخدم الأجانب الغزاة باستعبادها واستعمار بلادها وتمهد لهم السبيل لذلك ، وانها تعمل على تقطيع الروابط التى توحد جمعها وتجمع كلمتها من دين ولغة وأدب وتشريع وهو ما نعبر عنه بمقوماتها ومن عادات وأزياء وهو ما نعبر عنـه بمشخصاتها ؛ ذلك مثل بعض محررى جريدة السياسة أو مجلة الهلال بمصر (كسلامة موسى وطه حسين ومحمود عزمى) المنتحلين لأنفسهم صفة تجديد الثقافة .
واننا نرى مجلة الحديث السورية معجبة بهؤلاء منوهة بآرائهم مثنية عليهم . فان كان محررها غير مقلد لهؤلاء فلماذا لا يفتأ ينوه بهم بما يغرى قراء مجلته باتباع خطتهم وهو ما يسمونه الثقافة الجديدة التى يحكمونها فى كل ما أشرنا اليه من مقومات الأمة ومشخصاتها وبذلك كانوا دعاة هدم وافساد فيها ، هم عاقون لأمتهم هادمون لهدايتها وتشريعها وادابها بل ساعون لابتلاع الافرنج لها ومنهم المستخدمون لذلك وهم يوهمون الناس فى هـذه الأيام أنهم مبدعو هذه الدعوة فى بلادهم وليس كذلك بل ابتدعها فى مصر الخديو اسماعيل اغترارا بزينتها وشهواتها فهو أول من اراد أن يجعل مصر أوربية وله فى ذلك كلمة مشهورة فكان أول عثرة منها خباها فقد ملكه ، اما جده محمد على فانما اخذ عن أوربا أسباب الثروة فى صناعة وزراعة وأسباب القوة ، وهو الواجب على كل شعب شرقى يملك افريقيته دون تقليد القردة فى الآراء والزينة والعادات وحرية الفسق والفجور والكفر التى يدعو اليها منتحلو الثقافة الجديدة » .

— ٣ —

وكان للسيد رشيد رضا موقفه من جمعية الرابطة الشرقية ومجلتها (م ٦١٩/٢٩) فقد أخذ عليها وجهتها التغريبية من أول عدد منها حيث صدرت باشراف على عبد الرازق وتنويهها بكتابات طه حسين وسلامة موسى قال : صدر العدد الأول فاذا هى مجلة لا دينية تؤيد ما يسميه ملاحدة العصر بالتجديد اللاديني وتحرير المرأة المسلمة وتدافع عن الترك والفرس والأفغان فيما يحاولونه من تجديد بهدم الاسلام على احتراس قليل فى التعبير ، هو أقرب الى الدفاع عن مصطفى كمال وأمان الله خان منه الى الهجوم عليهما . وأشار الى بحث طه حسين « الذى اشتهر بالطعن فى الاسلام وتكذيب القرآن » وخلاصة بحثه الجهلى السخيف فى ضمير الغائب واستعمال اسم الاشارة فى القرآن الكريم وأشار الى بحث سلامة

موسى « عدو الرابطة الشرقية من وطنية وجنسية ولغوية وداعية الكفر والوقاحة والتهتك اللذين يعبر عنهما بالأدب المكشوف » وكذلك الدكتور هيكل داعية الثقافة الأوربية وتنويه مجلة الرابطة بالحاد الكماليين وخداع طه حسين للأزهريين بترك الدنيا للملحدين ودعاية سلامة موسى الى الالحاد وهدم الاسلام .

— ٤ —

ومن اخطر معاركه فى هذا المجال معركته مع مجلة الأزهر التى أصدرها الأزهر ١٩٣٠ ومن أبرز ما أخذه عليها معارضته لكتابات الشيخ يوسف الدجوى « ففى مكتوباته ما يدعو الى العجب فى مخالفة اجماع السلف الصالح فى الاتباع وتأييد الخلف الطامح فى الابتداع وأقرار ما أفسد على الخرافيين دينهم وآدابهم من عبادة القبور بالدعاء والاستعانة والتضرع والنذور لها والطواف بها كالكعبة واستلام ركنها وتقبيلها كالحجر الأسود » .

وأخذ على مجلة الأزهر سكوتها عن امور المسلمين فى بعض البلاد الاسلامية ، وقد توقفت عنه المجلة بحجة انه من أعمال السياسة وهى مجلة دينية رسمية ، واقترح عليها امرين : أحدهما الدفاع عن الاسلام والمسلمين بصد كل من يهاجمها فى هذا العصر بالحجة والارشاد الى العمل الذى يكشف الغمة ويجمع الكلمة والثانى الدقة فى اختيار كل ما ينشر فى المجلة من الأحاديث والآثار اذ أن أكثر علماء الأزهر ينقلون الأحاديث من كتبهم دون الرجوع فى تخريجها الى دواوين السنة المعتمدة حتى اشتهروا باهمال علم السنة .

وقد دخل السيد رشيد رضا فى مساجلات واسعة مع الأستاذ « الخضر حسين » رئيس تحرير المجلة وكتب فصولا مطولة عن نفسه وعن المنار جمعها بعد فى كتاب تحت عنوان « المنار والأزهر » .

— ٥ —

وقد اشار السيد رشيد رضا الى أنه وضع نموذجا لمجلة الأزهر قبل صدورها على هذا النحو : (هذا النموذج ما زال يحتذى ويمكن الانتفاع به الى اليوم) .

الباب الأول : مقالات دينية وعلمية وتاريخية وخطابية ، الغرض منها

بيان حقيقة الاسلام وأحكامه واصلاح لشئون البشر الشخصية والقومية ، والوطنية والسياسية ورفع مستوى الانسان وتوحيد مقومات الأمم وبيان حاجة البشر الى اصلاحه فى كل زمان ومكان ولاسيما فى هذا الزمان الذى طغت فيه الأخطار المادية على الأمم فأفسدت آدابها وعلى الدول فحصرت كل منها هما فى الاستعداد للوثوب على التى تأنس فيها الضعف .

الباب الثانى : الفتاوى العامة : فيما يتعلق بالاسلام وآدابه وأحكامه وتشريعه وسياسته .

الباب الثالث : كشف الشبهات وحل عقد المشكلات التى تعرض بطلاب العلوم وغيرهم بالاطلاع على كتب العلوم والفلسفة والأديان المختلفة وما يورده الملاحدة الماديون ودعاة النصرانية وغيرها من الطعن فى الاسلام ، ومقاومة تيار الالحاد الذى انتشر .

الباب الرابع : باب البدع والخرافات وانتقاد الضار من العادات ويسمى باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتعتمد فيه على كتاب الملل والنحل والاعتصام .

الباب الخامس : باب التربية والتعلم : التربية الدينية والجسمية والعقلية والنفسية :

العقلية : تربية ملكة الاستقلال فى الفهم وحرية البحث .

النفسية : تهذيب الأخلاق وتربية ملكات الفضائل وتربية الارادة التى عليها المدار الأعظم فى النهوض بالأعمال وتربية الخيال بالأساليب المصورة للمعانى الخطابية والشعرية ومواضع التربية فأولها البيوت ثم المدارس فالجمعيات .

الباب السادس : آداب اللغة العربية وتاريخها .

الباب السابع : الاقتباس والانتقاد وتقريظ الصحف والكتب والمجلات (وما ينشر فى الصحف الغربية من مباحث هامة والرد على المباحث الباطلة)

والقاعدة هى الاجتهاد فيما ليس فيه نص قطعى من وحى ربهم ولا سنة ماضية من سنن نبيهم بشروطه المعروفة فى محلها فان الاجتهاد مع وجود النص ممنوع فى الشرع وفى القوانين الوضعية جميعا .

الفصل الثامن

الجمعيات الاسلامية

كان مقصد انشاء الجمعيات الاسلامية من اكبر اهداف حركة الاصلاح باعتبارها المنطلق الحقيقى لتوجيه النفوس الى فهم الاسلام فهما صحيحا ، ولذلك دعت المنار منذ اليوم الاول الى انشاء الجمعيات الاسلامية وعقدت فصولا مطولة عن الجمعيات الدينية فى الشرق واشار الى الجمعية الخلدونية فى تونس والى جمعية شمس الاسلام والجمعية الخيرية الاسلامية فى مصر ، والى ندوة العلماء فى الهند بوصفها منطلقات جديدة فى مواجهة جمعيات الشباب المسيحية التى نشرها التبشير فى اغلب بلاد الشرق ، وقد اشاد المنار فى تقدير بالغ الى نشوء ثلاث جمعيات فى القاهرة هى جمعية مكارم الاسلام وجمعية التعليم الاسلامى وجمعية النهضة الادبية ، وقال ان بعضها انشا مدارس جعل التربية والتعليم فيهـا على منهج الدين وسننه القويم كما انشأت مدرسة اخرى لتعليم البنات .

وقال : انه يسر كل مسلم وكل انسان يحب الفضائل ويرقى ابنـاء نوعه ما تقوم به جمعية شمس الاسلام وجمعية مكارم الأخلاق من النهوض والانتشار وبرزت أسماء محمد نور مؤسس المدرسة التحضيرية وتلامذتها ثلاثمائة ونيف وقد جعل التربية والتعليم على منهاج الدين وسننه القويمة مع عدم الاخلال بمناهج المدارس الأميرية ، وقد ساء هذا النجاح الباهر اعداء الاسلام من المارقين والحكام فحاولوا اطفاء نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون . واشاع اصحاب الجرائد الضالة أن الجمعية لا ترضى الحضرة السلطانية وما قيل كذب ، اما جمعيـة مكارم الأخـلاق فقد كان راعيها الأستاذ زكى سند مشعلا متوقدا وكذلك اشاروا الى على ابو النور الحربى وخطابه المؤثر فى تهذيب الانسان وتربية الأبناء .

انتهى القسم الأول عن (مجلة المنار)

القسم الثانى عن (مجلة الفتح) يصدر قريبا

آفاق البحـــث

صفحة

رقم الايداع ٨٣/٣١٩٢

دار عطـــــوه للطبـــــاعة

تاريخ الصحافة الاسلامية

بقلم انور الجندى

كان للصحافة الاسلامية دورها الكبير فى بناء النهضة الفكرية المعاصرة ، فقد حملت منذ وقت بعيد لواء الدفاع عن مفهوم الاسلام الأصيل والدعوة فى العودة الى المنابع والتماس مفهوم القرآن والسنة ، بداها جمال الدين ومحمد عبده بمجلة العروة الوثقى ، ثم جاء السيد رشيد رضا فى خلال خمس وثلاثين سنة من حياته وحياة المنار لقدم منهجا أصيلا جامعا للعمل الصحفى الاسلامى وهو ما نقدمه فى هذا السفر .

وسيقدم المجلد القادم عن مجلة الفتح للسيد محب الدين الخطيب التى امتدت عشرين عاما وسنواصل باذن الله دراسة المجلات الاسلامية الكبرى .

الناشر